دروس في المسيحية



علي الشّيخ

مراجعة: كمال سلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

١٢٣

مركز دراسات

المصطفى صلى الله عليه وآله الدولي

دروس في المسيحيّة

علي الشّيخ

مراجعة: كمال سلمان

مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر
التابعة لجامعة المصطفى العالمية

سرشناسه:	شيخ، علي
عنوان و نام پديدآور:	دروس في المسيحية/ علي الشيخ؛ مراجعة: كمال سلمان (حزباوي).
مشخصات نشر:	قم: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر، ۱۳۸۹ش.
مشخصات ظاهرى:	۱۷۶ ص.
شابك:	978-964-195-318-0
وضعيت فهرست نويسى:	فيپا
يادداشت:	عربى.
يادداشت:	كتابنامه: ص. ۱۷۵- ۱۷۶؛ همچنين به صورت زيرنويس.
موضوع:	مسيحيت -- عقايد
شناسه افزوده:	كمال سلمان(حزباوي)
شناسه افزوده:	جامعة المصطفى ﷺ العالمية. مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر.
رده بندى كنگره:	۱۳۸۹ ٤د۹ش/۲/BT ۷۵
رده بندى ديويى:	۲۳۰
شماره كتابشناسى ملى:	۲۱۵۱۸۰۲

دروس في المسيحيّة

المؤلّف: علي الشّيخ

الطبعة الأولى: ١٤٣٢ق / ١٣٨٩ش

النّاشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة و النشر

المطبعة: زلال كوثر ● السّعر: ٢٤٠٠٠ ريال ● عدد النسخ: ٢٠٠٠

فريق العمل

- التجهيز الفنّي: السيّد محسن عمادي المجد
- الإخراج الفنّي: السيّد محسن عمادي المجد
- مراجعة: كمال سلمان (الحزباوي)
- التدقيق الفنّي: سيدشعبان‌علي هاشمي
- الرقابة الفنّية: هادي عبدالمالكي
- المعتمد العام: سيدمحمد عمادي مجد
- مدير الانتاج: جعفر قاسمي ابهري
- معتمد الطباعة: نعمت‌الله يزداني

التوزيع:

- ... استدارة الشهداء، شارع الحجتيّة، معرض مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر.
- ... الفكس: ٠٢٥١٧٧٣٠٥١٧
- ... محمّد الأمين، تقاطع سالاريّة، معرض مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر.
- ... ٢٥١٢١٣٣١... فكس: ٠٢٥١٢١٣٣١٤٦

www.miup.ir, www...

E-mail: admin@miup...

كلمة الناشر

إن التطور العلمي الذي يشهده عالمنا اليوم، والوسائل التكنولوجية الحديثة قد دفعت بعجلة المدنية والثقافة الى الأمام، بل واصبح الانسان يرقب في كل يوم تصورا آخر، وهذا التطور قد كشف لنا القناع عن بعض المناهج الدراسية في معاهدنا ومؤسساتنا العلمية واذا بها مناهج تحتل زاوية ضيقة من هذا العالم العلمي الفسيح.

من هنا اتخذت المؤسسات العلميّة في الجمهورية الاسلامية في ايران وفي مقدّمتها جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة؛ أتخذت على عاتقها صياغة بعض المناهج الدراسيّة صياغة تلائم الحركة العلميّة المعاصرة، ومالها من متطلّبات بحيث تنسجم مع المحيط العلمي الجديد.

لقد بادرت الاقسام العلميّة في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله بمخاطبة الاساتذة ذوي الأختصاص ليساهموا في وضع مناهج حديثة في علوم القرآن، والفقه، والاصول، والتفسير، والتاريخ، و... كي تلبّي احتياجات الدارسين في مختلف المستويات وعلى صعيد كل الاختصاصات الأنسانية والدينية.

كانت خطوة الجامعة جريئة وموفقة حيث بذرت بذوراً صالحة تفتّقت من خلالها براعم طيبة، وانتجت ثماراً ناضجة تؤتي أُكُلها في كلّ حين.

نعم، لمّا كانت بعض المواد الدراسيّة لم تتوفر فيها الكتب المنهجيّة اللازمة التي تنسجم مع السطح العلمي لعموم المعاهد والمؤسسات العلميّة، فقد أناطت ادارة جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله ـ الحقل العلمي ـ مهمّة تدوين وتأليف هذه المناهج الجديدة والبحوث العلميّة ذات الطابع العلمي والأكاديمي الى جملة من الاساتذة المختصّين والعلماء الأفاضل،

وأولتهم رعاية فائقة وتسهيلات محمودة كي يتمّ انجاز تلك البحوث على وفق المناهج المقرّرة. وفعلا تصدّى للعمل نخبة من العلماء، وأُنجز الكثير من تلك البحوث والمؤلّفات، حيث بذل أصحاب الفضيلة جهوداً مضنية، ومساعي متواصلة، بغية المساهمة الجادة في خلق كادرٍ متخصّصٍ في شتى العلوم والفنون، ثم جاءت هذه المساهمة صادقة في كل ابعادها، تجلّلها النظرة الشمولية والعمق العلمي والبيان الواضح.

إن جامعةالمصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة اصبحت اليوم محطّ انظار الدارسين في الداخل والخارج، وهي تعدّ بحقٍ من اكبر المؤسسات العلمية في عالمنا الاسلامي والعربي، وقد استقطبت العديد من اصحاب الاختصاص من الاساتذة والمؤلفين، كما أغنت المكتبة الاسلامية بمجموعة بحوث ومؤلفات قد تم طبعها ونشرها خلال هذه السنين القلائل لتكون منهلاً عذباً للدارسين وطلاب الحقيقة والمعرفة.

ومن منطلق الخدمة العلميّة يتقدّم دارالنشر المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية في هذه الجامعة بالشكر والتقدير لسماحة الاستاذ لما بذله من جهود تستحق الاحترام والتقدير في علي الشّيخ لكتاب دروس في المسيحيّة كما نشكر اعضاء الكادر الفني الذي ساهم بشكل حثيث في انجاز وطبع هذا الكتاب الماثل بين يدي القاريءالكريم.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد ساهمنا في رفد الحقل العلمي والمكتبة الاسلامية بالبحوث والمؤلفات خدمة للعلم والعلماء ومشاركة منّا في تفعيل الحركة الثقافية في العالم الاسلامي، وما التوفيق إلا من عند الله.

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر

الفهرس

الفصل الأول: تاريخ المسيحيّة

الفصل الثاني: لكتاب المقدّس

الفصل الثالث: لعقائد المسيحيّة الأساسيّة

الفصل الأول:

تاريخ المسيحيّة

١

نبذة عن حياة المسيح عليه السلام

سنحاول في هذا الدّرس إلقاء نظرة سريعة على حياة السّيد المسيح عليه السلام، كما وردت في أناجيل العهد الجديد، ومقارنتها بما جاء به القرآن الكريم، والرّوايات الواردة عن النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وبشكل مختصر، ونبدأ أوّلاً بالإشارة إلى حياة أمّ المسيح، أعني:(مريم)؛ وذلك تماشياً مع ما ذكرته الأناجيل، وأيضاً القرآن الكريم؛ إذ إنّ الأناجيل الّتي ذكرت قصّة حياته وميلاده أشارت أوّلاً إلى أمّه بشكل مختصر، ثمّ كيفية حملها به وولادتها له، وكذلك نرى القرآن الكريم أشار إلى أمّه بشكل مختصر، ومن ثَمّ حادثة حملها وولادتها له عليه السلام.

ولذا أرى من المناسب أن أذكر ـ بإختصار ـ (مريم) والدة المسيح وحياتها، ومن ثمّ أشير إلى حياة المسيح عليه السلام.

أوّلاً: قصّة مريم والمسيح في الأناجيل

حياة مريم أم المسيح عليه السلام

١. سلسلة نسبها: يُذكر عن مريم أمّ يسوع أنّها كانت نسيبة لاليصابات، الّتي كانت من بنات هارون [١]، ممّا قد يدفع إلى الظّن أنّ مريم كانت أيضاً من سبط لاوي، بينما يكاد الإجماع ينعقد على أنّها كانت من نسل داود الملك، وأنّ عبارة: من بيت داود [٢] يمكن أنّ تكون وصفاً للعذراء، أو ليوسف.

---

١. إنجيل لوقا: ١/ ٥.

٢. المصدر: ١/ ٢٧.

ويذكر إنجيل يعقوب الأوّلي ـ وهو إنجيل أبوكريفي ـ[١] أنّ والديها كانا يواقيم من النّاصرة، وحنّة من بيت لحم، ولا يذكر في الكتاب المقدّس من أقربائها سوى أختها[٢]. وبالمقارنة بين إنجيل مرقس[٣] وإنجيل متى[٤]، يكاد يكون من المؤكّد أنّ أختها هذه كانت سالومة أمّ ابني زبدي، وفي هذه الحالة يكون الحواريّين يعقوب ويوحنّا ابني خالة يسوع.

٢. الخطبة: تربّت مريم في النّاصرة، والأرجح أنّها كانت في العقد الثّاني من عمرها عندما خُطبت، وينقل في بعض المصادر القديمة إنّها كانت بنت أثني عشرة سنة عندما خُطبت ليوسف، الّذي كان شاباً يشرع في الزّواج لأوّل مرّة.

وكانت الخطبة في العادات اليهوديّة تكاد تعتبر زواجاً، فكان يُعرض الأمر على الفتاة، ثمّ تقدّم لها هديةً صغيرةً كمهر؛ وذلك في حضور شهود، وقد يسجل ذلك كتابة، ومنذ تلك اللحظة تعتبر الفتاة زوجة ولذلك يقول الملاك ليوسف في أثناء الخطبة:

> يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأخذ مريم أمرأتك، لأنّ الّذي حُبل به فيها من الرّوح القدس.[٥]

ولو مات خاطب المرأة في أثناء الخطبة، فإنّها كانت تعتبر أرملة خاضعة لشريعة الزواج من أخي الزوج، ولم يكن في إمكان الفتاة المخطوبة أن تتخلّص من خاطبها إلاّ بوثيقة طلاق، ومع ذلك كان أيّ اتّصال جنسي بين المخطوبين ـ قبل أن يُشهر الزّواج ويتمّ الزّفاف ـ يُعتبر زنا.

٣. البشارة: في أثناء فترة الخطبة، ظهر الملاك جبرائيل ليبشّرها بالحمل بالمسيح، وحياها بالقول: «سلام لك أيّتها المنعم عليها... الرّب معك». فهي قد نالت نعمةً من الرّب. فاضطربت مريم من كلامه، فقال لها الملاك:

> لا تخافي يا مريم؛ لأنّك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويعطيه الرّب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية[٦].

---

١. أي: من الأناجيل غير القانونيّة، الّتي لم تعتمدها الكنيسة.
٢. إنجيل يوحنّا: ١٩/ ٢٥.
٣. إنجيل مرقس: ١٥/٤٠.
٤. إنجيل متّى: ٥٦/٢٧.
٥. المصدر ١/ ٢٠.
٦. إنجيل لوقا: ١/ ٢٦ ـ ٣٣.

وقد سألت مريم السّؤال المنطقي: «كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً»؟ أي: لم يحصل أيّ اتّصال بيني وبين رجل. ولم يكن هذا عن شكّ، أو عدم إيمان، بل انتابتها الحيرة عن كيفيّة إتمام ذلك.

فأجابها الملاك: «الرّوح القدّس يحلّ عليك، وقوّة العلي تظلّلك، فلذلك أيضاً القدّوس المولود منك، يدعى ابن الله». وهو قاطع بحبل مريم العذراوي.

وأردف الملاك بالقول:

«هوذا أليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو شهر السّادس لتلك المدعوة عاقراً، لأنّه ليس شيء غير ممكن لدى الله». فأجابت مريم بكلمات تدلّ على مدى وداعتها وإيمانها وخضوعها للرّب: «هوذا أنا أمة الرّب، ليكن لي كقولك».[1]

٤. زيارتها الأليصابات أمَ يحيى عليه السلام:

بعد أن مضى من عندها الملاك ببضعة أيّام، ذهبت مريم لزيارة منزل زكريا وأليصابات. ويكتفي كاتب إنجيل لوقا بالقول إنّها «ذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا». وعندما دخلت البيت وسلّمت على أليصابات، فوجئت بقول أليصابات: «مباركة أنت في النّساء، ومباركة هي ثمرة بطنك، فمن أين لي هذا أن تأتي إليّ أم ربّي؟»[2].

٥. ولادة المسيح: وبعد عودتها إلى النّاصرة بقليل، وجدت (مريم) حُبلى من الروح القدّس، ويوسف رجلها إذ كان باراً، ولم يشأ أن يُشهرها، أراد تخليتها سراً دون أن يعرضها للعار، بل للرّجم، ولكن فيما هو يفكر في هذه الأمور، وإذا ملاك الرّب قد ظهر له في حلم قائلاً:

يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأنّ الّذي حُبل به فيها من الروح القدس[3].

وطلب منه ما سبق أن طلبه من مريم، أن يسمي الطّفل (يسوع) ومعناه: يهوه يخلص، وحالما استيقظ يوسف من النّوم، فعل كما أمره ملاك الرّب، وأخذ امرأته، ولم يعرفها حتّى ولدت ابنها البكر[4].

---

١. المصدر: ١/ ٣٨.
٢. إنجيل لوقا: ١/ ٤٣ ـ ٤٤.
٣. إنجيل متّى: ١/ ١٩ ـ ٢١.
٤. المصدر: ١/ ٢٤ ـ ٢٥.

ومن قصّة متّى وحدها، قد يتبادر إلى الذّهن أنّ بيت لحم كان مقر إقامة يوسف ومريم، ولكن لوقا يشرح لنا سبب ذهابها إلى بيت لحم، فقد أصدر أوغسطس قيصر أمراً: «بأن يكتتب كلّ المسكونة»، أي: قام بعمليّة التعداد السّكاني. وقد اتّهم بعض النّقاد كاتب إنجيل لوقا بعدم الدّقة، على أساس أنّ التّأريخ لم يذكر أنّ تعداداً حدث في وقت ولادة المسيح، وأنّ الأمر لم يكن يستوجب أن يقطع الإنسان نحو ثمانين ميلاً لكي يملأ بطاقة التّعداد، ولكن المسيحيّين يعتقدون أنّ الاكتشافات الأثريّة أثبتت دقة إنجيل لوقا.

وبسبب ازدحام مدينة بيت لحم بالقادمين من أجل التّعداد، امتلأت فنادقها بهم، حتّى لم يكن لمريم ويوسف موضع، فاضطرت مريم أن تضع حملها في مغارة تسمى: مغارة كهف بيت لحم، ووضعت الطّفل في: مذود، كما تذكر الأناجيل الأبوكريفيّة.

وفي الحقول، كانت جماعة من الرّعاة يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وكانت هذه القطعان توجد دائماً قريبة من منطقة أورشليم؛ لإمكان تقديم الذّبائح في الهيكل في أورشليم، الّذي لم يكن يبعد عنهم بأكثر من ستّة أميال، وظهر ملاك الرّب للرّعاة وبشرهم بولادة المسيح، فأسرعوا إلى بيت لحم ووجدوا الطّفل مقمّطاً مضجعاً في مذود، كما قال لهم ملاك الرّب.

ويذكر إنجيل متى بهذا الخصوص:

جاء المجوس من الشّرق، يقودهم النّجم الّذي رأوه في المشرق، بحثاً عن المولود، فلمّا سمع هيرودوس أخبارهم اضطرب، وعندما تحقّق من رؤساء الكهنة والكتبه أنّه يولد في بيت لحم، بناءً على نبوة ميخا النّبيّ، فاستدعى المجوس وأرسلهم إلى بيت لحم لاستقصاء الأمر، والعودة إليه، وكانت العائلة قد انتقلت إلى بيت لحم، فجاء إليه المجوس ورأوا الصّبي مع مريم أمّه، فخروا وسجدوا له، وقدموا له هداياً ذهباً ولباناً ومراً، ثمّ إذ أوحي إليهم في حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس، انصرفوا في طريق أخرى[1].

بعد رحيل المجوس، أمر ملاك الرّب يوسف أن يأخذ الصّبي وأمّه، ويهرب إلى مصر... لأنّ هيرودس مزمع أن يطلب الصّبي ليهلكه، فقام وأخذ الصّبي وأمّه ليلاً وانصرف إلى

---

١. إنجيل متّى: ٢/ ١ ـ ١٢.

مصر، وكان هناك إلى وفاة هيرودس، ولا يذكر لنا الكتاب كم مكثت العائلة في مصر، أو أين أقامت. وتقول بعض التّقاليد القديمة إنّها مكثت في مصر نحو سنتين، وأن كان البعض يرون أنّها لم تمكث في مصر سوى بضعة أشهر.

ولما مات هيرودس ظهر ملاك الرّب في حلم ليوسف في مصر قائلاً: قُمْ خذ الصّبي وأمّه واذهب إلى أرض إسرائيل؛ لأنّه قد مات الّذين كانوا يطلبون نفس الصّبي، فنفذ يوسف الأمر، ولكنّه عاد إلى النّاصرة في الجليل، والأناجيل لا تتحدّث عن مريم أكثر من هذا بخصوص ولادتها لعيسى عليه السلام، بل هي لا تذكر مريم ومواقفها من المسيح بعد بعثته سوى ثلاث أو أربع مرات.

ثانياً: حياة المسيح عليه السلام

وأمّا بخصوص المسيح عليه السلام وحياته، فإنّا نجد في الأناجيل الأربعة مادّة كافية ترشدنا إلى الحوادث الرّئيسة في حياته على الأرض، ويمكن تقسيمها كالتّالي:

١. ميلاده الإعجازي

يعتقد المسيحيون أنّ كتّاب الأناجيل عرفوا الحقائق المتعلّقة بميلاد المسيح المعجزي، من شهود عيان، ومن أشخاص لازموا هذه الحقائق عند وقوعها، وهي مذكورة في إنجيلي متّى ولوقا، وبشكل مفصّل قريب ممّا ذكره القرآن الكريم.

وكان لوقا ـ وكما يظهر من مقدّمة إنجيله ـ شغوفاً كلّ الشغف بجمع الحقائق الخاصّة بحياة المسيح، ولا يمكن الجزم تأريخيّاً أنّ لوقاً قابل مريم أمّ المسيح نفسها، لكنّه أخذ الحقائق الّتي تتعلّق بميلاده، الّتي تعرفها مريم وحدها أمّا منها، أو من المقرّبين إليها الّذين استقوها منها شخصيّاً. فقصّة ميلاد المسيح المذكورة في إنجيل لوقا والّتي تشير إلى الحبل به من الرّوح القدّس تذكر في هذا الإنجيل من وجهة نظر مريم، وكما لامست حوادثها وحقائقها بنفسها، وعلى العكس من ذلك يعتقد النّصارى أنه في إنجيل متى، وعندما يذكر قصّة ميلاد المسيح فإنّه يذكرها من وجهة نظر يوسف، وقصّة ولادته في إنجيل لوقا هي بهذا الشّكل، يقول لوقا: «وفي الشّهر السّادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم،

فدخل إليها الملاك، وقال:

> سلام لك أيّتها المُنعم عليها، الرب معك. مباركة أنت في النّساء، فلمّا رأته اضطربت من كلامه، وفكّرت: ما عسى أن تكون هذه التّحيّة. فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم، لأنّك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً، واستميه الرّب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لمُلكه نهاية. فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ فأجاب الملاك، وقال لها: الرّوح القدس يحلّ عليك، وقوّة العَليّ تُظلّلك، فلذلك أيضاً القدّوس المولود منك يُدعى ابن الله. وهوذا أليصابات نسيبك هي أيضاً حُبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوّة عاقراً، لأنّه ليس شيء غير ممكن لدى الله. فقالت مريم: هوذا أنا أمَة الرّب. ليكن لي كقولك، فمضى من عندها الملاك[١].

وقد ذكرنا آنفاً قصّة ولادته في بيت لحم[٢].

٢. طفولة المسيح وصباه

نُدرك من إنجيل لوقا[٣] أنّ حياة يسوع من طفولته إلى شبابه كانت شبيهة بحياة الإنسان العادي ما خلا أنّها كانت كاملة، ففيه تحقّق مثال الإنسان الكامل، الّذي أراده الله أن يكون مثالاً للبشر في كلّ مراحل حياته، ومع أنّه عاش في بيت وضيع مع مريم ويوسف، وربّما أيضاً مع إخوته وأخواته المذكورين في الكتاب، إلاّ أنّ حياته كانت في كلّ الأوقات والظّروف متّفقة تماماً مع إرادة الله.

ويبدو جلياً أنّه بدأ في حداثته المبكّرة، وفي سن صغيرة يدرس العهد القديم دراسة عميقة وواسعة، ويبدو أيضاً أنّ يوسف الّذي ربّاه مات، لهذا بدأ يسوع يعمل كنجّار بجد واجتهاد؛ كي يُعين أمّه وإخوته في شؤون معيشتهم، كما يُشير إنجيل متّى[٤]. إلاّ أنّه أعطي وقتاً كافياً للتأمل ودراسة الكتب المقدّسة والصّلاة، وأنّنا لا نجد في العهد الجديد الكثير عن طفوليّة يسوع، ما عدا هذه الإشارات البسيطة، والقول الوارد في إنجيل لوقا: «وأمّا يسوع، فكان يتقدّم في الحكمة والقامة والنّعمة عند الله والنّاس»[٥].

---

١. إنجيل لوقا: ١/ ٢٦ ـ ٣٨.

٢. بيت لحم: اسم عبري معناه: بيت الخبز. وهي قرية صغيرة تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من أورشليم، وقد بنت الإمبراطورة الرّومانيّة هيلانة في القرن الرّابع الميلادي كنيسة فوق المغارة الّتي يظنّ أن عيسى وُلد فيها، تسمّى: كنيسة المهد، وهي أقدم كنيسة مسيحيّة في العالم.

٣. إنجيل لوقا: ٢/ ٤٠.

٤. إنجيل متّي: ١٣/٥٥ ـ ٥٦.

٥. إنجيل لوقا: ٢/ ٥٢.

٣. معموديّته وتجربته

عندما بلغ المسيح الثّلاثين من العمر حوالي عام ٢٧ م، ترك مدينته النّاصرة واعتمد من يوحنّا المعمدان في نهر الأردن في فلسطين[١].

وأمّا عن تجربة الشّيطان له، فإنّ إنجيل متّى يذكر أنّ المسيح ذهب إلى صحراء اليهوديّة لكي يجربه إبليس، حتّى يثبت كفايته وأهليته للنّبوة والرّسالة، فكان عليه أن يبرهن أوّلاً على طاعته المطلقه من غير قيد ولا شرط للرّب السّماوي، ويدلّل على قدرته في الانتصار على الشّيطان.

وقد ذكرت هذه الحادثة في إنجيل متّى ولوقا مع اختلاف يسير في الألفاظ، وأنا أذكرها كما جاءت في إنجيل متّى، حيث يقول:

> ثمّ اصعد يسوع إلى البرية من الرّوح ليجرّب من إبليس، فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلةً، جاع أخيراً، فتقدّم إليه المجرّب، وقال له: إنّ كنت ابن الله، فقل أن تصير هذه الحجارة خُبزاً؟ فأجاب، وقال: مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله. ثمّ أخذه إبليس إلى المدينة المقدّسة، وأوقفه على جناح الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل؛ لأنّه مكتوب: أنّه يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك. قال له يسوع: مكتوب أيضاً: لا تُجرّب الرّب، إلهك. ثمّ أخذه أيضاً إبليس إلى جبلٍ عالٍ جدّاً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي، حينئذٍ قال له يسوع: اذهب يا شيطان، لأنّه مكتوب: للرّبّ إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبده. ثمّ تركه إبليس، وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه[٢].

٤. بعثته عليه السلام

بعد أن انتصر المسيح على الشّيطان، بدأ رسالته الجهارية والعلنية فدعا تلاميذه الأوّلين، وأظهر قوته بعمل بعض المعجزات، وقد مهّد لهذه المرحله من خدمته العلنيّة وفقاً للنظرة المسيحيّة، يوحنّا المعمدان (يحيى)، ويمكن إيجاز مراحل بعثته بما يلي:

أ) دعوته في الجليل

كان وضع يحيى في السّجن إشارة إلى بداية بعثة المسيح في الجليل معلناً النّداء أنّه قد جاء الميعاد، وقد اقترب ملكوت الله[٣]. وعندما أعلن في مجمع الناصرة

---

١. المصدر، ٣/ ٢٣، والتّعميد، يعني: الغسل بالماء. ويوحنّا المعمدان هو: يحيى في القرآن الكريم.

٢. إنجيل متّى: ٤/ ١ ـ ١١.

٣. إنجيل مرقس: ٤/١ و١٠.

بأنّه هو المقصود بالنبوات عن المسيا المنتظر، وأنّ هذه النبوات قد تمّت فيه، رفضه قومه وأهل بلدته[١] من بعد هذا اتّخذ المسيح كفر ناحوم[٢] مركز بث دعوته ونشر رسالته، وبقيت كفر ناحوم مركزاً له مدّة تزيد على سنة كاملة من بعثته. فكان يعلّم في كفر ناحوم وفي أنحاء أخرى من الجليل، ويعمل المعجزات[٣].

وقد اختار من بين تلاميذه وأتباعه اثني عشر ليكونوا تلاميذه المقرّبين[٤]. وقد علّم هؤلاء، ودرّبهم ليكونوا رسله.

ولم يبدو عليه قط أدنى خوف من أعدائه من علماء اليهود والفريسيين، فزاد هذا من قوة تأثير معجزاته الّتي أجراها بين النّاس.

وقد ذاعت شهرته بسبب هذه التّعاليم والمعجزات بين جماهير الجليل، وقد وصلت هذه الشّهرة إلى الذّروة في معجزة إطعام الخمسة آلاف[٥].

ب) تعليمه للحواريّين الاثنى عشر

بعد أن رفض المسيح طلب الجماهير له، من أن يُتوّج ملكاً أرضيّاً[٦] تركته الجماهير حتّى أنّ بعضاً من تلاميذه تركوه ومضوا عنه، فذهب إلى منطقة صور وصيدا، وقيصريّة فيلبس، ثمّ عاد مرّة أخرى إلى البلدان القريبة من بحر الجليل، وشفى كثيرين، وأعان كثيرين في محنهم؛ لأنّه تحنن على النّاس وأشفق قلبه عليهم، ثمّ ترك الجموع مرّة أخرى، وذهب على انفراد مع تلاميذه.

وبدأ من ذلك الحين يعدّ الحواريّين إعداداً قويّاً واضحاً جليّاً، لمهمتهم العتيدة، بصفتهم نواة كنيسته وأعضاؤها الأولون، فعلّمهم حقائق كثيرة بشكل مباشر أو غير مباشر، وبصورة أمثال.

فكثرت المقاومة ونما عداء علماء اليهود وقادتهم له، وسار حقدهم عليه من سيء إلى أسوأ. فقاموا بكلّ حيلة ووسيلة، لكي يوقعوه في فخاخهم حتّى يحطموا سيطرته على الجماهير وقوّة تأثيره عليهم، وسعوا لإيجاد ذنب أو جرم عليه؛ ليسلّموه للسّلطات

---

١. إنجيل لوقا: ٤/ ١٦.

٢. كفر ناحوم: اسم عبري معناه «قرية ناحوم» وهي واقعة على بحر الجليل، جعلها المسيح مركزاً له حتّى دعيت «مدينته».

٣. إنجيل متّى: ٤/ ٢ ـ ١٤ و ١٤/ ١٣؛ إنجيل مرقس: ١/ ١٤ و ٦: ٣٤؛ إنجيل لوقا: ٤/ ١٤ و ٩: ١١ إنجيل يوحنّا: ٤/ ٤٦ ـ ٥٤.

٤. إنجيل متّى: ١٠/١ـ٤؛ إنجيل لوقا: ٦/١٢–١٦.

٥. إنجيل متّى ١٤: ١٣ ـ ٢١ وإنجيل مرقس ٦: ٣٠ ـ ٤٤ وإنجيل لوقا ٩: ١٠ ـ ١٧.

٦. إنجيل يوحنّا: ٦/٢٦ـ٢٧.

الرّومانيّة لتنفيذ حكم الموت فيه.

ج) نهاية حياته الأرضيّة

من المسائل الّتي اختلف فيها القرآن الكريم مع الأناجيل حول قصّة حياة المسيح، هي نهاية حياته الأرضيّة، فالأناجيل ظاهراً تؤكّد على أنّه صُلِبَ ومات ودُفن وقام ورُفع، في حين أنّ القرآن الكريم يؤكّد على أنّ الله أنقذه من كيد أعدائه ورفعه إليه، وسأشير باختصار إلى ما تقوله الأناجيل أوّلاً حول قصّة نهايته، ثمّ أذكر رأي القرآن الكريم على ذلك، تقول الأناجيل:

دخل المسيح أورشليم جهاراً وسط هتاف الجماهير، فدخل إلى الهيكل[1] وطرد الصّيارفة والباعة، ومن يتجرون في الأبقار والأغنام والحمام، من ساحة الهيكل الخارجيّة، وكان يعلم في الهيكل، وتنبأ بما يحل بشعب اليهوديّة وبأورشليم وبالهيكل[2].

وفي المساء السّابق لصلبه أراد أن يعدّ رسله إعداداً نهائيّاً للمهمّة الّتي تنتظرهم، فغسل أرجلهم[3]، معلماً إياهم درساً لازماً لهم في التّواضع والوداعة.

وأعلن لهم أن يهوذا الّذي كان واحداً منهم سيسلمه، ورسم لهم فريضة العشاء الرّباني، ثمّ أجهد نفسه بالصّلاة كثيراً، ثمّ أُلقي القبض عليه، وتمت محاكمته وصلبه فمات عليه السلام، وأنا أنقل هذه التّفاصيل من إنجيل متى، حيث يقول:

> حينئذٍ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يُقال لها جثسيماني، فقال للتّلاميذ: إجلسوا ههنا، حتّى أمضي وأصلي هناك، وابتدأ يحزن ويكتئب، ثمّ تقدّم قليلاً وخرّ على وجهه، وكان يُصلي قائلاً: يا أبتاه، إن أمكن فلتعبُرْ عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أُريد أنا، بل كما تُريد أنت.
>
> ثمّ جاء إلى تلاميذه، وقال لهم: ناموا الآن واستريحوا! هوذا السّاعة قد اقتربت، وابن الإنسان يُسلّم إلى أيدي الخُطاة.
>
> وبينما هو يتكلّم، إذا يهوذا أحد الاثني عشر قد جاء ومعه جمع كبير بسيوف

---

١. إنجيل يوحنّا: ٢٦/٦_٢٧. هيكل: كلمة سومريّة معناها: البيت الكبير، وهو مكان عبادة الله، ولكن اليهود لم يطلقوا اسم هيكل على كلّ مكان للعبادة، بل على مكان واحد كبير في القدّس، وأمّا باقي أماكن العبادة فكانت تسمّى مجامع، وهيكل القدّس بناه سليمان عليه السلام، وسمّي باسمه، وقد دُمرّ لمرّات عديدة، وأعيد بناءه.

٢. إنجيل لوقا ٢١: ٢٠ ـ ٢٤.

٣. إنجيل يوحنّا ١٣: ١ ـ ١١.

وعصيٍّ من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشَّعب. والّذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً: الّذي أقبّله هو هو، أمسكوه. فللوقت تقدّم إلى يسوع وقال: السّلام عليك يا سيّدي وقبّله، فقال له يسوع: يا صاحبي، لماذا جئت؟ حينئذٍ تقدّموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه.

والّذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة، حيث اجتمع الكتبة والشّيوخ، وقالوا: إنّه مستوجب الموت، حينئذٍ بصقوا في وجهه، ولكموه وآخرون لطموه...

فوقف يسوع أمام الوالي فسأله الوالي قائلاً: أأنت ملك اليهود؟! قال له يسوع: أنت تقول، وبينما كان رؤساء الكهنة والشّيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء، فقال له بيلاطُس: أما تسمع كم يشهدون عليك؟! فلم يُجبه عن كلمة واحدة، قال لهم: فماذا أفعل بيسوع الّذي يُدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليُصلب!

فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية، وجمعوا عليه كلّ الكتيبة، فعرّوه وألبسوه رداء قرمزياً، ولما أتوا إلى موضع يُقال له جُلجُثة، وهو المسمى موضع الجمجمة، أعطوه خلاًّ ممزوجاً بمرارة ليشرب، ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها.

ونحو السّاعة التّاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي، إيلي، لِما شبقتني؟ أي: إلهي، إلهي، لماذا تركتني.

فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم، وأسلم الرّوح.

ولما كان المساء، جاء رجل غنيّ من الرّامة اسمه يوسف، وكان هو أيضاً تلميذاً ليسوع. فهذا تقدّم إلى بيلاطُس، وطلب جسد يسوع، فأمر بيلاطُس حينئذٍ أن يُعطى الجسد، فأخذ يوسف الجسد ولفّه بكتان نقيّ، ووضعه في قبره الجديد، الّذي كان قد نحته في الصّخرة، ثمّ دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى.

وبعد السّبت، عند فجر أوّل الأسبوع جاءت مريم المجدليّة ومريم الأخرى لتنظرا القبر، وإذا ملاك الرّب نزل من السّماء، وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما، فإنّي أعلم أنّكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا، لأنّه قام، واذهبا سريعاً وقولا لتلاميذه إنّه قد قام من الأموات.

وظهر لتلاميذه أربعين يوماً، وأرسلهم لكي يتلمذوا جميع الأمم، ثمّ بعد ذلك صعد إلى السّماء، وقد رفع يديه وباركهم»[١].

وبهذا اختتمت حياة المسيح على الأرض وفقاً للقصّة الإنجيليّة.

ثالثاً: قصّة مريم وعيسى في القرآن

عند مطابقة ما نقله القرآن الكريم عن قصّة مريم وعيسى، نجد أنّ هناك اختلافاً عمّا نقلته الأناجيل، فيبدأ القرآن أوّلاً بذكر كيفيّة ولادة مريم، وبعد ذلك يبدأ بالحديث عن كيفيّة

---

١. إنجيل متّى: ٢٦/ ٣٦؛ ٢٧: ٢٠.

حبلها وولادتها لعيسى عليه السلام.

أ) ولادة مريم عليها السلام

تبدأ قصّة مريم عليها السلام في القرآن عند ذكر أُمها، وهي امرأة عمران، واسمها في بعض الرّوايات (حنّة)، وكانت تحنُّ إلى الأولاد ولم يُرزقا ولداً، فتوجّهت إلى الله تعالى بالدّعاء، فلم تمض مدّة طويلة حتّى حملت.

وظنّت أنّ الجنين الّذي هو في بطنها ذكر، ولذلك فقد نذرت ما في بطنها محرّراً، و قد أشار القرآن إلى هذا النّذر في قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

ولكن المفاجأة جاءت عند ولادة «حنّة»؛ إذ إنّها أنجبت أنثى لا ذكر، كما كانت تظّن، ويشير القرآن الكريم إلى هذه المفاجئة بقوله: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2].

وكلمة (مريم) في لغتهم تعني: العابدة والخادمة على ما قيل، وهو اسم علم امرأة باللغة السّريانيّة.

ولكنَّ الله تعالى تقبّل هذا المولود بالرّغم من كونه أنثى، فقال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[3].

والظّاهر من آيات القرآن الكريم، والصّريح من الأحاديث تشير إلى أنّ مريم عليها السلام ولدت وهي يتيمة الأب، فعن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّها أيتمت من أبيها.

فجاءت بها أُمّها إلى بيت المقدّس، وقدّمتها لعلماء اليهود، وقالت: دونكم النّذيرة، فتنافس فيها الأحبار؛ لأنّها كانت بنت نبيّهم، وأخيراً اتّفقوا على إجراء القرعة بينهم، فجاؤوا إلى نهر وأحضروا أقلامهم، الّتي كانوا يقترعون بها وألقوها في الماء ـ على قاعدة أنّ الّذي يطفو قلمه على سطح الماء فهو الرّابح ـ فرست أقلام الجميع إلاّ زكريا عليه السلام فصارت مريم في كفالته، وقد أشار سبحانه في كتابه إلى كفالة زكريا لمريم بقوله: ﴿وكفّلها زكريّا﴾. وإلى

---

١. آل عمران: ٣٥.

٢. آل عمران: ٣٦.

٣. آل عمران: ٣٧.

القرعة بقوله تعالى: ﴿ذلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1].

وكانت العذراء مريم تقضي كلّ وقتها في محراب العبادة، لا يدخل إليها أحد إلاّ النّبيّ زكريا، فقد كان يأتي إليها بالطّعام والشّراب.

وكان كلّما جاءها زكريا وجد عندها رزقاً وألواناً من الطّعام لا يعرف مصدره، فاحتار عليه السلام في ذلك وسألها عن مصدر الرّزق، فقالت: إنّه من عند الله، وقد ذكر القرآن الكريم هذه المعجزة لها في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمَحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

ب) قصّة ولادة المسيح عليه السلام

يذكر القرآن الكريم قصّة ولادة المسيح عليه السلام الإعجازيّة بنوع من التّفصيل، فبينما كانت مريم عليها السلام تتعبّد لله تعالى، وإذا بملك وروح يظهر لها متمثّلاً بصورة بشريّة، فذعرت مريم وخافت، فاستعاذت بالله لإنقاذها، فقال لها الرّوح: ـ وقيل: إنّه جبرائيل عليه السلام ـ إنّما أنا رسول من عند الله تعالى لأهب لك غلاماً زكياً، فاستغربت مريم كثيراً من هذا الكلام، لأنّها لم تقارب رجلاً لا في الحلال ـ الزّواج ـ ولا في الحرام والعياذ بالله ـ الزّنا ـ.

فقال لها الملاك حينئذٍ: إنّ حمل امرأة من غير مقاربة مع رجل وإن كان أمراً فوق العادة، ولكنّه هيّنٌ على الله تعالى، والحكمة في ذلك أن يكون هذا الطّفل معجزة وآية للنّاس، وقد ذكر القرآن هذه المحاورة بين مريم والرّوح في قوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ[3] لَهَا بَشَراً سَوِيّاً * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمن مِنكَ إِن

---

١. آل عمران: ٤٤.

٢. آل عمران: ٣٧.

٣. قال صاحب تفسير الميزان في معنى التّمثيل: كثيراً ما ورد التّمثيل في الرّوايات، وأمّا في الكتاب فلم يرد ذكره إلاّ في قصّة مريم في سورتها، قال تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً﴾ والآيات التّالية الّتي يعرّف فيها جبريل نفسه لمريم خير شاهد على أنّه كان حال تمثّله لها في صورة بشر باقياً على ملكيته، ولم يصر بذلك بشراً، وإنّما ظهر في صورة بشر وليس ببشر، بل ملك، وإنّما كانت مريم تراها ـ الصّورة ـ في صورة بشر.

فمعنى تمثّله لها كذلك ظهوره لها في صورة بشر، وليس عليها: الصّورة البشريّة في نفسه، بمعنى: أنّه كان في ظرف إدراكها على صورة بشر، وهو في الخارج عن إدراكها على خلاف ذلك.

كُنتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً * قَالَ كَذلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاس وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مقْضِيّاً﴾[١].

وكذلك ذكر سبحانه وتعالى هذا الحوار في موضع آخر في كتابه المنزل حيث قال: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَة مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٢].

وأمّا كيفية الحمل، فالقرآن الكريم يشير إلى أنّ ذلك كان بالنّفخ من روح الله عن طريق الفرج، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٤].

وأمّا مدّة الحمل فقد اختلف فيه، و قد يُستفاد من آيات القرآن الكريم ومن بعض الرّوايات أنّ الحمل بالمسيح عليه السلام لم يكن تسعة أشهر كما هو المتعارف، بل كان وقتاً قصيراً مخالفاً للعادة.

وقد ورد في الروايات أن حمل مريم بعيسى عليه السلام كان تسع ساعات لا تسعة أشهر، فقد ورد عن الإمام جعفر الصّادق عليه السلام: أنّ مريم حملت بعيسى تسع ساعات كلّ ساعة شهر[٥].

ولكن هناك بعض الرّوايات تؤكّد أنّ مريم حملت بالمسيح عليه السلام فترة ستة أشهر، فقد ورد في أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: لم يولد لستة أشهر إلاّ عيسى ابن مريم والحسين بن علي[٦].

وأمّا مكان ولادته فلم يذكر القرآن الكريم ذلك، ولكنّه أشار إلى ذلك بقوله تعالى:

وهذا هو الّذي ينطبق على معنى التّمثل اللغوي، فإنّ معنى تمثّل شيء لشيء في صورة كذا، هو تصوره عنده بصورته وهو هو، لا صيرورة الشّيء شيئاً آخر، فتمثّل الملك بشراً هو ظهوره لمن يشاهده في صورة الإنسان لا صيرورة الملك إنساناً، ولو كان التمثّل واقعاً في نفسه وفي الخارج عن ظرف الإدراك كان من قبيل صيرورة شيء شيئاً آخر، وانقلابه إليه لا بمعنى ظهوره له كذلك: الميزان في تفسير القرآن: ١٤/ ٣٦.

١. مريم: ١٧ ـ ٢١.
٢. آل عمران: ٤٥ ـ ٤٧.
٣. التّحريم: ١٢.
٤. الأنبياء: ٩١.
٥. للوقوف على تفاصيل أكثر بهذا الخصوص، أنظر: بحار الأنوار، ج ١٤.
٦. أصول الكافي ١: ٤٦٤.

﴿فحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً﴾[١].

والمكان القصّي هو البعيد، وقد اختلفت الرّوايات كثيراً في ذكر هذا المكان القصي، فبعضها يذكر أنّ مريم عليها السلام ولدت المسيح في العراق، وتحديداً في الكوفة، أو النجف.

والبعض الآخر يشير إلى أنّ الولادة المباركة كانت في بغداد، وزعم البعض أنّه ولد في مصر، والمشهور أنّها كانت ببيت لحم في فلسطين، وهو الأقرب إلى الصّحة[٢].

وأمّا أحداث الولادة، فقد ذكر القرآن كيفيتها في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً * فَأَجَاءَهَا الْمخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ...﴾[٣].

وهذا المنادي قيل: هو جبرائيل، وقيل: هو عيسى عليه السلام، ناداها بأن لا تحزن فقد جعل لها تحتها سرياً، وهو النّهر، وأمرها بهزّ جذع النّخلة (وقيل: إنّها كانت يابسة) فتساقط عليها الرطب، فأكلت وشربت وقرّت عيناً.

وبعد الولادة رجعت مريم إلى قومها، وهي حاملة المسيح عليه السلام على صدرها، فلمّا رأوا طفلاً حديث الولادة معها، أسرعوا إلى اتّهامها بالفحشاء والمنكر، وقالوا: يا مريم لقد فعلت منكراً عظيماً ﴿قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾[٤].

فلمّا ضاق بها الحال سكتت ولم تجب بشيء، بل أشارت بيدها إلى الطّفل حتّى يجيبهم ويكشف لهم عن حقيقة الأمر، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ فاستغربوا من أمرها، وقالوا: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾ وعندها تكلّم المعجزة عيسى عليه السلام ليبرّء ساحة أمّه القدّيسة من كلّ اتّهام باطل وقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيّاً * وَبَراً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾[٥].

هذه قصّة ولادة المسيح عليه السلام كما بيّنها القرآن الكريم، وختم قصّة ولادته وكلامه للنّاس

---

١. مريم: الآية ٢٢.
٢. راجع: بحار الأنوار: ١٤/ ٥٤.
٣. مريم: ٢٢ ـ ٢٦.
٤. مريم: ٢٧.
٥. مريم: ٣٠ ـ ٣٣.

بقوله سبحانه: ﴿ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَاكَانَ لِلَّهِ أن يَتَّخِذَ مِن وَلَد سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

ج) طفولة المسيح عليه السلام و شبابه

إنّ القرآن الكريم لم يذكر شيئاً عن طفولة المسيح عليه السلام وشبابه، بل وحتّى الرّوايات سكتت عن هذه الفترة من حياة المسيح عليه السلام إلاّ يسيراً، ويظهر في بعض الأخبار أنّ مريم عليها السلام حملت المسيح عليه السلام ومعها يوسف النّجار على حمار حتّى وردا أرض مصر، فهي الرّبوة الّتي قال الله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَة ذَاتِ قَرَار وَمَعِين﴾[2].

وينقل أنّ المسيح عليه السلام عندما بلغ سبع سنين أسلمته أمّه إلى الكتّاب، فجعل لا يعلّمه المعلّم شيئاً إلاّ بدره إليه.

د) بعثته عليه السلام

لم يذكر القرآن متى كان ابتداء نبوة المسيح ولا كيف كان ذلك، والمشهور أنّ المسيح عليه السلام بُعث وقد بلغ الثّلاثين من عمره الشّريف، ورفع إلى السّماء بعد ثلاث سنين، يقول الطّبري في تأريخه:

> فجاءه الوحي [عيسى عليه السلام] على ثلاثين سنة، وكانت نبوته ثلاث سنين، ثمّ رفعه الله إليه[3].

وقيل: إنّه كان نبيّاً وهو طفل صغير، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾[4].

ويقول البعض من المفسّرين أنّه كان أوتي الكتاب والنبوة، لا أنّ ذلك إخبار بما سيقع، والبعض الآخر ذهب إلى أنّه كان نبياً، ولكن لم يكن مرسلاً.

ويؤكّد القرآن أنّ الله تعالى أرسل المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَرَسُولاً

---

١. مريم: ٣٤ ـ ٣٥.
٢. المؤمنون: ٥٠.
٣. تأريخ الطّبري: ١/ ٣٥٢.
٤. مريم: ٣٠.

إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَة مِن رَبِّكُمْ﴾[١].

والظّاهر من الآيات القرآنيّة أنّ كلّ خطابات المسيح عليه السلام كانت موجّهة إلى بني إسرائيل.

ويؤكّد القرآن على نزول الإنجيل على المسيح عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

وهذا يدلّ على أنّ الإنجيل المذكور في الآية ـ ومعناه البشارة ـ كان كتاباً أُنزلَ على المسيح عليه السلام لا مجرد بشارة من غير كتاب، غير أنّ الله سبحانه لم يفصّل القول في كلامه في كيفية نزوله على عيسى عليه السلام، كما فصّله في خصوص القرآن.

فالقرآن الكريم لم يذكر في تفصيل نزول الإنجيل ومشخّصاته شيئاً، لكن ذكر نزوله على عيسى عليه السلام محاذياً لذكر نزول التّوراة على موسى عليه السلام، ونزول القرآن على محمّد صلى الله عليه وآله يدلّ على كونه كتاباً في عرض الكتابين.

والظّاهر أنّ الإنجيل المنزل على المسيح عليه السلام كان يشتمل كما ذكرنا على بعض الأحكام الشّرعية والمواعظ الأخلاقيّة والأمثال، الّتي تدعو النّاس إلى الاستقامة والعمل الصّالح، ويؤكّد القرآن الكريم أنّ تعاليمه لو طبّقت فهي كفيلة بسعادة الإنسان والمجتمع.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِن رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من المعاجز للمسيح عليه السلام حين بعثته ورسالته، فقد كان المسيح عليه السلام يحيي الموتى، ويخلق من الطّين أشكالاً تشبه الطّيور، ثمّ ينفخ فيها فتتحوّل إلى طيور حيّة، وكان عليه السلام يشفي المرضى، كالأعمى والأبرص، وكان يُخبر النّاس بما يفعلونه في بيوتهم من الأكل والشّرب، وغير ذلك من المعاجز الأخرى.

---

١. آل عمران: ٤٩.

٢. المائدة: ٤٦.

٣. المائدة: ٦٦.

هـ) موقف اليهود من دعوة المسيح عليه السلام

كما ذكرنا آنفاً فإنّ المسيح عليه السلام بُعِثَ إلى بني إسرائيل، وقد انقسم اليهود تجاه دعوة المسيح عليه السلام إلى قسمين:

قسم آمن بالمسيح عليه السلام وهم أقليّة، وقسم كفر به وهم الأكثريّة، وقد حاربت هذه الأكثريّة المسيح عليه السلام ودعوته، فقد كذّبوه واتّهموه بالسّحر، وقد أشار سبحانه إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ... وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1].

وكان علماء اليهود وأحبارهم من أشدّ النّاس عداوة للمسيح عليه السلام خوفاً على مراكزهم ومصالحهم، وذلك لأنّ اليهود كانوا ينتظرون مسيحاً يعيد إليهم الملك والسّلطان في الأرض، فلمّا جاءهم المسيح عيسى بن مريم يشيّد بينهم مملكة الأخلاق والتّقوى والسّجايا الكريمة، لم يكن هو المسيح الّذي صوّروه لأنفسهم، فمكروا به وأرادوا قتله، ولهذا ندرك صدور اللعن عليهم على لسان المسيح عليه السلام كما ينقل القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[2].

وأمّا القلّة المخلصة المؤمنة الّتي اتّبعته على دعوته، فقد صدّقوه ونصروه بكلّ أخلاص واجتهاد.

ومن أفضل الّذين آمنوا به: الحواريّون، وحواري الإنسان: من اختصّ به من النّاس. وقيل: أصله من الحور وهو شدّة البياض، ولم يستعمل القرآن هذا اللفظ: الحواريّون إلاّ في خواصّ عيسى من أصحابه.

وقد ذكرهم سبحانه وتعالى في كتابه المنزل عدّة مرّات، منها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ فَآمَنَت طَائِفَةٌ مِنْ

١. المائدة: ١١٠.
٢. المائدة: ٧٨.
٣. آل عمران: ٥٢.

بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[١].

وقد اختلفوا في عددهم، والمشهور أنّهم كانوا: «اثنى عشر»، وهو ما ذكر في بعض الرّوايات عن أهل بيت النّبوة عليهم السلام[٢].

و) الحواريّون ومعجزة المائدة

ومن المعاجز الّتي ذكرها القرآن الكريم للمسيح وحوارييه بالخصوص معجزة إنزال المائدة عليهم، وقد حكيت في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُوا اللّهَ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاء تَكُونَ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

والحقيقة أنّ هذه المعجزة في القرآن، والسّؤال من الحواريين لها، ومحاورة عيسى لهم، وكذلك الوعيد الشّديد منه تعالى لمن يكفر بهذه المعجزة، الّذي لا يوجد له نظير في شيء من الآيات الّتي اختصّ الله بها أنبياءه، يدعو إلى التّأمّل والتّدبّر بشكل أعمق في هذه الآيات القرآنيّة، وهذه المعجزة غير مذكورة في أناجيل العهد الجديد.

ز) خاتمة حياة المسيح عليه السلام

يعتقد المسلمون بأنّ المسيح عليه السلام لم يُصلبْ ولم يُقتلْ، وإنّما رُفع إلى السّماء؛ وذلك استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[٤].

---

١. الصف: ١٤.
٢. أنظر: بحار الأنوار: ١٤.
٣. المائدة: ١١٢ ـ ١١٥.
٤. النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨.

فهذه الآية صريحة في نفي القتل والصَلب الّذي زعمه اليهود والنَصارى، وهي تثبت أنّ المصلوب هو شخص آخر شبيه للمسيح عليه السلام، وقد وقع الاختلاف في الرّجل الّذي ألقي عليه شبه المسيح عليه السلام.

وهنا يطرح السّؤال التّالي:

إذا كان عيسى عليه السلام قد نجا سالماً، ووقع من أُلقي عليه شبه المسيح عليه السلام في هذه الحادثة (الصَلب والقتل) فأين ذهب المسيح عليه السلام؟

القرآن يجيب على هذا السّؤال بأنّ المسيح عليه السلام رُفع إلى السّماء، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾[1].

وقد ذهب جمهور المسلمين على أنّ الله تعالى قد رفعه بروحه وجسده حيّاً إلى السّماء، ودليلهم على ذلك قوله تعالى: ﴿رافعك إليّ﴾ وهو حيّ في السّماء، وأنّه ينزل في آخر الزّمان ويقتل المسيح الدجّال.

ولقائل أن يقول: كيف يكون المسيح رفع حيّاً إلى السّماء، مع أنّ القرآن يؤكّد على أنّ الله قد توفّاه كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وهل التوفّي إلاّ الموت؟

نقول: التوفّي أخذ الشّيء أخذاً تاماً؛ ولذا يستعمل في الموت؛ لأنّ الله يأخذ عند الموت نفس الإنسان عن بدنه.

أيّ أماتته، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الّذي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[2].

وقال تعالى ﴿توفّته رسلنا﴾[3].

قال تعالى: ﴿اللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالّتي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[4].

وما ورد في حقّ المسيح عليه السلام في القرآن هو التّوفّي دون الموت، وهذا يعني: أنّ الله أخذ المسيح من بين اليهود الّذين مكروا به لقتله ورفعه إليه.

---

١. آل عمران: ٥٥.

٢. السّجدة: ١١.

٣. الأنعام: ٦١.

٤. الزّمر: ٤٢.

فهذا خلاصة ما ذكره القرآن الكريم عن عيسى المسيح عليه السلام وأمه مريم عليها السلام، وواضح أنّ نقاط التّشابه بين ما ذكره القرآن والأناجيل حول المسيح كثيرة، وهناك أيضاً نقاط اختلاف في بعض المسائل الأخرى، مثل اتهام مريم من قبل اليهود، وكلام عيسى في المهد، حيث لا تذكرها الأناجيل، والاختلاف الأساسي والمهم جداً هو في نهاية حياة عيسى الأرضيّة، فالقرآن يصرّح بأنّه لم يقتل، في حين تؤكد الأناجيل بأنّه صلب وقتل.

عناوين مقترحة للبحث الدّرسي

١. ولادة عيسى عليه السلام في القرآن والإناجيل دراسة مقارنة.

٢. الهدف من بعثة عيسى عليه السلام في القرآن والإناجيل دراسة مقارنة.

٣. عالميّة رسالة المسيح في القرآن والإناجيل.

٤. قصّة صلب المسيح عليه السلام في القرآن والإناجيل.

مصادر الدّرس

١. قاموس الكتاب المقدّس.

٢. المرشد إلي الكتاب المقدّس.

٣. المسيح فى الفكر الإسلامى الحديث وفى المسيحيّة، د.منير خوّام.

٤. دائرة المعارف الكتابيّة.

٥. بحارالأنوار: ١٤.

٦. تأريخ الطّبرى، تأريخ الأمم والملوك، الطّبري.

٧. الميزان فى تفسير القرآن، العلاّمة الطباطبائي.

٨. العظيمان عيسي وأمّه فى القرآن الكريم.

٢

تاريخ الكنيسة بعد عيسى عليه السلام

بعد رفع عيسى عليه السلام إلى السّماء استمرّ أتباع المسيح في نشر دعوته كما أمرهم، وكانوا قلّة قليلة مضطهدة من قبل اليهود والسّلطات الرّومانيّة، فهربوا من فلسطين إلى المناطق المجاورة، واستطاعوا من نشر تعاليم المسيح عليه السلام بين النّاس فآمن عدد قليل من النّاس، وبذلك تشكّلت النّواة الأولي للكنيسة خارج فلسطين.

وهنا نشير بشكل مختصر إلى تأريخ الكنيسة، وأهمّ التّحوّلات الّتي رافقتها منذ نشأتها، وكيفية انتشارها إلى جميع صقاع الأرض.

أوّلاً: الكنيسة في القرون الثّلاثة الأولى

ابتدأت حياة الكنيسة في أورشليم حوالي السّنة الثّلاثين عن طريق اثنا عشر رجلاً يحملون البشرى لمواطنيهم عن تعاليم المسيح النّاصري.

ويبدأ تاريخ الكنيسة بالأحداث الّتي ترويها أسفار العهد الجديد: أعمال الرّسل، رسائل بولس، رؤيا يوحنّا، ويمكن أن نعتبر كتب العهد الجديد وثائق تأريخيّة ترفدنا بالمعلومات عن فترة التّلاميذ والحواريّن.

وهنا سوف نعرض الخطوط الكبرى للمراحل التّاريخيّة والجغرافيّة لانتشار المسيحيّة في العالم، فحوالي سنة الثّلاثين وفي يوم العنصرة[1] وبالتحديد في أورشليم،

---

١. يوم العنصرة: هو اليوم الّذي حلّ فيه الرّوح القدّس على الحواريين، التّلاميذ، وذلك بعد ٥٠ يوماً من رفع المسيح عليه السلام إلى السّماء.

وأمام الحجّاج اليهود المجتمعين لمناسبة العيد، يعلن بطرس[١]:

> إنّ يسوع النّاصري، ذاك الرّجل الّذي أيده الله لديكم بما أجرى على يده من العجائب والآيات بينكم... فلمّا رفعه الله بيمينه، نال من الأب الرّوح القدّس الموعود به فأفاضه.

فقال السّامعون: «ماذا نعمل؟» أجابهم بطرس:

> توبوا وليعتمد كلّ منكم باسم يسوع المسيح لغفران خطاياكم، فتنالوا موهبة الرّوح القدس[٢].

فاعتمد ثلاثة آلاف شخصا،فكانت البذرة الأولى، والمهمّة لولادة الكنيسة ونشأتها.

أعضاء الكنيسة الأولى هؤلاء كانوا يهوداً، مثل المسيح، والحواريّين، وهم يتكلّمون الآراميّة، وظلّوا يعيشون عيشة اليهود الأتقياء، يصلّون في الهيكل، يخضعون لشريعة المآكل المحرّمة، يمارسون الختان. وما يميّزهم، هو اتّباعهم وقبولهم لتعاليم عيسى الجديدة، ومواظبتهم على سماع تعاليم الرّسل، وتكوين جماعات تربطهم عقيدة واحدة، وكانوا هؤلاء يهود يحملون الثّقافة الآراميّة في فلسطين، وبسبب اعتناقهم لتعاليم المسيح اضطهدوا من قبل اليهود، الّذين لم يؤمنوا وبقوا على دينهم، فهرب المضطهدون من أورشليم إلى السّامرة وسواحل البحر المتوسط وإنطاكية، وأصبحوا مرسلين إلى اليهود السّاكنين هناك.

فانضمّ إليهم جماعة ذوو ثقافة يونانيّة، هم الهلّنيّون، ولوجود اختلاف بين الثّقافتين بدأت المشادات والاختلافات بينهما.

فقد أطلق إسطفانوس، وهو رئيس الجماعة اليونانيّة اتّهامات ضدّ يهود أورشليم، ودان الطّقوس والهيكل؛ لأنّ المسيح رفض تعاليمه، وقُتل على يد يهود أورشليم، ففي نظره، ليس الإنجيل سوى الدّين اليهودي، وقد تطهّر، ولم يتحمل يهود فلسطين هذه التّهمة، فحكموا عليه بالكفر والارتداد، ونفذوا فيه عقوبة الرّجم.

وفي أنطاكية، حيث لجأ عدد كبير من المؤمنين بالمسيح من اليهود المضطهدين، لُقّب أتباع المسيح به: المسيحيّين وأصبحت هذه اللفظة هي العلامة الّتي يتميّزون بها عن سائر التجمّعات الدّينيّة. وصارت إنطاكية نقطة انطلاق لتبشير الإمبراطوريّة الرّومانيّة.

---

١. هو: وصي عيسى عليه السلام حسب الإناجيل.

٢. سفر أعمال الرّسل: ٢/ ٢٢.

فتشكّلت في إنطاكية جماعتان: الأولى جماعة المسيحيّين من أصل يهودي، والمحافظين على الممارسات اليهوديّة. الثّانية جماعة الهلّينيين من غير اليهود.

وكانت جماعة أورشليم تعتقد أنّه يجب فرض الختان على المسيحيّين الجدد، وضرورة الالتزام بالشّريعة اليهوديّة، كما أوصى المسيح عليه السلام بخلاف الجماعات من غير اليهود.

فالمسيحيون المنحدّرون من أصول مختلفة؛ كان يصعب عليهم تناول الطعام مع المسيحيّين اليهود، بسبب القوانين اليهوديّة المتعلقة بالأطعمة، مثل حرمة أكل لحم الخنزير، كذلك عدم جواز أكل الدّم، وغيرها من المسائل، وعلى عكس ذلك جماعة الهلّينيين الّتي كانت أقل تقيّداً بهذه التّشريعات، ممّا أدى إلى بروز مشكلة ومعضلة بين الجماعتين.

وقد تمَّ حلّ هذه المعضلة بتسوية غالباً ما يسمّونها: مجمع أورشليم، فكانت هناك جماعة اليهود المحافظون، يمثلهم الحواري يعقوب، رئيس جماعة أورشليم، ومن جهة أخرى كان بولس وبرنابا ممثلين عن جماعة الهلّينيين والوثنيين، الّذين اعتنقوا المسيحيّة، وتمّت المناقشات الحادّة بين الطّرفين إلى أن استطاع بولس من إقناع الآخرين برأيه، فقال يعقوب الحواري:

> أنا أرى أن لا يثقل على الرّاجعين إلى الله من الأمم، بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزّنا والمخنوق والدّم[1].

فقبل راى بولس الّذي يؤكّد على عدم فرض الشرائع اليهوديّة بعد اليوم على معتنقي المسيحيّة، وهو ما سنشير إليه في بحثنا عن الشّريعة المسيحيّة. لكنّ يعقوب نجح بفرض بعض التّنازلات على الهلّينيين عند اختلاطهم بالمسيحيّين من أصلي يهودي؛ إذ عليهم ألا يأكلوا الدّم والحيوان المخنوق.

> هكذا لم يعد الإيمان المسيحي مرتبطاً باليهوديّة، فأصبحت الكنيسة فعلاً عالميّة، وكان لبولس[2] الدّور المهم والمؤثر في نشر المسيحيّة خارج حدود فلسطين، فقد دخل الإنجيل أوربا حوالي سنة الخمسين على يد بولس حسب الكنيسة، وأسّس

---

١. سفر: أعمال الرّسل: ١٩/١٥ ـ ٢١.

٢. بولس ليس من الحواريّين، ولا من تلامذة المسيح عليه السلام ولم يلتقيه إطلاقاً، بل على العكس كان من أشدّ أعداء المسيح وأتباعه، وبطش بهم وسلمهم إلى السّلطات الدّينيّة اليهوديّة لمعاقبتهم ولاحقهم خارج فلسطين أيضاً لهذا الغرض، ولكن عند سفره إلى الشّام لملاحقة اتّباع المسيح وقعت حادثة عجيبة غيرت مجرى حياته، فاعتنق المسيحيّة، وأصبح الرّجل الثّاني فيها بعد المسيح عليه السلام للوقوف على تفاصيل الحادثة، انظر: سفر: أعمال الرسل: ٩/ ١٣١.

جماعات فيلبّي وتسالونيكي وكورنتس... ودخل بولس مدينة الثّقافة، أثينا، وحاول أن يبيّن أنّ هناك اتفاقاً بين الفلسفة اليونانيّة والإنجيل، وقد استشهد بأحد شعرائهم. ولكنّه لم ينجح[١].

وفي رحلة أخرى زار بولس جماعات آسية. لكن الصّعوبات لم تتوقّف، وهو يلمّح إليها في رسائله، فقد لاقى عداوة اليهود الّذين رفضوا تعليمه، وعداوة الوثنيّين الّذين قوّض تجارتهم القائمة على مواسم الحجّ.

ويجمع التّأريخ المسيحي بين بطرس وبولس في كنيسة روما، فهما مؤسّساها ويقول إنّ روما هي المكان الّذي قُتلا فيه، وفيها نجد قبريهما.

ولذا فإنّ دور البابا في الكنيسة الكاثوليكية مرتكز على أنّ أسقف روما هو خليفة بطرس.

وتوجّه التّبشير المسيحي إلى الشّرق، فيذكر إن مرقس أُرسل إلى مصر وبشّر هناك بالإنجيل، الّذي كتبه، وأسّس كنائس أوّلاً في الاسكندريّة نفسها، ومنها إلى باقي نقاط أفريقيا.

وانتشرت المسيحيّة نتيجة تبشير وتبليغ رسل المسيح وتلاميذه، الّذين انتشروا في العالم، وهم الّذين زرعوا بذرة المسيحيّة العالميّة.

وهناك حدثان حاسمان يمكن الإشارة إليهما في حياة الكنيسة في القرن الأوّل، هما:

١. اضطهادات نَيْرون سنة ٦٤ م، الّتي طالت أهمّ رجال المسيحيّة، وقضت على حياة بعض الرّسل، ومنهم. بطرس، وبولس، وغيرهم من المؤمنين بالمسيح وتعاليمه.

٢. تدمير أورشليم سنة ٧٠ م، الّذي سجّل شرخاً في حياة الكنيسة النّاشئة. فقد ثار اليهود على الرّومان بقصد الخلاص من الحكم الروماني، وإقامة دولة مستقلّة تعبد الله بحسب شريعة الأجداد، فاشتعلت حرب تسبّبت في خراب المدينة والهيكل، وفي ابتداء الثورة، هجرت الجماعة المسيحيّة أورشليم ولجأت إلى شرق الأردن، وقد قضى دمار الهيكل على آخر علاقة للمسيحيّين باليهود.

وفي نهاية القرن الأوّل وبداية القرن الثّاني، كانت المسيحيّة قد قرّرت الانتشار غرباً نحو الإمبراطوريّة الرّومانيّة، بشكل أكثر جدّية من ذي قبل، ومع أنّ بلاد فارس والهند بشّرت باكراً، لكنّ الحاجز السّياسي والعسكري، الّذي أقامته الإمبراطوريّة الفارسيّة كان عائقاً في وجه هذا التّبشير، لذلك أخذت المسيحيّة تفكّر بعمق في العالم الرّوماني، الّذي أصبح أوّل

---

١. موسوعة الأديان، المسيحيّة: ٤٨.

حقل مهم واستراتيجي للتّبشير، ومن خلال هذا الانتشار سيقع أهمّ حدث في تأريخ المسيحيّة التّبشيري والّذي سيلقي بظلاله على حياة الكنيسة بشكل كامل؛ إذ من خلالها ستصبح المسيحيّة أهمّ ديانة في الإمبراطوريّة إطلاقاً.

ثانياً: المسيحيّة والإمبراطوريّة الرومانيّة

في بداية الأمر عانى المسيحيون في الإمبراطوريّة الرومانيّة من مختلف أنواع الاضطهاد والحرمان، ممّا دفع ببعض الأساقفة في القرن الثّاني إلى كتابة رسائل إلى الإمبراطور مرقس آوريليوس المعروف بالفيلسوف، مدافعين فيها عن المسيحيين المضطهدين وعرض عقيدتهم كحكمة في الحياة، مبيّنين أنّ هناك توافقاً بتدبير من الله، بين بدء الإمبراطوريّة وظهور المسيحيّة.

سهّلت الإمبراطوريّة الرّومانيّة سرعة التّبشير بالإنجيل في سائر أنحاء حوض المتوسّط، وهذا التّبشير لم تحاول أن تفرض فيه الجماعة المسيحيّة ثورة اجتماعيّة، بل ركزت تعاليمها على أنّ جميع النّاس متساوون أمام الله، وفي عالم قاس، كان العبيد والفقراء والنّساء والأطفال يشعرون بحاجة إلى من ينقذهم من هذا الوضع المأساوي، فوجدوا في المسيحيّة هذه الدّيانة الجديدة ما يشفي غليلهم، فهي تدعو من خلال تعاليمها إلى رفع هذه الفروقات الاجتماعيّة بين طبقات الشّعب، وأيضاً من خلال رفع شعار العدالة إلى رفع الظّلم عن الضّعفاء والفقراء، وإعطاهم حقوق متساويّة مع الأغنياء.

وفي ظل هذه الظّروف بدأ عدد المسيحيّين آخذاً بالازدياد، وقد أصبحوا متميّزين عن اليهود الّذين كانوا ينعمون بوضع قانوني خاصّ، ويحاولون أن يفهموا السّلطات أنّ المسيحيّين لم يعودوا بعضاً منهم، وما إن بدأ المسيحيّون يشكّلون أقلية ذات أهميّة، حتّى راحت تدور حولهم التّساؤلات.

فالمسيحيّة قادمة من الشّرق، ومعظم المسيحيّين مهاجرون يصعب فهم عاداتهم، فهم يشكّلون بدعة، لذا كان العالم الرّوماني ينظر بعين الضّغينة والارتياب إلى هؤلاء المسيحيّين، ومن أجل ذلك فقد تعرّضوا للاضطهاد وتوجيه الاتهامات لهم.

وهناك اتهامات كثيرة وجهت إلى المسيحيّين في الإمبراطوريّة الرّومانيّة، ومنها: إنّهم ملحدون، والدّليل على إلحادهم عدم مشاركتهم في العبادات التّقليديّة، وعبادة الأمبراطور، والعبادات الخاصّة بالدّيانات الشّرقيّة، وهذا الموقف يعدّ ضرباً من الانحراف، من شأنه أن

يهدّد توازن الدّولة، وأيضاً يؤدي إلى أنّ الآلهة تنتقم بإطلاق الكوارث كالفيضانات والزّلازل والأوبئة وغزوات البرابرة، والرّأي السّائد يقول إنّ للمسيحيين عبادة لا يجوز الإعلان عنها، هي عبادة لص مات مصلوباً.

بالإضافة إلى ذلك فإنّ هناك تهمة أخلاقيّة وجّهت إليهم وهي أنّهم يمارسون الزّنا مع القربى، فالغرض من اجتماعاتهم الليلة من الولائم إنّما هو الاستسلام إلى المجون، وإلى أقبح أنواع الفجور بين الإخوة والأخوات، والأقارب فيما بينهم.

وأخيراً وجّهت إليهم تهمة أكلهم للحوم بشريّة، فالجسد الّذي يأكلونه، والدّم الّذي يشربونه، هما جسد ودم طفل يقدّمونه ذبيحة طقسيّة.

وقد انتشرت هذه الاتّهامات انتشاراً سريعاً، وظلّ الجميع يحتقرون المسيحيّين طوال سنين كثيرة، باعتبارهم أناس سذّج يستغلهم رؤساؤهم، ولم يكتفوا بذلك، بل ما لبث المفكّرون أن راحوا يتقصّون الحقائق، ويطالعون كتبهم المقدّسة، ويكتبون ردوداً صارمة بحقّ المسيحيّة، وفي هذه المرّة انتقدوا المسيحيّة من ثلاث جهات اجتماعيّة وعقائديّة وفكريّة، وهي ترتكز على أنّ المسيحيون سذج وجهّال، إذ انضمّ إلى المسيحيّة جماعة من الطّبقات الاجتماعيّة الدّنيّا من عمّال يدويّين محتقرين. كما كان المبشّرون يوجّهون دعوتهم إلى النّساء والشّباب والعبيد مستغلين سهولة التّصديق لديهم، ولم تكن المسيحيّة تُقرّ قيم الحضارة الرّومانيّة، الّتي كان تولي المكانة الأولى فيها للأغنياء فقط، ولذلك اتّهموا بأنّهم يريدون نقض النّسيج الاجتماعي للرّومان بهذه الجهالات.

وأيضاً اتّهموا بأنّهم مواطنون أشرار؛ إذ لم يكن المسيحيون يشاركون في تقديم العبادة للدّولة ولا للإمبراطور، أضف إلى ذلك رفضهم وظائف الدّولة والخدمة في الجيش. فهم إذاً غير مهتمين بالأمور السّياسيّة، وبأمن الإمبراطوريّة، وقد كتب أحد القادة في الجيش الرّوماني إلى الإمبراطور الّذي كان يحارب الألمان على ضفاف الدّانوب، لو أن جميع المواطنين سلكوا سلوك المسيحيّين، لانتهت الإمبراطوريّة لساعتها، فالمسيحيون يشكّلون خطراً على الإمبراطوريّة بهذا الطّرز من التّفكر، بالابتعاد عن أمور الدّنيا والدّولة والزّهد في الدّنيا والاهتمام فقط بالجانب الرّوحي والمعنوي.

وأخيراً فقد انتقد بعض المفكّرين العقيدة المسيحيّة واعتبروها مناقضة ومخالفة للعقل، وخصوصاً قضايا عقائديّة مهمّة، مثل عقيدة: (التّجسّد)[١]. فالله الكامل وغير قابل

---

١. من أهمّ العقائد المسيحيّة، وهي بمعنى: أنّ الله سبحانه أصبح إنساناً من خلال حلوله في جسد إنسان هو المسيح.

التّغيير لا يمكنه أن يتنازل ويتجسّد طفلاً. ثمّ لماذا جاء التّجسّد متأخراً؟ وغيرها من الاعتراضات الأخرى.

أمّا تعاليمه، فهي نسخة محرفّة عن تعاليم مصر واليونان القديمة، وليست قيامة الأجساد سوى أكذوبة غريبة، ويرى البعض في العهدين القديم والجديد نسيجاً من أقاصيص بذيئة تتحدّث عن الله، وكأنّه إنسان، أمّا أخبار آلام المسيح في الأناجيل الأربعة، فهي تناقض بعضها بعضاً، والطّقوس المسيحيّة غير أخلاقية، فالعماد يشجّع على الرّذيلة، إذ كيف يغفر قليل من الماء كلّ الخطايا وبلحظة؟

أمام هذه الاتّهامات، كان على المسيحيّين أن يدافعوا عن أنفسهم، فابتغوا في كتاباتهم عرض العقيدة المسيحيّة، والإجابة على الشّبهات فسُمّيت كتاباتهم: ردّ التّهم، وسمّي الكتّاب بـ : المدافعون.

> والواقع أنّ المسيحيّين لم يكونوا عرضة للاضطهاد طوال القرون الثّلاثة الأولى في الإمبراطوريّة الرّومانيّة، كما يصوّره البعض، فقد أخذت الاضطهادات أشكالاً مختلفة؛ ولذا يمكن أن نقول إنّ المسيحيّين عاشوا طوال القرون الثّلاثة الأولى حالة عدم أمان محدود إلى أن تغيّرت الأمور بشكل عجيب في بداية القرن الرّابع الميلادي، وهذا ما يعبّر عنه في المسيحيّة بـ«نشأة الكنيسة القسطنطينيّة» واعتناق الإمبراطور قسطنطين للدين المسيحي، ممّا أدّى إلى انتشاره في كلّ أنحاء الإمبراطوريّة الرّومانيّة، ومن ثمّ في جميع نقاط العالم[1].

ثالثاً: كنيسة القسطنطينيّة

يمكن اعتبار اعتناق الإمبراطور قسطنطين للدّين المسيحي أهمّ حدث تأريخي في حياة الكنيسة المسيحيّة؛ إذ تبدل حال المسيحيّين بعد اهتدائه من أقلية مغمورة ومهمشة إلى أكثريّة ساحقة لها الحكم والفصل على مدى قرون متماديّة، وأصبح دينهم هو الدّين الرّسمي للإمبراطوريّة الرّوماني خلال هذه الفترة.

وُلد فيما قسطنطين سنة ٢٨٠ م ميلادي، وهو ابن قسطنسيوس كلورس، الّذي كان إمبراطوراً متسامحاً، وأمّه هيلانة الزّوجة المسيحيّة، اعتنق قسطنطين المسيحيّة في ٣١٢ أو ٣١٣م، أمّا الظّروف الّتي دفعته للاهتداء وحقيقة إيمانه، فليست واضحة ليومنا هذا.

---

١. موسوعة الأديان، المسيحيّة: ٥٣.

كان قسطنطين يملك في الغرب من الإمبراطوريّة، وليقينيوس في الشّرق، وذلك سنة ٣١٢ م. وما لبث الإمبراطوران أن اختلفا، وأخذ ليقينيوس يضطهد المسيحيّين، ولمّا زحف قسطنطين إليه، بدأ أنّه شنّ حرباً مقدّسة للدّفاع عن الكنيسة. فهُزم ليقينيوس في معركة جسر ملفيوس وقتل، وبقي قسطنطين الإمبراطور الأوحد، لكن قسطنطين لم يكن مسيحيّاً مثاليّاً في الواقع، فإنّه لم ينل سر العماد[١] إلاّ على فراش الموت سنة ٣٣٧ م، وقد ارتكب جرائم كثيرة تدلّ على أخلاق بعيدة عن الرّوح المسيحيّة، وتعاليم المسيح عليه السلام.

ويجوز اعتبار هذا التّأريخ البداية الحقيقة: للإمبراطوريّة المسيحيّة إن جاز التّعبير.

روما والقسطنطينيّة

قرّر قسطنطين أن يبقى في الشّرق ويؤسّس عاصمةً جديدةً للإمبراطوريّة، فاختار مدينةً صغيرةً تُدعى: بيزنطية في تركيا حاليّاً، وشيّد فيها مقرّ الحكم فأصبح اسمها القسطنطينيّة. ويقال أنّ الله هو الّذي أوحى إليه بهذا الموقع في الحُلم. وتمّ الاحتفال بالتّأسيس في سنة ٣٣٠م، وكان لتغيير العاصمة هذا نتائج هامة أثّرت في الإمبراطوريّة وفي الكنيسة على حد سواء، فقد ادّعت القسطنيطينيّة أنّها روما الثّانية، أي: الكنيسة الثّانية من بعد كنيسة روما، واستقطبت حولها جميع المسيحيّين ذوي الثّقافة اليونانيّة. وأيضاً فإنّ تأسيس العاصمة الجديدة كان يحتوي على بذرة تقسيم الكنيسة، الّذي تمّ فيما بعد.

ومنذ سنة ٣١٥م ظهرت في النّقود العلامات المسيحيّة (أحرف اسم المسيح)، وكانت العملة في تلك الأيام أداة دعاية عالميّة، وكان الإمبراطور يعتبر نفسه مساوياً للرسل وتلاميذ المسيح عليه السلام، وأخذ المسيحيون يتقبّلون ما للإمبراطور من طابع مقدّس ويعتبرون الإمبراطور رئيس الشّعب المسيحي، فهو موسى الجديد وداود الجديد، وبهذه الصّفة كان يدعو إلى عقد المجامع الرّسميّة للكنيسة.

ولأنّه كان يهب لهم مباني رسميّة وقصوراً لتستعمل استعمالاً دينيّاً، كان المسيحيون يعترفون بفضله عليهم، كما أمر ببناء أماكن رائعة للصّلاة، ككنيسة القدّيس بطرس في

---

١. الذي لا يُعتبر الإنسان مسيحيّاً بدونه.

الفاتيكان، وكنيسة القبر المقدّس، وكنيسة بيت لحم، وجميع كنائس القسطنطينية، وأهدى للأساقفة هدايا كثيرة. وكانت الجماعات المسيحيّة تقبل الهبات المقدّمة من الإمبراطور، فجمعت الكنيسة ميراثاً ضخماً، وحصل رجال الدّين على امتيازات قانونيّة، واعتبر الأساقفة مساوين للحكّام.

وكانت الأديان القديمة لا تزال موجودة، بل كان الدّين التّقليدي متأصلاً بقوّة في الحياة الثّقافية والاجتماعيّة في الإمبراطوريّة.

وفي القرن الرّابع بدأت المسيحيّة تضيّق الخناق على الدّين القديم يوماً بعد يوم، إذ إنّ الأباطرة، وتحت ضغط المسيحيّين كانوا يحرّمون شيئاً فشيئاً إقامة الشّعائر الوثنيّة.

فقد قام قسطنسيوس بتحريم تقديم الذّبائح للأصنام، وإغلاق المعابد الوثنيّة وإصدار عقوبة الإعدام بحقّ المخالفين، وذلك سنة ٣٥٦ م[1].

ولكن سرعان ما استعادت الوثنيّة حظوتها على عهد الإمبراطور يوليانس ٣٦١ ـ ٣٦٣م الّذي لقّبه المسيحيون بالجاحد، فقد كان قد تربّى تربيّة مسيحيّة، ولكنّه عاد إلى الوثنيّة حين أصبح إمبراطوراً، وكان مولعاً بالأدب الكلاسيكي، فحاول أن يُحيي الدّين التّقليدي، وندّد بالمسيحيّة في كتابه الرّد على الجليليّين، باعتبارهم أتباع المسيح المنحدر من مدينة الجليل.

وبعد وفاته اتخذ خلفاؤه كثيراً من التّدابير في محاربة الوثنيّة، فقد أعلن ثيودوسيوس في سنة ٣٨٠م، إنّ الدّين المسيحي الكاثوليكي هو دين الدّولة، فأخذ يلاحق أهل البدع والوثنيّين، وحرِّمت في سنة ٣٩٢م كلّ ممارسة وثنيّة، فكانت هذه الضّربة القاضية الّتي أُصيب بها الدّين القديم، وكفوا عن الاحتفال بالأعياد الوثنيّة ودمُرت المعابد كلّها تقريباً مع نهاية القرن الرّابع، وأصبح المضطهدون مضطهدين والعكس بالعكس. وبعد أن كانت سلطة الدّولة في خدمة الوثنيّة، صارت اليوم في خدمة المسيحيّة.

ومنذ سنة ٣٢٥م، أصبح يوم الأحد يوم عطلة رسميّة، وكذلك أصبح من أعياد المسيحيّة الكبرى.

وفي القرن الرّابع، ظهر عيدان في يومين ثابتين. ففي الشّرق، احتفل بعيد الظّهور، في اليوم السّادس من كانون الثّاني (يناير) بظهور الله على الأرض، أي: بميلاد المسيح عليه السلام. وكان

---

١. أنظر: موسوعة الأديان في العالم، المسيحيّة: ٥٨.

هذا اليوم يوم «رع»، عيد إله الشّمس في مصر. وفي الغرب، وفي سنة ٣٣٠م، أخذوا يحتفلون، يوم ٢٥ كانون الأوّل/ديسمبر، بميلاد المسيح. وكان ذلك اليوم يوم الاحتفال الوثني بالشّمس غير المهزومة، حين كان النّهار يأخذ في الطّول، وفي نهاية القرن الرّابع، كان العيدان يقامان في الغرب وفي الشّرق، وحسب التّواريخ المختلفة هذه، وما زالت هذه الأعياد بهذا الشّكل إلى يومنا هذا.

وخلاصّة الأمر أنّ المسيحيّة انتشرت داخل حدود الإمبراطوريّة، وأصبحت المدن مسيحيّة في أغلبيتها، بل جميعها، ونسي المسيحيون عندما كان أجدادهم مضطهدين، فكانوا في بعض الأحيان يدمّرون ما بقي من المعابد الوثنيّة، وركّز الأساقفة جهودهم على تبشير الرّيف، فكان المبشّرون يقطعون الأشجار ويحرقون المعابد ويشيّدون على رمادها الكنائس الكبيرة والصّغيرة.

وهناك قصّة في القرآن الكريم أشارت إلى هذه المسألة أيضاً أي بيان أنّ المسيحيّين كانوا أقلية مضطهدة في يوم ما ثمّ تحولوا إلى أكثريّة ساحقة، وذلك من خلال سرده لقصّة أصحاب الكهف، فقد اختلف المفسرون على تأريخ هذه القصّة الّتي أشار إليها القرآن، حيث تشير بعض المصادر الإسلاميّة تبعاً لبعض المصادر المسيحيّة أنّ وقائع هذه القصّة حدثت في زمن (دقيانوس) أو (دقيوس) سنة ٢٤٩ ـ ٢٥١م، واستيقظوا في عهد الملك (ثيودوسيوس) وذهب البعض الآخر إلى أنّ هذه الحادثة وقعت في زمن (تراجان) الّذي حكم بين سنة ٩٨ ـ ١١٧م ميلادي حيث كان معروف بقسوته وبطشه وأنّه كان يعبد الأوثان، ويقضي بالموت على كلّ من يرفض عبادة آلهته، وكان المسيحيون أشد النّاس اضطهاداً في زمان حكمه، والفتية الّذين هربوا إلى الكهف كانوا في زمانه، ثمّ أفاقوا من نومهم في عهد الإمبراطور الصّالح (ثيودوسيوس) في الفترة الواقعة بين٤٠٨ ــ ٤٥٠م، فهذه الحادثة تؤيد إلى أنّ المسيحيّين كانوا أقلية مضطهدة طوال فترة ثلاثة قرون بعد رفع المسيح، ومن ثمّ أصبحوا أكثريّة يهابها الأباطرة والملوك والنّاس[1].

---

١. للوقوف على تفاصيل يراجع كتاب: أهل الكهف، محمّد تيسير ظبيان، وكتاب: أهل الكهف هالة العوري، وكتاب: أصحاب كهف در توراة وإنجيل، د.أحمد علي المجدوب، وقد ترجمه إلى الفارسيّة السيّد محمّد صادق عارف.

رابعاً: القرون الوسطى

بعد أن قويت شوكة المسيحيّة والكنيسة، بسطت هيمنتها على كلّ أنحاء الحياة في الإمبراطوريّة الرّومانيّة، بل وأوربا، وأصبحت الكلمة الفصل لها في كافة الأمور، وقد امتدت هذه الفترة من القرن الخامس الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي والّتي تعرف بالقرون الوسطى، وقد ألفت الكثير من الكتب حول ممارسات الكنيسة في هذه الحقبة وبطشها وممارستها اللاإنسانيّة، ومن أهمّ تلك الممارسات الهمجيّة الحروب الّتي خاضتها باسم الدّين ضد الشّرق الإسلامي، والّتي تسمى بالحروب الصّليبيّة، وهي سبع حملات قام بها ملوك الغرب المسيحي، هدفها الأساسي استرجاع قبر المسيح في القدس من أيدي المسلمين.

ففي مجتمع كليرمون سنة ١٠٩٥، طلب البابا أربانس الثّاني من ملوك أوربا التّوجّه إلى الأراضي المقدّسة، ونزولاً عند طلب إمبراطور بيزنطيّة، الّذي كان الأتراك يهدّدون مملكته من كلّ جهة، فكان لهذا الطّلب الصّدى العميق في قلوب المؤمنين الّذين هبّوا للقتال، لتخليص الأماكن المقدّسة من يد الأتراك، وتأمين زيارة القبر المقدّس للقادمين من أوربا. وزاد في حماستهم تأكيد الخطباء أنّ الموت في هذا السّبيل وسيلة أكيدة للتّوبة ولدخول الجنّة.

انطلقت الحملة الأولى سنة ١٠٩٦م بقيادة بطرس النّاسك، وبعض أمراء الإقطاع فاحتلّت أورشليم في ١٠٩٧ م.

أمّا الحملة الثّانية، فلم يتح لها، أي: نجاح، وكانت سنة ١١٤٧ ـ ١١٤٩م، وفي ١١٨٧م استرجع صلاح الدّين الأيوبي مدينة القدّس من يد النّصارى، وفي ١١٨٩ ـ ١١٩٢م تقدّمت الحلمة الثّالثة في بعض المناطق، ولكن بشكل محدود، وفي ١٢٠٢ ـ ١٢٠٤م احتلّت الحملة الرّابعة بيزنطيّة، وقامت بأعمال النّهب والحرق فيها. وفي سنة ١٢٢٨ ـ ١٢٢٩م كانت نتيجة الحملة الخامسة إلى توقيع اتفاقية مع المسلمين الّذين عادوا وسيطروا على الأراضي المقدّسة سنة ١٢٤٤م، وفي ١٢٤٨ ـ ١٢٧٠م قامت حملة سابعة فثامنة بقيادة القدّيس لويس التاسع ملك فرنسا الّذي مات أمام أسوار تونس، وسنة ١٢٩١م سقطت عكّا آخر حصن للصليبيين في الشّرق وبذلك انكسرت شوكتهم وأيقنوا عدم قدرتهم على مجابهة الجيوش الإسلاميّة في الشّرق.

واستمرّت هيمنة الكنيسة حتّى القرن الخامس عشر الميلادي، وفي القرن السّادس عشر بدأت حركة الاصلاح الدّيني لتنهي سطوة الكنيسة على أوربا، ولتبدأ مرحلةً جديدةً من حياة الكنيسة، والّتي استمرّت حتّى يومنا هذا.

عناوين مقترحة للبحث الدّرسي

١. عوامل انتشار المسيحيّة بعد المسيح.

٢. دور الإمبراطوريّة الرّومانية في نشر المسيحيّة.

٣. ممارسات الكنيسة في القرون الوسطى.

٤. تأريخ الحروب الصليبيّة وأهدافها.

مصادر الدّرس

١. قاموس الكتاب المقدّس.

٢. قصّة الحضارة، وليم ديورانت.

٣. موسوعة الأديان، المسيحيّة.

٤. دائرة المعارف الكتابيّة.

٥. تأريخ الكنيسة المفصّل.

٦. تأريخ الكنيسة الشرقيّة.

الفصل الثاني:

الكتاب المقدّس

١

الكتاب المقدّس

في هذا الدّرس سنسلّط الضّوء وبشكل مفصّل نوعاً ما على الكتاب المقدّس باعتباره الأساس، الّذي يعتمد عليه النّصارى في إثبات عقائدهم، وذلك ضمن مسائل متعدّدة منها:

أوّلاً: الوحي والإلهام الكتابي

لابدّ من ذكر مقدّمة مهمّة للدّخول إلى معرفة الكتاب المقدّس، وهي معرفة الوحي الكتابي، أو الإلهام الكتابي، وتمييزه عن الإلهام النّبوي، فالوحي الالهي هو عبارة عن إلهام من قبل الله سبحانه لأشخاص معدودين، وهو يقوم بإلقاء الحقائق وما يريده الله سبحانه إليهم، فالمسيحيون يؤكّدون أنّ الوحي هو العمل الإلهي، الّذي يكشف لنا عن الحقائق الفوق الطّبيعيّة الّتي أراد الله أن يكشفها لنا.

ويمكن تقسيم الوحي في المسيحيّة إلى قسمين هما:

١. الإلهام النّبوي

في الإلهام النّبويّ يكون دور الله سبحانه رئيساً، وتقريباً يضمحل أي دور فاعل للنّبيّ الموحى إليه، ففي الإلهام النّبويّ: الله يوجّه كلامه إلى النّبيّ بصيغة الأمر، بحيث إنّ النّبيّ لا يقوم إلاّ بدور المستلم والمسلّم الرّسالة، فدور الله يبدو هنا في أقصى ذروته، ولا يترك للنّبيّ إلاّ جزءاً يسيراً، والنّبيّ يبدو هنا كأداة طيعة وأمينة، ويتكلم بأسم الرّب، فنجده في الحالات العاديّة مسؤولاً عن الوحي الإلهي، أي: عن ما يقوله له الرّب، فيستوعبه قبل أن ينقله.

٢. الإلهام الكتابي

أمّا في الإلهام الكتابي، فالأمر مختلف تماماً، فكان الله والكاتب يتقاسمون الدّور في كتابة الكتاب المقدّس، فبالرّغم من أنّ الحقائق هي إلهام من الله، ولكن الكاتب يبقى محتفظاً بشخصيّته المستقلة، فهو يدون ما يريده الله، ولكن بالأسلوب الّذي يختاره، ويراه مناسباً، وهذا يشبه عمل الإنسان والآلة الّتي يستخدمها، فعلماء الكتاب المقدّس يؤكّدون أنّ الإنسان الملهم يبقى محتفظاً باستقلاله كشخص عامل وحر، فليس هو إذن بآلة تشبه القلم المادي الّذي تديره أصابع الكاتب، أن الله في الواقع يحث الإنسان الملهم على الكتابة دون أن يحطم ويمحي شخصيته بسبب ذلك، بل بالعكس أنّه يحثّه ويحمسه، أي أنّ روح الله يقود الملهم بقوته الفعّالة وبطريقته إلى تفكير وقول وتدوين ما يريده له، وكما يريده[١].

فكاتب الوحي الإلهي يتسلم فقط النّور الفوطبيعي[٢] الّذي يساعده على الحكم باليقين الإلهي ذاته على كلّ ما يوافق وينسب تأليف كتبه، وبذلك يتحقق انتاجه بحرية تامّة ومحترمة جداً لدرجة أنّه يمكن ألا يعي بأنّ هناك يداً فائقة لقدرة قد قادته وارشدته.

فيجب علينا، اذاً: أن نفهم الوحي الكتابي لدى علماء الكتاب المقدّس أوّلاً، فإنّه يختلف تماماً عن الوحي الكتابي لدى المسلمين، وهذه نقطة ومسألة مهمّة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.

وسؤال يمكن أن يطرح هنا وفقاً لهذا الفهم للوحي الكتابي، وهو إذا كان تأليف الكتاب المقدّس من عمل الله والإنسان معاً، ونسبته متساوية تقريباً، والله تعالى لا يخطأ ولا يزل، ولكن الإنسان يمكن أن يخطأ أو يزل سهواً أو عمداً، فما هو الدّليل على كون الكاتب الملهم ـ الّذي يحتفظ بشخصيّته واستقلاليّته ـ لم يخطأ في ما كتبه كلّه أو بعضه؟

ويجيبون على هذا السّؤال بالقول:

إنّ الله يحفظ الكاتب الملهم من تدوين وتعليم الباطل، ولهذا السّبب فالإلهام تصاحبه هبة ـ العصمة من الخطأ ـ ليس عند المؤرّخ الملهم فحسب، بل في نتيجة مجمل الكتاب أيضاً، فجميع أقوال الكتاب الملهمين، أو مؤلّفي السّير المقدّسة يجب اعتبارها أقوال الروح القدس، فلابدّ من التصريح بأنّ أسفار الكتاب المقدّس تعلم بحزم وأمانة وبدون خطأ الحقيقة الّتي أراد الله من أجل خلاصنا أن يراها مدّونة في الكتب المقدّسة[٣].

---

١. د.منير الخوّام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحيّة: ٨٣.
٢. الفوطبيعي: اصطلاح علماء الكتاب المقدّس على الإلهام الإلهي، ويعني: العلوم الفوق الطّبيعيّة، والّتي لا تكون في متناول يد أي أحد سوى من أراد الله سبحانه أنّه يلهمه.
٣. قاموس الكتاب المقدّس، مادة: وحي.

ثانياً: تعريف بالكتاب المقدّس

إنّ الكتاب المقدّس ينقسم إلى قسمين هما العهد القديم والعهد الجديد، وسنتحدّث عنهما لاحقاً بالتّفصيل، ودوّنت أسفار العهد القديم باللغة العبرانيّة، وهي لغة ساميه تشبه العربيّة من وجوه كثيرة، وهناك بعض الفصول من العهد القديم كتبت باللغة الآراميّة، وهي لغة شبيهة بالعبرانيّة.

وأمّا العهد الجديد فإنّه كتب باللغة اليونانيّة الّتي كانت شائعة الاستعمال بين اليهود متأثرة بالثّقافة اليونانيّة، وتسمى يونانيّة العهد الجديد «بالكوني» وهي اللغة العاميّة ممزوجة ببعض الاصطلاحات العبرانيّة، ولذلك كانت تسمى باليونانيّة «الشّائعة»، والّتي تختلف عن اليونانيّة الفصحى.

إنّ أقدم النّصوص الموجودة حالياً للكتاب المقدّس، تعود إلى قرون بعيدة جداً عن زمان كتابتها، فكلّ علماء الكتاب المقدّس يجمعون على أنّه لم يصل إلينا شيء من النّسخ الأصليّة، بل كلّ ما هو الآن بين أيدينا هو نسخ مأخوذة عن نسخ من ذلك الأصل.

وقد تمّ تقسيم أسفار العهدين إلى فصول فقط بادىء الأمر للقراءة في أوقات معينة، فقد قسم اليهود بعض الأسفار (الشّريعة) إلى ٥٤ فصلاً؛ لكي يُسهلّوا القراءة، وأوّل من قام بتقسيم الكتاب المقدّس إلى أصحاحات وآيات، هو ستيفن لانغتون للاهتداء بسهولة إلى فقرات العهدين وذلك سنة ١٢٢٦م، وقد تبنّت جميع دور النّشر لهذا التّقسيم في طباعتها للكتاب المقدّس، وأمّا كيفية الدّلالة على الآيات في الكتاب المقدّس، فهي على النّحو التّالي:

> يذكر الكتاب أو السّفر أوّلاً باختصاره، ويدلّ الرّقم الأوّل على الفصل، ويدلّ الرقم الثّاني المنفصل عن الأوّل بخط مائل على الآية مثلاً: تك ٦/٣، فيعني: سفر التكوين، الفصل الثّالث، الآية السّادسة، وهكذا، وأحياناً يتمّ وضع خط أفقي صغير معناه الجمع بين عدّة فصول أو عدّة آيات، مثلاً: تك ٣ ـ ٥، يعني: سفر التّكوين، الفصل الثّالث إلى الخامس، أو مثلاً: تك ٤/٣ ـ ٨، يعني: سفر التّكوين، الفصل الثّالث، الآيات من ٤ إلى ٨
>
> وهذا التّقطيع لأسفار العهدين هي المتبعة حالياً في جميع المتون والكتب والدّراسات الدّينيّة اليهوديّة والمسيحيّة على السّواء لغرض الإرجاع إلى آيات العهد القديم والجديد[١].

وبعد هذا العرض الموجز لبعض جوانب الكتاب المقدّس نشير إلى هذين العهدين في دراسة مختصرة:

---

١. قاموس الكتاب المقدّس، مادة: كتاب.

١. العهد القديم

> يظهر أن تدوين تاريخ العبرانيين بدأ منذ عهد موسى داود وسليمان عليهم السلام، وظلّوا يقراؤنه وينقّحونه في حلقات المتعلمين والكهنة فتشكّل هذا الأثر التّاريخي والأدبي، فهذا هو تأريخ كتابة: العهد القديم والمراحل الّتي طواها هذا الكتاب وما تبعها من تطوّرات فكريّة ودينيّة، حيث بدأ مع موسى عليه السلام وتعمّق هذا الفكر مع الأنبياء، وتكيّف مع الفلاسفة ومعلمي الحكمة، فتشكّل هذا الكتاب الّذي يعتبره علماء الكتاب بأنّه كتاب وحي سماوي، إذ أنّهم يقولون إنّ في هذه الأسفار كلمة الله سبحانه، كما دوّنت بلسان البشر ليتّضح لنا مخططه الخلاصي سبحانه، فإنّ الله لم يستعجل شعبه ولم يدفعه بقوة، بل سار معه على مهل، وأمسك بيده كما يمسك الأب بيد ابنه[١].

وأمّا تحديد أسفار العهد القديم فإنّه لم يتم إلاّ بعد بعثة السيّد المسيح عليه السلام ـ وإن كان منتشراً قبل ذلك، وخصوصاً التّرجمة اليونانيّة السّبعينيّة، ولكن كان هناك اختلاف في عدد الأسفار المقدّسة ـ فقد اجتمع رؤساء اليهود بقيادة يوحنّا بن زكّاي على شاطئ البحر القريب من يافا حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد، وذلك للوقوف بوجه التّهديدات الّتي كانت تهدد كيان ووجود الأمّة اليهوديّة، وخصوصاً بعد ظهور الدّين المسيحي الجديد. وقد أتخذوا في هذا الاجتماع عدّة إجراءات منها الانفصال عن المسيحيّين، ومنعهم من الاشتراك في الصّلاة اليهوديّة، وأيضاً تحديد الأسفار القانونيّة المقدّسة، وأعلنوا بهذا الصّدد لائحة الكتب الّتي تؤلف العهد القديم، واعتبروها كلام الله الموحى وقاعدة حياة المؤمنين. معتبرين أسفار العهد القديم هذه منتهى الوحي وخاتمة كلام الله إلى شعبه.

وبعد هذا الاجتماع حرّمت استعمال التّرجمة اليونانيّة للعهد القديم والمسماة بالتّرجمة السّبعينيّة، واعتبروها محرّفة بعد أن وضع المسيحيون يدهم عليها. وكان هناك أسفار وكتب أخرى سمّوها (بالكتب المنحولة) فقبلوها لا باعتبارها وحياً إلهيّاً، بل باعتبارها كتب تقوية تساعدهم على فهم بعض نصوص الكتاب المقدّس، وبقيت سرّاً محفوظاً لبعض العلماء لا أنّها قاعدة إيمان لجميع المؤمنين، وهذا ما نقرؤه في سفر عزرا الثّاني، وهو يعتبر من الكتب المنحولة، فهو غير قانوني، وقد دوّن في القرن الأول المسيحي باللغة اليونانيّة، حيث جاء فيه: «بعد نهاية الأربعين يوماً من الصّلاة والانتظار كلّمني العلّي:

> أنشر هذه الكتب التّسعة والثّلاثين ليقرأها الصّالحون والأشرار على السّواء، وأمّا الأسفار السّبعون الأخرى فاحفظها ولا تعطها إلاّ للحكماء من شعبي، بل احفظها سرّاً[٢].

---

١. المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحيّة: ٨٩.

٢. سفر عزرا الثّاني: ١٤/ ٢٦.

فأسفار العهد القديم هي تسعة وثلاثين سفراً، ولكن المؤرّخ المشهور يوسفيوس ٣٧ ـ ٩٨ م جعلها ٢٢ سفراً فقط، وهو عدد الأحرف الأبجدية في اللغة العبرانيّة، حيث جعل سفري: يشوع وراعوث سفراً واحداً، ونبوّة: آرميا ومراثيه سفراً واحداً. ويذكر في كتابه ضدّ آبيون: ليس لنا عدد لا يحصى من الأسفار المتنافرة والمتغايرة، بل اثنان وعشرون سفراً، تحوي تأريخ كلّ الأزمنة، وتعتبر أسفاراً إلهيّة، كتب موسى الخمسة الّتي تضم الشّرائع، وتروي الأحداث منذ خلق العالم إلى وفاة مشترع العبرانيين، موسى عليه السلام. وبعد موت موسى عليه السلام روى الأنبياء في ثلاثة عشر سفراً ما حصل في أيّامهم، ثمّ كانت سائر الكتب، فهذا هو رأي اليهود في العهد القديم. وأمّا المسيحيون، فقد قرأوا في نسختها اليونانيّة، كما وصلت إليهم في التّرجمة السّبعنيّة، ثمّ زادوا على الأسفار التّسعة والثّلاثين سبعة هي: باروك، طوبيا، يهوديت، سفران للمكابين، الحكمة، يشوع بن سياخ، والّتي تسمّى ب: الأسفار القانونيّة الثّانية أي: تأتي أهميّتها بعد الأسفار القانونيّة الأولى.

وممّا يجدر الإشارة إليه هو أنّ الكنيسة الشّرقيّة أو التّقليد الشّرقي اختلف عن الكنيسة الغربيّة أو التّقليد الغربي، وقد اختلف علماء المسيحيّة في تحديد الأسفار القانونيّة للعهد القديم، فالكنيسة الشّرقيّة اكتفت بالأسفار والنّصوص الّتي يأخذ بها التّقليد اليهودي، وعلى العكس من ذلك التقليد الغربي.

فالكنيسة الشّرقيّة لم تقبل الأسفار القانونيّة الثّانية إلى سنة ٦٩٢ م عند انعقاد المجمع في قصر القسطنطنيّة الملكي، حيث قبلت الكنيسة الشّرقيّة الأسفار القانونيّة الثّانية أيضاً. وأما الكنيسة الغربيّة فقد قبلت منذ القدم أسفار العهد القديم، كما تعرفها الكنيسة الكاثوليكيّة، اليوم، وقد ظهرت في البداية بعض الاختلافات في تحديد تلك الأسفار، ولكن تمّ وضع حدّ لتلك الاختلافات، وذلك في مجمع قرطاجة الثّالث الّذي عقد سنة ٣٩٧ م وحدّد فيه الأسفار المقدّسة.

وأمّا ترتيب أسفار العهد القديم، فهو بالشّكل التّالي:

١. الشّريعة (التّوراة) أو أسفار موسى عليه السلام، وهي: تكوين، خروج، العدد، اللاويين، التّثنية.

٢. الأسفار التّأريخيّة، وهي: يشوع، القضاة، راعوث، صموئيل (١ و ٢)، سفر الملوك (١ و ٢)، سفر الأخبار (١ و ٢)، عزرا، نحميا، أستير.

٣. الأسفار الحكميّة، وهي: المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد، الحكمة.

٤. الأسفار النّبويّة، وهي: أشعيا، إرميا، مراثي إرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عوبديا، عاموس، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجّاي، زكريا، ملاخي.

ويمكن القول أنّ العهد القديم اليوم لا يحظى بنفس المكانة للعهد الجديد عند النّصارى مع تقدّيسهم إياه، باعتبار أنّ العهد الجديد بتعاليمه الجديدة قد نسخ العهد القديم.

٢. العهد الجديد

إنّ تسمية العهد الجديد أطلقها النّصارى على مجموعة الأسفار الّتي دوّنت بعد المسيح عليه السلام وذلك بعد تدوينها بفترة طويلة، وأصبحت القسم الثّاني من الكتاب المقدّس، ويحتوي على كتابات تعود إلى النّصف الثّاني من القرن الأوّل المسيحي، ودوّنت هذه الكتابات باللغة اليونانيّة الّتي كانت شائعة آنذاك في حوض البحر الأبيض المتوسط.

ولقد حاول علماء الكتاب المقدّس وضع نص موحد للعهد الجديد تتفق عليه كلّ الكنائس المسيحيّة، يكون الأقرب إلى النصّ الأصلي، ولكن لا يزال يدور إلى اليوم جدل حول صحّة بعض القراءات للعهد الجديد.

والظّاهر أنّ العهد الجديد استقى كتّابه معلوماتهم من التّعاليم الشّفاهية، ودوّن كلّ واحد منهم ما وصل إليه من هذه التّقاليد الشّفويّة في كتب، وكانت هذه الكتب في بداية القرن الثّاني الميلادي تتجاوز المائة، وقد حاولت الكنيسة جمع ما تراه مناسباً لتعاليمها ووضعته في كتاب واحد، هو العهد الجديد، ورفضت الكثير من الكتب الأخرى واعتبرت تلك الكتب أناجيل منحولة لا اعتبار لها.

وقد انعقدت مجامع كنسية كثيرة لوضع لائحة للأسفار المقدّسة للعهد الجديد، فقد أمر مجمع لادوكية ٣٦٣ ب. م، ومجمع هيبون ٣٩٣ ب. م، ومجمع قرطاجة ٣٩٧ ب.م، لائحة لأسفار العهد الجديد مماثلة إلى حدّ كبير للعهد الجديد الّذي بين أيدينا اليوم.

وهنا أيضاً نقطة يجب الالتفات إليها، وهي أنّ اسفار العهد الجديد وحتّى نهاية القرن الثّاني لم يكن أحد يتكلم بجلاء وصراحة عن الإلهام فيها، حتّى آباء الكنيسة، بل الكنيسة كانت في القرن الثّاني تعتبر العهد القديم فقط كتاباً مقدّساً بالدّرجة الأولى، وكانت تسمية العهد الجديد ذاتها لم تكن قد ولدت بعد، بل كان لابدّ من انتظار عدّة

قرون قبل أن نسمع عبارة «الكتاب المقدّس الملهم» الّتي نُعت بها العهد الجديد.

وقبل الخوض في البحث عن أسفار العهد الجديد أود الإشارة إلى مسألة، وهي: أنّ المسيح عليه السلام لم يكتب شيئاً أبداً، حسب ما تدعيه الكنيسة، بل ولم يأمر أحداً من تلاميذه بتدوين أقواله واعماله، ولكن بعد رفعه إلى السّماء ولأسباب عديدة بدأ المسيحيون الأوائل بكتابة مستندات وكتب ورسائل تشير إلى حياة المسيح وتعاليمه، وكان ذلك بعد منتصف القرن الأوّل للميلاد.

وأمّا كلمة: إنجيل، فقد استعملها المسيحيون منذ ظهور الدّين المسيحي، وهي كلمة يونانية تلفظ: ايوانجيليون، وهي اسم جنس واستعملت بمعنى البشرى أو البشارة، أي: الخبر السّار المُفرح. وأسفار العهد الجديد كتبت تقريباً قبل نهاية القرن الأوّل الميلادي، وأسماؤها حسب التّرتيب الموجود بين أيدينا في جميع نسخ العهد الجديد، وهي تشكل ٢٧ سفراً، هي كالتّالي: إنجيل متى ـ إنجيل مرقس ـ إنجيل لوقا ـ إنجيل يوحنّا ـ أعمال الرّسل ـ رسائل بولس وهي ثلاث عشر رسالة: رومة ـ كورنييثوس الأُولى ـ كورنيثوس الثّانية ـ غلاطيّة ـ أفسس ـ فيليبي ـ كولوسي ـ تسالونيكي الأُولى ـ تسالونيكي الثّانية ـ تيموثاوس الأُولى ـ تيموثاوس الثّانية ـ تيطس ـ فليمون. الرسالة إلى العبرانيين ـ الرّسائل العامّة ـ وهي سبعة: رسالة يعقوب ـ رسالة بطرس الأُولى ـ رسالة بطرس الثّانية ـ رسالة يوحنّا الأُولى ـ رسالة يوحنّا الثّانية ـ رسالة يوحنّا الثّالثة ـ رسالة يهوذا ـ رؤيا يوحنّا.

وسنُشير هنا إلى إناجيل العهد الجديد فقط، وبنحو مختصر لأهميّتها في معرفة تعاليم المسيح عليه السلام:

أوّلاً: إنجيل متّى

وهو الإنجيل الأوّل من أسفار العهد الجديد، وينسب حسب التّقليد المسيحي إلى القديس متى، ومتى مأخوذ من الاسم العبري: مثتيا، ومعناه: عطية الله، وله اسم ثانٍ ذكر في إنجيلي مرقس ولوقا، وهو اسم: لاوي بن حلفي، ولقب بالعشار؛ لأنّه كان يجبي ضريبة العشر في كفر ناحوم لحساب الرّومانيّين قبل أن يصبح من تلاميذ المسيح عليه السلام. وكانت وظيفة الجباية محتقرة بين اليهود، ولا يعرف عن متى سوى القليل، فقد دعاه المسيح عليه السلام فترك عمله وتبعه ولزمه، وروي أنّه بشر أوّلاً يهود أرض فلسطين، ثمّ غادر وطنه ورحل إلى بلاد العرب

والحبش، أو إلى بلاد فارس والعجم، ولا يعرف بالضّبط سنة وفاته ومكانها.

وقد كتب متى إنجيله باللغة الآراميّة الّتي كانت اللغة السّائدة بين اليهود في ذلك الزّمان، وهي لغة السيّد المسيح عليه السلام أيضاً الّتي تكلّم بها مع النّاس وأظهر دعوته، وهي لغة شبيهة إلى حدّ كبير باللغة السّريانيّة، وقد تُرجم هذا النّص الآرامي إلى اللغة اليونانيّة، ثمّ فقد الأصل الآرامي وبقيت ترجمته اليونانيّة فقط، وأصبحت هذه التّرجمة هي المعول عليها في البحث والنّقل إلى سائر اللغات الأخرى والمعتمدة لدى الكنيسة، ولا يعرف أحد بالتّحديد مكان كتابته للإنجيل أو زمان ترجمته إلى اليونانيّة، ويحتمل أنّها كتبت بين فترة ٥٠ ـ ١٠٠م، وهناك رأي يقول: إنّه كتب في فلسطين لأجل المؤمنين من بين اليهود الّذين اعتنقوا الدّيانة المسيحيّة المقيمين في فلسطين وسوريا.

ويظهر المسيح عليه السلام في إنجيل متى على أنّه المعلم الكبير، الّذي له القدرة على تفسير شريعة الله المقدّسة والإعلان عن ملكوت الله.

ثانياً: إنجيل مرقس

يعتبر إنجيل مرقس أقصر الأناجيل من بين الأناجيل الأربعة، وكاتب الإنجيل اسمه يوحنّا مرقس ويوحنّا اسمه اليهودي، ومرقس اسمه اللاتيني الّذي يعني: مطرقة، وقد ورد اسمه عدّة مرّات في سفر أعمال الرّسل، ودعي هناك بالاسمين منفردين أو مجتمعين، ولم يكن يوحنّا مرقس من التّلاميذ الاثنى عشر، ويزعم البعض أنّ مرقس هو نفسه الشّاب الّذي تبع المسيح لما أخذه اليهود في بستان الزّيتون، ويستدلون على ذلك، بأنّ مرقس قد أنفرد في رواية ما جرى لذاك الشّاب، وكأنّه يريد أن يشير إلى نفسه؛ إذ يقول:

> وتبعه شاب ليس عليه غير أزار، فأمسكوه فتخلى عن الأزار وهرب عرياناً[1].

وكان مرقس هذا نسيباً لبرنابا أحد وجهاء كنيسة أُورشليم ورفيق بولس في سفره، وقد خسر مرقس مكانته عند بولس أثر تراجعه في منتصف الطّريق في الرّحلة التّبشريّة الأولى، وتصالح بعد ذلك مع بولس ورافقه إلى رومية، ولازم فيما بعد بطرس وخدمه حتّى دعاه بطرس ابنه.

---

١. مرقس: ١٥/ ١٤.

ولا يعرف شيء حقيقي عن حياته بعد ذلك، إلاّ أنّ الآباء اتّفقوا على أنّه مترجم بطرس وأنّه كتب إنجيله تحت إرشاد بطرس، وذهب البعض إلى أنّ بطرس كتب بعض الحوادث الّتي شاهدها، وأنّ مرقس كتب إنجيله بعد مطالعة هذه الكتابات. وقد ذكر المؤرخ يوسيبوس بأنّ مرقس كان أوّل من نادى برسالة الإنجيل في مدينة الاسكندرية في مصر، وقد أنشأ فيها الكنيسة، واستشهد فيها سنة ٦٨ م، ويرمز إلى مرقس في الفن المسيحي بصورة الأسد.

وأمّا تأريخ كتابة السّفر، فقد ذكر البعض أنّ مرقس كتب البشارة الّتي تحمل اسمه بين عام ٦٥ ـ ٦٨ م.

وهناك ملاحظة حول خاتمة هذا الإنجيل، وهي أنّ الجزء الأخير منه: ١٦/٩ ـ ٢٠، وجد في بعض المخطوطات القديمة ولم يوجد في البعض الآخر، مثل المخطوطة السّينائية، ومخطوطة الفاتيكان؛ ولذلك فقد أصبح موضع بحث وشك من قبل علماء الكتاب المقدّس.

ثالثاً: إنجيل لوقا

يمكن اعتبار إنجيل لوقا بأنّه السّجل الأشمل بين السّجلات الّتي بين أيدينا عن حياة المسيح عليه السلام، فقد كان الاعتقاد سائداً في القرن الثّاني للميلاد بأنّ لوقا هو كاتب الإنجيل الثّالث وسفر أعمال الرّسل، ولوقا اسم لاتيني وربّما كان اختصاراً لـ: لوقانوس، أو لوكيوس، وأنّه ولد من أبوين يونانيين في أنطاكية ـ سوريا ـ، وهي المدينة الّتي دُعي فيها لأوّل مرّة اتباع المسيح مسيحيّين، وكان يمارس الطّب، وقيل إنّه كان رساماً، وإنّه رسم صورة السّيّدة مريم العذراء، وتتلمذ لبولس، وأصبح معاوناً له، وكان غالباً في صحبته إلى أن قُتل بولس في رومية، فترك لوقا هذه المدينة، إلاّ أنّنا لا نعرف اين قضى بقية حياته، ولا أين مات، وقد قيل إنّه بلغ السّبعين من عمره أو الثّمانين، والكنيسة تكرّمه تكريم الشّهداء.

وقد كتب لوقا إنجيله وسفر أعمال الرّسل باللغة اليونانيّة، ويعتقد البعض من علماء الكتاب المقدّس أن لوقا اعتمد في كتابة إنجيله على إنجيل مرقس الّذي كان أحد المصادر الرّئيسيّة لكتابه، ويذهب البعض إلى أنّه من الأرجح أنّ لوقا استقى كثيراً ممّا كتبه وبخاصة عن ولادة يسوع وزيارته للهيكل في سن الثّاني عشرة من العذراء مريم نفسها. وأمّا زمان كتابة هذا الإنجيل فالرّأي المشهور هو أنّه كتب قبل سفر أعمال الرّسل بوقت قصير، وبما أنّه من المرجح أنّ سفر أعمال الرّسل قد كتب حوالي سنة ٦٢ أو ٦٣ م، لذا يحتمل أنّه قد كُتِبَ سنة ٦٠ م.

وتسمّى هذه الأناجيل الثّلاثة ب: الأناجيل التّوافقيّة؛ لأنّها تتفق كثيراً في الأحداث والتّعاليم الّتي نقلت عن المسيح عليه السلام، بل أحياناً نجد نفس الجمل والعبارات تتطابق في الأناجيل الثّلاثة هذه.

رابعاً: إنجيل يوحنّا

ويختلف هذا الإنجيل عن الأناجيل الثّلاثة الأخرى اختلافاً جذريّاً، مضموناً وأسلوباً، وقلّ ما ذكر مؤلّفه من الأمور الّتي ذكرها الكتّاب الثّلاثة الأولون، ولايتضمن هذا الإنجيل أيّة أمثال، أمّا الأحداث الّتي يذكرها فقد حدثت معظمها في أورشليم أو ضواحيها.

والاعتقاد السّائد في الكنيسة هو أنّ كاتب هذا الإنجيل هو يوحنّا الرّسول أحد تلاميذ المسيح عليه السلام.

ويُدعى هذا الإنجيل أيضاً ب: الإنجيل الرّوحي، والظّاهر أنّ يوحنّا كتبه أو أملاه في مدينة أفسس، في: تركيا اليوم. في نهاية القرن الأوّل الميلادي، أي: بين سنة ٩٠ ـ ١٠٠ م. وقد كتب الإنجيل باللغة اليونانيّة.

وتعتقد الكنيسة أنّ الداعي إلى كتابة هذا الإنجيل هو تثبيت الكنيسة الأُولى في الإيمان بحقيقة لاهوت المسيح عليه السلام وناسوته معاً، وذلك لدحض البدع المضلّة الّتي كان فسادها آنذاك قد تسرب إلى الكنيسة، فإنّه يروي في إنجيله بعد مقدّمة يقرن فيها كلمة الله بالمسيح عليه السلام عدّة معجزات، وتفسيره لها ممّا أدى إلى اعتقاد الكنيسة إلى أنّ هذه المعجزات تدلّ على كون المسيح هو ابن الله، والمخلّص الموعود، ويتميّز كاتب الإنجيل هذا بأنّه يرمز إلى الحقائق الرّوحية بأستعارات ماديّة كالخبز والماء والنّور والرّاعي وغيرها. ويعتقد البعض أنّ هذا الإنجيل هو الّذي يثبت إلوهية المسيح أكثر من الأناجيل الأخرى؛ لنقله نصوصاً عن المسيح عليه السلام تشير إلى هذه العقيدة، وأرى أنّ هذا الاعتقاد مجانب للحقّ، بل استطيع القول إنّ إنجيل يوحنّا يثبت نبوّة وبشريّة عيسى، وإنّه نبيّ ورسول من الله أكثر من الأناجيل الأخرى[1].

---

١. يمكن مراجعة كتاب: الصحيح من إنجيل المسيح فى أناجيل العهد الجديد، للمؤلّف، للوقوف على حقيقة المسألة.

هذه نظرة سريعة عن الكتاب المقدّس وهناك مسائل وبحوث أخرى كثيرة تتعلق بدراسته لم نذكرها لعدم تناسبها مع هذا الكتاب المختصر، وهناك دراسات تخصّصية أخرى من قبيل ترجمات العهدين إلى اللغات الأخرى، وأهمّ النّسخ الخطيّة المتوفّرة منه حالياً، والّتي من خلالها يحاول المسيحيّون إثبات تواتر وحجيّة العهد الجديد، الّذي هو بين أيدينا اليوم، وغيرها من الدّراسات الأخرى حول الكتاب المقدّس.

عناوين مقترحة للبحث الدّرسي

١. نظرة في التّوراة (العهد القديم) ومسألة التّحريف.

٢. نظرة في الإنجيل (العهد الجديد) ومسألة التّحريف.

٣. الوحي الكتابي في الإسلام والمسيحيّة نقاط الاشتراك والافتراق.

٤. سند وحجّية العهدين (القديم والجديد).

مصادر البحث

١. المرشد إلى الكتاب المقدّس.

٢. معجم اللاّهوت الكتابي.

٣. قاموس الكتاب المقدّس.

٤. المسيح في المصادر الإسلاميّة الحديثة وفي المسيحيّة، د.منير الخوّام.

٥. تفسير العهد الجديد.

٦. التّفسير القويم لأسفار العهد القديم.

٧. دائرة المعارف الكتابيّة.

الفصل الثالث:

العقائد المسيحيّة الأساسيّة

١

ألوهيّة المسيح عليه السلام

تمهيد

يعتقد المسيحيّون بأنّ المسيح عليه السلام هو الله المتجسّد، ويؤكّدون أنّ مسألة الإيمان بالمسيح على أنّه الله المتجسّد قضية خطيرة، وعدم الإيمان بها يؤدّي إلى الهلاك.

يقول القسّ لبيب ميخائيل في كتابه لاهوت المسيح:

> إنّ الإنسان يستطيع أن يحيا حياته كلّها دون أن يعرف شيئاً عن بوذا أو كونفشيوس أو زرادشت أو غيرهم من زعماء الأديان، ولا يؤثّر جهله هذا في مصيره بعد الموت، أمّا إذا تجاهل المسيح ولم يعترف به ويقبله مخلّصاً شخصياً لنفسه فإنّه سوف يهلك إلى الأبد في الجحيم، كما يؤكّد ذلك يوحنّا الرّسول في إنجيله؛ لأنّه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلّص به العالم. الّذي يؤمن به لا يدان. والّذي لا يؤمن قد دين؛ لأنّه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد[١].[٢]

ومن خلال تفسيرهم لآيات العهد الجديد يقيمون الأدلّة على الإيمان بأنّ المسيح هو الله المتجسّد.

والمسيحيّون يؤكّدون من جانب آخر على أنّ هذا الإيمان بألوهية المسيح لم يكن مبتنياً على أسّس وراثيّة تناقلها الأبناء عن الآباء، بل على أدلّة قطعيّة مبثوثة في الوحي الإلهي، أي الكتاب المقدّس.

---

١. إنجيل يوحنّا: ٣/ ١٧.

٢. لاهوت المسيح، القسّ لبيب ميخائيل: ٢٨.

ويرفضون رفضاً قاطعاً أنّ يتمّ الحديث عن المسيح باعتباره معلّم أخلاقي ونبيّ ورسول، وبذلك تنفي عنه صفة الألوهيّة، ويعتبرون هذا الأمر إساءة إلى شخصيّة المسيح، وغباوة من قبل الشّخص القائل بهذا القول.

ولذا يقول البعض:

> إنّي أحاول هنا أن أمنع أيّ شخص من ترداد ذلك القول الغبي، الّذي نسمعه غالباً: أنا مستعد أن أقبل بيسوع كمعلّم أخلاقي عظيم، ولكني لا أقبله كالله. فهذا هو الشّي الوحيد الّذي يجب ألاّ نقوله[1].

ولغرض بيان الهدف من أن يصبح الله إنساناً، أي: تجسّده سبحانه ونزوله إلى العالم الأرضي على هيئة إنسان، يعتقد المسيحيون بأنّ هناك سببين رئيسيين لتجسّد الخالق ونزوله إلى البشريّة، وهما:

الأوّل: لتتم معرفة الله معرفة حقيقية واقعية، وهذا لا يتم إلاّ عن طريق التّجسّد؛ لأنّ الله لا متناهي، ومن الصّعب على الإنسان إدراك ومعرفة اللامتناهي، ولذلك يقول بهذا الصّدد: «كيف يمكن لكائنات بشريّة محدودة مثلنا أن تفهم الله غير المحدود؟ إذ إنّ من الصّعب على أيّ منّا أن يستوعب معاني أو أفكاراً مجردة، مثل: الحقّ أو الخير أو الجمال، من دون وجود أمثلة منظورة لها، فنحن نعرف الجمال عندما نراه في شيء جميل، والصّلاح عندما نراه مرتكزاً في شخص صالح، ولكن بالنّسبة لله، كيف يمكن لأيّ شخص أن يفهم طبيعته؟.

ثمّ يضيف قائلاً:

> يمكننا ذلك إلى حدّ ما إذا قام الله بطريقة ما بتحديد نفسه في شكل إنسان يمكن للكائنات البشريّة أن تفهمه[2].

وإذا تساءلنا كيف يمكن أن يعبّر إنسان محدود عن الله اللامحدود؟ يجيب:

> إنّ هذا الإنسان لن يعبِّر عن أبدية الله ووجوده الكلّي لعدم توفر الوقت والمجال لذلك، بل يعبّر تعبيراً منظوراً عن طبيعة الله، فقد أصبح المسيح إنساناً حتّى يتمكّن البشر من أن يفهموا الله اللامتناهي بعض الشّيء[3].

الثّاني: لتتم المصالحة بين الله والبشر، فالإنسان الأوّل، آدم قد ارتكب الخطيئة والمعصية، وهذه الخطيئة أحدثت فجوة عميقة بين الإنسان وخالقه، ولأنّ الخطيئة الّتي ارتكبها آدم سرت إلى البشريّة جميعاً ـ حسب المفهوم المسيحي للخطيئة الجماعيّة ـ فكانت المقاطعة بين

---

١. كتاب: نجّار وأعظم: ١٦.

٢. حقيقة لاهوت يسوع المسيح، جوش ماكدويل: ١٧.

٣. المصدر ١٧.

الله والإنسان، ولأنّ الله عادل رحيم فهو من جهة ملتزم ـ حسب صفة العدل ـ أن يعاقب الإنسان والبشريّة جميعاً، وهو في ذات الوقت إله رحيم، يحبّ خليقته جميعاً ولا يريد لهم العذاب والشّقاء، فالغفران الإلهي للإنسان الخاطي يجب أن يخضع لعدل الله ورحمته، فإذا غفر الله خطيئة الإنسان على أساس رحمته وحدها، لاستهان الإنسان بعدل الله ووصاياه، وإذا نفّذ حكمه ضدّ خطاياه على أساس عدله وحده، لكان الله «إلهاً» جبّاراً منتقماً. ولذلك فإنّه أرسل ابنه الوحيد (المسيح) ليفدي بدمه ذنوب وخطايا البشر.

وهذا ما سنشير إليه عند حديثنا عن عقيدة الفداء في المسيحيّة، والّذي يطالع تأريخ الفكر المسيحي يجد أن عقيدة ألوهيّة المسيح لم تكن معروفة وموجودة في القرن الأوّل الميلادي، بل ظهرت بوادر هذه العقيدة في بداية القرن الثّاني الميلادي، واشتدت في القرن الرّابع الميلادي عندما تمّ تصويب عقيدة التّثليث وألوهيّة المسيح، باعتباره ابن الله الحقيقي؛ وذلك في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م[١].

١. الأدلّة من العهد الجديد على ألوهيّة المسيح

هناك أدلّة كثيرة يستدلّ بها المسيحيون على كون المسيح إلهاً، وهنا سأشير إلى أهمّ الأدلّة الّتي ذكروها، ومنها:

أوّلاً: كلمات المسيح في العهد الجديد

من الأدلّة المهمّة الّتي يقيمها المسيحيّون على لاهوت المسيح، هي تصريحاته وأقواله عن نفسه، وهناك بعض الآيات في العهد الجديد تناقلها المسيحيون في إثبات ألوهيّة المسيح، ونحن بدورنا نستعرضها من دون تعليق، وهي:

١. قول المسيح في إنجيل يوحنّا:

لأنّكم إن لم تؤمنوا أنّي أنا هو تموتون في خطاياكم»[٢] وكلمة: (أنّي أنا هو) يفسّرونها حسب سفر أشعيا، حيث جاء «اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الّذي دعوته، أنا هو، أنا الأوّل وأنا الآخر، ويدي أسّست الأرض، ويميني نشرت السّماوات»[٣].

١. للمزيد من الاطلاع، راجع كتاب: تأريخ الفكر المسيحي، للقسّ حنّا الخُضري.
٢. إنجيل يوحنّا: ٨/ ٢٤.
٣. سفر أشعياء: ٤٨/ ١٢.

٢. وأيضاً قوله:

وخرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي، أبي الّذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يدي أبي، أنا والأب واحد[1].

٣. وأيضاً قوله:

لا تضطرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي... لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه، قال له فيلبس: يا سيد أرنا الأب وكفانا، قال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدّته ولم تعرفني يا فيلبس، الّذي رآني فقد رآني الأب، فكيف تقول أنت أرنا الأب، ألست تؤمن أنّي في الأب والأب فيّ. الكلام الّذي أكلّمكم به لست أتكلّم به من نفسي لكن الأب الحال فيّ هو يعمل الأعمال، صدّقوني أنّي في الأب والأب فيّ، وإلاّ فصدقوني لسبب الأعمال نفسها[2].

فهذا الكلام وفق تفسيرهم صريح في لاهوته، وهو خير دليل على إثبات لاهوت المسيح كما يدّعون.

٤. وأيضاً قوله:

أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة[3].

٥. وأيضاً:

أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكلّ من كان حياً وآمن بي لن يموت إلى الأبد[4].

٦. وأيضاً:

أنا هو الطّريق والحقّ والحياة ليس أحد يأتي إلى الأب إلاّ بي[5].

٧. وأيضاً قوله:

قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن[6].

وتقود هذه الأقوال ـ حسب المسيحيّين ـ إلى الاعتراف بلاهوته، أو تكذيبه واتّهامه

---

١. إنجيل يوحنّا: ١٠/ ٢٧ ـ ٣٠.
٢ إنجيل يوحنّا: ١٤/ ١.
٣. المصدر: ٨/ ١٢.
٤. المصدر: ١١/ ٢٥ ـ ٢٦.
٥. المصدر: ١٤/ ٦.
٦. المصدر: ٨/ ٥٨.

بالجنون، وهذا ما تحدّث عنه جورج برناردشو في مقدّمة روايته المشهورة: اندروكليس والأسد إذ يقول:

إنّ كلّ شخص ينظر إلى المسيح، ويتأمّل فيه، يجد نفسه مضطراً أن يتّخذ إزاءه قراراً حاسماً، فإمّا أن يكون المسيح صادقاً في قوله أنّه الله (لم نجد تصريح للمسيح بأنّه الله)، أو أن يكون مجنوناً، فلو أنّ المسيح قال: إنّه مجرد نبيّ لكان من السّهل أن نقبل تعليمه، ولكنّه لم يقل إنّه نبيّ، بل أعلن أنّه الله نفسه[1].

ولكن من يطالع أناجيل العهد الجديد يجد أن المسيح في كثير من الأحيان يصف نفسه بالنّبيّ ومنها على سبيل المثال رفضه من قبل قومه وأهل مدينته فقال:

ما من نبيّ يقبل في وطنه.[2]

إشارة إلى نفسه.

ثانياً: ميلاد المسيح الإعجازي

ومن الأدلّة على لاهوت المسيح هو مولده الإعجازي الفريد في البشريّة من دون أب، وقصّته مشهورة مذكورة في العهد الجديد وفي القرآن الكريم، وهذا الميلاد من دون أب بشري دليل عند النّصارى على أنّ المسيح ليس له أب سوى الله، وأيضاً أنّه الكائن البشري الوحيد الّذي لم يتنجّس بخطيئة آدم عليه السلام.

فمن الواضح في العقيدة المسيحيّة أن كلّ البشر ورثوا الخطيئة؛ لأنّهم توارثوا دم آدم الّذي أفسدته الخطيئة، كما أعلن بولس في رسالته إلى رومية قائلاً:

من أجل ذلك كأنّما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع النّاس إذ أخطأ الجميع[3].

فالبشر جميعهم يحملون في عروقهم دم آدم الملوث بالخطيئة إلاّ المسيح، ويقولون لقد كان آدم هو نبع النّهر الّذي جاء منه البشر، وما دام النّبع قد تلوّث بالخطيئة، فكلّ قطرة ماء تجري في النّهر حملت جراثيم الخطيئة.

ويضيفون لو كان المسيح مجرد إنسان، فلماذا لم يولد كما يولد سائر البشر؟ ويجيبون على ذلك بالقول: إنّ ولادة المسيح من عذراء كان غرضها الأساسي فداء

١. حقيقة التّجسّد، ثروت سعيد: ١١٧.
٢. إنجيل لوقا: ٤/ ٢٤.
٣. رسالة بولس إلي أهل رومية: ٥/ ١٢.

الإنسان؛ ولأنّ الفداء لا يمكن أن يتممه سوى الله، فالمسيح إذاً هو (الله الابن) الّذي أخذ صورة الإنسان.

فهذه الولادة هي عملية اتّحاد لكلمة الله(اللاهوت) مع الجسد والنّاسوت في أحشاء مريم العذراء، فالمسيح هو الوحيد الّذي انفرد بهذه الخصوصيّة بين الجنس البشري، ويؤيدون قولهم هذا ببعض الرّوايات الإسلاميّة الواردة عن النّبيّ الأكرمﷺ بخصوص ولادة المسيح وعدم استطاعة الشّيطان من التّقرب إليه أثناء الولادة.

ومن هذه الولادة يستدلون على أنّ المسيح له طبيعة فريدة متميّزة عن كلّ البشر في كلّ العصور على مدى التّأريخ، ولكن القرآن الكريم يؤكّد أنّ آدم أيضاً مَثَلَهُ مَثَلُ عيسى ليس له أب، بل ولا أم، فهو أولى من نعته بالإله إذا كانت الولادة من غير أب تعني الإلوهيّة.

ثالثاً: صفات المسيح

ومن الأدلّة على ألوهيّة المسيح هي صفاته الّتي انفرد بها أيضاً، وهي الصّفات الّتي انفرد بها الله سبحانه وتعالى، ويمتاز بها عن كلّ المخلوقات، ومنها:

١. الخالق

يعتقد النّصارى إنّ الخلق صفة إلهيّة تخصّ الله وحده، وهذا ما تؤكد عليه جميع الأديان التّوحيديّة، ولم يمنحها لإنسان قطُّ مهما كان شأنه، وهذا ما أكّد عليه الكتاب المقدّس والقرآن الكريم، ولكن النّصارى يعتقدون أنّ المسيح هو الإنسان الوحيد الّذي قام بعملية الخلق، وهذا ما ينقله يوحنّا في إنجيله في مسألة خلق أعين الأعمى من طين، إذ يقول:

> وتفل (المسيح) على الأرض، وصنع من التّفل طيناً، وطلى بالطّين عيني الأعمى، وقال له: إذهب اغتسل في بركة سلوام، فمضى واغتسل وأتى بصيراً[١].

وكذلك ما ينقله القرآن الكريم عن خلق المسيح من الطّين كهيئة الطّير فينفخ فيها فتصبح طيراً بإذن الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَنّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّين كَهَيْئَةِ الطَّيْر فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢].

---

١. إنجيل يوحنّا ٩/ ٦ ـ ٧.

٢. المائدة: ١١٠.

فكما أنّ الله خلق آدم من تراب الأرض فنفخ فيه وأعطاه نسمة الحياة، كذلك فعل المسيح، إذاً: المسيح هو الله الخالق، ولكن القرآن صريح في بيان أنّ هذه المعجزة تمّت بإذن الله تعالى وقوّته، ولولا ذلك لما استطاع المسيح أن يقوم بها.

٢. غافر الخطايا

إنّ هذه الصّفة ـ وكما هو معلوم ـ مختصّة بذات الباري عزّ وجلّ ولا يستطيع أحد من البشر أن يدّعيها لنفسه، إذ البشر ـ كما أسلفنا ـ كلّهم ارتكبوا الخطيئة والمعصية، (حتّى الأنبياء وفق الرّؤية المسيحيّة، ولذلك فليس من المعقول أن يغفر الإنسان الخاطي ذنوب وخطايا غيره، ولكن المسيح كما ينقل العهد الجديد على لسان بولس يؤكّد أنّه يغفر الخطايا، يقول بولس في رسالته إلى أهل كولوسي[١]:

إنّ المسيح هو الّذي يغفر الخطايا، قال المسيح لبولس: بأنّ عليه أن يؤمن به لينال غفران الخطايا[٢].

وأيضاً ينقل مرقس في إنجيله أنّ المسيح قال للمفلوج الّذي جاء إليه: يا بني مغفورة لك خطاياك[٣].

فقد كان للمسيح سلطان على مغفرة الخطايا، وهذه الصّفة مختصّة بالله وحده، إذاً: المسيح هو الله حسب اعتقادهم.

٣. كلّي الوجود

ومن الصّفات الّتي انفرد بها الله سبحانه هي أنّه موجود في كلّ مكان ولا يخلو منه مكان أبداً، ولكن هذا لا يعني أنّ الأشياء هي الله بتاتاً، بل هو مع الأشياء، وهذه المعيّة لله مع الأشياء من الأمور الثّابتة في اليهوديّة والمسيحيّة وحتّى الإسلام، ولكن العهد الجديد يصف المسيح بأنّه كلّي الوجود أيضاً، وبهذا المعنى فإنّ بولس يقول في رسالته إلى أفسس:

الّذي نزل هو الّذي صعد أيضاً فوق جميع السّماوات لكي يملأ الكلّ ـ كلّ شيء ـ[٤].

---

١. رسالة بولس إلي أهل كولوسي: ٢/ ١٣؛ ٣/ ١٣.

٢. سفر أعمال الرّسل: ٢٦/ ١٨.

٣. إنجيل مرقس: ٢/ ١ ـ ١٢.

٤. رسالة بولس إلى أهل أفسس: ٤/ ١٠.

وأيضاً قال المسيح لتلاميذه:

لأنّه حينما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم[1].

وأيضاً قال المسيح: «وها أنا معكم كلّ الأيام إلى انقضاء الدّهر»[2] فهذه الآيات من العهد الجديد وفقاً للتّفسير المسيحي لها تثبت هذه المعية للمسيح مع كلّ شيء، فهو إذن الله ولهذا سمي عمانوئيل. أي: الله معنا.

٤. كلّي العلم

إنّ الله سبحانه يعلم كلّ شيء، وهذه الصّفة أيضاً مختصّة بذاته المقدّسة، فهو الوحيد الّذي له إحاطة علميّة بكلّ الأشياء سابقها وحاضرها ومستقبلها، ولا يمكن لأيّ مخلوق مهما بلغ من درجة الكمال أن تكون له هذه الصّفة المطلقة من العلم، ولكن العهد الجديد يصوّر لنا المسيح على أنّ له علم كلّي مطلق، أي: أنّه عالم بكلّ شيء ماضيه وحاضره ومستقبله. ففي إنجيل يوحنّا يذكر:

أنّ المسيح «كان يعرف الجميع»؛ لأنّه علم «ما كان في الإنسان»[3]. وأيضاً فقد شهد التّلاميذ له بذلك قائلين: «الآن نعلم أنّك عالم بكلّ شيء»[4]، وهو أيضاً كان عنده معرفة مسبقة بمن سيخونه[5].

٥. السّرمديّة (الأزليّة والأبديّة)

وهذه الصّفة أيضاً مختصة بالله تبارك وتعالى، فهو الأوّل والآخر، وليس هناك مخلوق يمتلك هذه الصّفة، ولكن النّصارى يعتقدون أنّ هناك فقرات وآيات من العهد الجديد تدعم وجود المسيح قبل ولادته، كوجود حقيقي لا مجرد فكرة في علم الله السّابق، ومنها قول المسيح: «خرجت من عند الأب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الأب»[6]، وأيضاً

---

١. إنجيل متّى: ١٨/ ٢٠.
٢. المصدر: ٢٨/ ٢٠.
٣. إنجيل يوحنّا:٢/٢٤ ـ ٢٥.
٤. المصدر: ٣٠/١٦.
٥. المصدر: ٤٦/٦.
٦. المصدر: ٢٨/١٦.

قوله: «وليس أحد صعد إلى السّماء إلاّ الّذي نزل من السّماء، ابن الإنسان الّذي هو في السّماء»[1]، وأيضاً صلاة المسيح عندما قال:

الآن مجدني أنت أيّها الأب عند ذاتك بالمجد الّذي كان لي عندك قبل كون العالم[2]، بل وحتّى يوحنّا المعمدان (يحيى) الّذي ولد قبل المسيح بستة أشهر يؤكّد هذا الوجود الأزلي بقوله: الّذي يأتي بعدي صار قدامي لأنّه كان قبلي[3].

فلم يكن هناك زمن لم يكن فيه الله موجوداً، وكذلك المسيح الّذي قال: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن[4].

ومن هذه الآية يستدلّ النّصارى على أنّ المسيح ليس فقط سابق الوجود، بل إنّ تعبير: «أنا كائن»، يدلّ على أنّه الأبدي الدائم الوجود، والله سبحانه كذلك، فهو دائم الوجود.

ولكن هذا مخالف للوقائع التّأريخيّة الّتي تثبت أنّ المسيح ولد وخلق في زمان متأخر، وإذا كان مرادهم هو وجوده قبل خلقه فهذا لا يعني كونه أزلي وأبدي إطلاقا.

رابعاً: أفعال المسيح ومعاجزه

يعتقد المسيحيون بأنّ المعجزة ضرورة لإثبات النّبوة، ودليلاً على صدق الأنبياء، وهذه المعجزات لا يفعلها الشّخص بقوّته الشّخصيّة، بل بقوّة الله سبحانه، ولكن المسألة تختلف مع المسيح، فإنّه يجري المعجزات بقوة لاهوته وسلطانه الإلهي، فلذلك فهو غير محتاج إلى قوة أخرى لاجرائها.

ويقولون إنّ هذه المعجزات هي أسطع دليل على ألوهيته؛ لأنّها علامة القدرة الإلهيّة في من يفعلها بقوته الذّاتيّة، فموسى والأنبياء صنعوا معجزات ولكن ليس بقوّتهم الذّاتيّة، كما صرّحوا بذلك للشّعب، وأمّا المسيح فقد فعل معجزاته بقوّته، وحين فعلها نسبها إلى نفسه فقط، بل وأعطى تلك القوى إلى الرّسل والتّلاميذ.

فهذا السّلطان ليس من الله ويفعل بإذن الله، كما عند غيره من الأنبياء والأولياء، إنّما هو السّلطان الإلهي بقدرته الذّاتيّة مثل الله نفسه، ولا يقهر سلطان الطّبيعة إلاّ ربّ الطّبيعة، ولا

---

١. المصدر: ١٣/٣.

٢. المصدر: ١٧ ٥.

٣. المصدر: ١/ ١٥ ـ ٣٠.

٤. المصدر: ٨/ ٥٨.

سيّما إحياء الموتى، فسلطان وقوّة الإحياء هو سلطان إلهي محفوظ لله وحده، والمسيح كما تنقل الأناجيل قد أحيى الموتى، ولذلك فهو الله.

ومن يراجع آيات العهد الجديد يجد بوضوح وفي كثير من الأحيان أنّ المسيح كان يرجو الله أن يجري على يديه هذه المعجزه أو تلك، بل إنّ وصيه بطرس صرّح بأنّ هذه المعاجز كانت تتم بقوة الله، حيث قال في سفر أعمال الرّسل،[1] ما هذا نصه: «يا بني إسرائيل اسمعوا هذا الكلام: إنّ يسوع النّاصري رجل أيّده الله بمعجزات وعجائب، وآيات أجراها على يده بينكم».

ونشير هنا باختصار إلى بعض معاجزه:

١. إحياء الموتى

وذلك في إحياء ابن أرملة نايين، عندما قال له:

أيها الشّاب لك أقول: قم، فجلس الميّت وابتدأ يتكلّم فدفعه إلى أمّه[2].

وأيضاً في إحياء ابنة يايرس رئيس مجمع كفرناحوم، عندما خاطبها: يا صبية إرجعي، فرجعت روحها إليها وقامت في الحال، فأمر أن تُعطى لتأكل[3].

> لكن قصّة إحياء لعازر تبقى في نظر المسيحيّين هي الأهم، ولعازر هو أخ مريم ومرتا. وقد مات ودفن لمدّة أربعة أيام، فقد جاءت أخت لعازر إلى المسيح، وقالت له: يا سيدي لو كنت هنا لما مات أخي؟ فلمّا رآها يسوع تبكي، قال: أين وضعتموه؟ قالوا له: يا سيد هلّم وانظر. فجاء القبر، وقال: ارفعوا الحجر. فقالت له مرتا أخت الميت: لقد أنتن يا سيدي، فإنّ له أربعة أيّام... فرفعوا الحجر... فصرخ قائلاً: «يالعازر هلّم خارجاً فخرج ويداه ورجلاه مربوطتان...»[4]

ويعتقد المسيحيون أنّ قصّة إحياء لعازر هي أبلغ دليل على أُلوهيّة المسيح.

٢. شفاء المرضى

وهي من المعجزات المشهورة للمسيح، وقد تناقلت الأناجيل أخبارها، ومنها: قدرته على

---

١. سفر أعمال الرسل: ٢/٢.
٢. المصدر: ٧/ ١٤.
٣. المصدر: ٨/ ٥٤.
٤. المصدر: ١١/ ١٧.

شفاء الأمراض المستعصية، مثل العمى، فقد نقل إنجيل يوحنّا بهذا الخصوص:

وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته، فسأله تلاميذه قائلين: يا معلّم من أخطأ هذا أم أبواه حتّى ولد أعمى؟ فأجاب المسيح: لا هذا أخطأ ولا أبواه ولكن لتظهر أعمال الله فيه.

ثمّ يضيف يوحنّا في إنجيله:

قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التّفل طيناً وطلى بالطّين عيني الأعمى، وقال له: إذهب اغتسل في بركة سلوام، فمضى واغتسل وأتى بصيراً[١].

وأيضاً المعجزة الّتي نقلها يوحنّا في إنجيله، قال:

في أورشليم عند باب الضأن بركة يقال لها بالعبرانيّة بيت حسدا لها خمسة أروقة، في هذه كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعمى يتوقّعون تحريك الماء، لأنّ ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرّك الماء، فمن نزل أوّلاً بعد تحريك الماء كان يبرء من أيّ مرض اعتراه.

وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة، هذا رآه يسوع مضطجعاً وعلم أنّ له زماناً كثيراً، فقال له: أتريد أن تبرأ؟ قال للمسيح: يا سيد ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرّك الماء، بل بينما أنا آت ينزل قدامي آخر، فقال له المسيح: قم احمل سريرك وامش. فحالاً برىء الإنسان وحمل سريره ومشى[٢].

بل أحياناً أظهر المسيح قدرته على شفاء المرضى من دون أن يراهم، ففي إنجيل يوحنّا يُنقل «أنّ المسيح كان في قانا الجليل وكان خادم للملك ابنه مريض في كفر ناحوم، هذا إذ سمع أنّ يسوع جاء من اليهوديّة إلى الجليل، انطلق إليه وسأله أن ينزل ويشفي ابنه؛ لأنّه كان مشرفاً على الموت، فقال له يسوع: لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب.

فتوسّل إليه قائلاً:

يا سيد إنزل قبل أن يموت ابني. فقال له يسوع: اذهب ابنك حي، فآمن الرّجل بالكلمة الّتي قالها له يسوع وذهب. وفيما هو نازل استقبله عبيده وأخبروه قائلين إنّ ابنك حي، فاستخبرهم عن السّاعة الّتي فيها أخذ يتعافى فقالوا له: أمس في السّاعة السّابعة تركته الحمى.

ففهم الأب أنّه في تلك السّاعة الّتي قال له فيها يسوع: إنّ ابنك حي، فآمن هو وبيته كلّه[٣].

---

١. إنجيل يوحنّا: ٩/ ٣ ـ ٧.

٢. المصدر: ٥/ ٥ ـ ٨.

٣. المصدر: ٤/ ٤٦ ـ ٥٣.

٣. إطعام الجماهير الغفيرة

وهي من معجزاته المشهورة أيضاً، فقد جاء في إنجيل يوحنّا بهذا الخصوص:

بعد هذا مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية، وتبعه جمع كثير؛ لأنّهم أبصروا آياته الّتي كان يصنعها في المرضى، فرفع يسوع عينيه ونظر أنّ جمعاً كثيراً مقبل إليه فقال لفيلبس: من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟ وإنّما قال هذا ليمتحنه لأنّه هو علم ما هو مزمع أن يفعل.

فأجاب فيلبس: لا يكفيهم خبزاً بمئتي دينار ليأخذ كلّ واحد منهم شيئاً يسيراً، فقال اندراوس، وهو أحد التّلاميذ: هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان.

فقال المسيح لتلاميذه: اجعلوا النّاس يتّكئون، فاتّكأ الرّجال وعددهم نحو خمسة آلاف، وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التّلاميذ والتّلاميذ أعطوا المتّكئين، فلمّا شبعوا قال لتلاميذه: اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء، فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر الفاضلة من خمسة أرغفة الشّعير الّتي فضلت عن الآكلين[١].

وهناك آيات ومعاجز أُخرى كثيرة تناقلتها أناجيل العهد الجديد، بل قد صرّح يوحنّا في إنجيله:

وآيات أُخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب، وأمّا هذه، فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم به حياة باسمه[٢].

خامساً: قبوله للعبادة

إنّ موضوع العبادة في الكتاب المقدّس هو أحد المواضيع المهمّة والواضحة تماماً، فالعهدان القديم والجديد يؤكّدان أنّ العبادة هي لله وحده، فقد نادى الله الشّعب الإسرائيلي قائلاً:

اسمع يا شعبي فأحذّرك، يا إسرائيل إن سمعت لي لا يكن فيك إله غريب، ولا تسجد لإله أجنبي[٣].

وفي العهد الجديد وردت آيات كثيرة تؤكّد على اختصاص العبادة بالله وحده، فقد قال المسيح لإبليس عندماحاول أن يجرّبه:«للربّ إلهك تسجد،وإياه وحده

١. المصدر: ٦/ ١٠ ـ ١٣.

٢. المصدر: ٢٠/ ٣٠.

٣. سفر المزامير، مزمور: ٨١/ ٨.

تعبد»[1]. فلا يصحّ لبشر أو ملاك أن يتلقّى العبادة، إذ لا يمكن أن يعطي الله مجده لآخر.

ويعتقد المسيحيون أنّ المسيح لم يحجم عن تلقّي العبادة، بل قبلها من الآخرين كحقّ له، فلو كان المسيح مجرد إنسان وقبل السّجود لكان أعظم مضل ظهر على وجه الأرض، إذ إنّه سيكون إلهاً أجنبيّاً، وقد نهى الله تبارك وتعالى عن السّجود لأيّ إله أجنبي، كما ذكرنا آنفاً.

وقد ذكر العهد الجديد تقديم العبادة للمسيح من خلال بعض آياته، بينما رفض تلاميذه ورسله، بل حتّى الملائكة أيضاً قبول العبادة من الآخرين.

فهذا بطرس الوصي عندما دخل قيصريّة استقبله كرينليوس وسجد واقعاً على قدميه، فلم يقبل بطرس هذا السّجود، كما نقرأ في سفر أعمال الرّسل.

فأقامه بطرس قائلاً: قم أنا أيضاً إنسان[2].

والملائكة أيضاً رفضوا سجود الآخرين لهم، ففي الإصحاح الأخير من سفر رؤيا يوحنّا، حيث نقرأ:

وأنا يوحنّا الّذي كان ينظر ويسمع هذا، وحين سمعت ونظرت خرّرت لأسجد أمام رجلي الملاك الّذي كان يريني هذا، فقال لي: انظر لا تفعل؛ لأنّي عبد معك ومع إخوتك الأنبياء، والّذين يحفظون أقوال هذا الكتاب، اسجد لله[3].

أمّا المسيح فيعتقد النّصارى أنّه قبل السّجود من قبل تلاميذه، ففي إنجيل متى نرى المسيح ماشياً على الماء في قلب العاصفة الهوجاء، ويأمر بطرس بالمجيء إليه، ثمّ يذكر: «لما دخلا السّفينة سكنت الرّيح، والّذين في السّفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله»[4].

وفي إنجيل لوقا، نقرأ: وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد إلى السّماء،فسجدوا لهورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم[5].

---

١. إنجيل متّى: ٤/ ١٠.
٢. سفر أعمال الرّسل: ١٠/ ٢٥.
٣. سفر رؤيا يوحنّا: ٢٢/ ٨.
٤. إنجيل متّى: ١٤/ ٣٢.
٥. إنجيل لوقا: ٢٤/ ٥٠ ـ ٥٢.

وقبل السّجود أيضاً من النّاس، فعندما أعاد البصر للمولود الأعمى، وطرده اليهود من مجمعهم بسبب اعترافه بقوّة المسيح

فسمع يسوع أنّهم أخرجوه خارجاً فوجده وقال له: أتؤمن بابن الله؟ أجاب ذاك، وقال: من هو يا سيدي لأومن به؟ فقال له يسوع: قد رأيته والّذي يتكلّم معك هو، فقال: أؤمن يا سيّد، وسجد له[1].

وإذا كان المسيح قد قبل السّجود من الآخرين، فهو الله، وفق التّفسير المسيحي؛ لأنّه مكتوب كما ذكرنا للربّ إلهك تسجد وإياه وحده تعبد، ولكن سنشير إلى أنّ المسيح نفسه كان كثير العبادة أيضاً، فإذا كان هو الله كما يدّعون، فالله تبارك وتعالى لا يتعبد لأحد إطلاقاً، بل هو الّذي يستحق العبادة من الآخرين، كما يؤكّدون وتؤكّد جميع الأديان التّوحيديّة.

وأنا أكتفي بهذا المقدار من الأدلّة الّتي يذكرها المسيحيون على أُلوهيّة المسيح من العهد الجديد، وإن كانوا هم يستدلون بأدلّة أخرى أقل أهميّة من هذه، بل يذهبون إلى أنّ العهد الجديد كلّه يتحدّث عن أُلوهيّة المسيح، حتّى قال بعضهم:

كلّ شخص يقرأ الكتاب المقدّس دون أن يستنتج أنّ المسيح هو الله، يكون كالشّخص الواقف في العراء في وضح النّهار، ويقول: إنّه لا يرى الشّمس، وبذلك يكون هو والأعمى واحد[2].

٢. الإشكالات الّتي تعترض لاهوت المسيح

هناك إشكالات كثيرة تطرح على عقيدة أُلوهيّة المسيح من خلال آيات العهد الجديد نفسه، وسأشير هنا بعض تلك الإشكالات باختصار، ومنها:

أوّلاً: قال يسوع: «أبي أعظم منّي»[3]. وهذا القول يثبت أنّ يسوع المسيح هو أقل مكانة وشأناً من الأب، فكيف يمكن القول بتساوي الجوهر الإلهي في الأب والابن؟

ثانياً: ليس صالحاً إلاّ الله وحده: لقد سأل أحدهم المسيح قائلاً: أيها المعلّم الصّالح؟ ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله[4].

---

١. إنجيل يوحنّا: ٩/ ٣٥.

٢. كتاب نجار وأعظم، جوش ما كدويل: ٩.

٣. إنجيل يوحنّا: ١٤/ ٢٨.

٤. إنجيل مرقس: ١٠/ ١٧ـ ١٨.

وبهذا القول يتّضح أنّ المسيح نفى الأُلوهيّة عن نفسه؛ لأنّه رفض أن يُدعى صالحاً، واعتبر هذا اللقب من مختصات الله فقط.

ثالثاً: قول المسيح: إلهي وإلهكم[1].

ويتّضح من هذا القول إنّ الله هو إله المسيح، وهو ما صرّح به بولس في رسالته إلى أهل أفسس حينما قال:

كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته[2].

وهذا من أصعب الإشكالات الّتي تواجه حقيقة لاهوت المسيح في العهد الجديد، ولا سيّما إذا أضفنا إليه قول المسيح على خشبة الصّليب: إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟[3].

رابعاً: معرفة المسيح محدودة.

نقرأ في إنجيل مرقس:

وأمّا ذلك اليوم وتلك السّاعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الّذين في السّماء ولا الابن إلاّ الأب[4].

والإشكال في هذه الآية على أُلوهيّة المسيح واضح، فالله هو العالم بكلّ شيء، والمسيح ـ حسب تصريحه ـ في هذه الآية يؤكّد عدم معرفته ليوم أو ساعة مجيئه، وبالتّالي فليس هو الله أو ابن الله.

خامساً: المسيح بكر كلّ خليقة.

في رسالة بولس إلى كولوسي نقرأ عن المسيح قوله:

الّذي هو صورة الله غير المنظورة بكر كلّ خليقة[5].

والظّاهر من الآية أنّ المسيح هو بكر كلّ خليقة، والبكر هو الأوّل، فالمسيح هو أوّل مخلوقات الله، ولهذا لا يكون هو الله الأزلي.

٣. نقد أُلوهيّة المسيح في القرآن

إنّ القرآن الكريم يدعوا إلى عقيدة التّوحيد بصريح القول، فالله سبحانه لا شريك له ولا إله

---

١. إنجيل يوحنّا: ٢٠/ ١٧.
٢. رسالة بولس إلي أهل أفسس: ١/ ١٧.
٣. إنجيل متّى: ٢٧/ ٤٦.
٤. إنجيل مرقس: ١٣/ ٢٣.
٥. رسالة بولس إلي أهل كولوسي: ١/ ١٥.

آخر معه، وأيضاً فهو سبحانه صرف الوجود وبسيط الحقيقة لا تكثّر ولا تركيب في ذاته المقدّسة أبداً، إذ التّكثّر والتّركيب لازمه الفقر والاحتياج، وهو الغني المطلق بذاته.

وقد نفى سبحانه وتعالى في كتابه المنزل على نبيّه محمّدﷺ الشّريك والولد، والأوّل كما هو واضح إشارة منه سبحانه على نفي كلّ إله آخر سواه، والثّاني هو نفي التّركيب والتّكثّر في ذاته.

وأهم دليل يقيمه القرآن على نفي الأُلوهيّة عن المسيح، هو ما اتّصف به من صفات البشريّة ولوازمها، فانّ الإنسان لا يكون إلهاً بحال من الأحوال، وهذا يحتاج إلى إثبات عقلي مستقل.

يقول العلاّمة الطّباطبائي في تفسيره الميزان في تفسير القرآن بخصوص هذه المسألة:

> إنّ المسيح حملت به مريم، وربّته جنيناً في رحمها، ثمّ وضعته وضع المرأة ولدها، ثمّ ربّته كما يتربّى الولد في حضانة أمّه، ثمّ أخذ في النّشوء وقطع مراحل الحياة والارتقاء في مدارج العمر من الصّبا والشّباب والكهولة، وفي جميع ذلك كان حاله حال أي إنسان طبيعي في حياته، يعرضه من العوارض والحالات ما يعرض الإنسان، من جوع وشبع، وسرور ومساءة، ولذّة وألم، وأكل وشرب، ونوم ويقظة، وتعب وراحة غير ذلك.
>
> فهذا ما شوهد من حال المسيح حين مكثه بين النّاس، ولا يرتاب ذو عقل أنّ من كان هذا شأنه فهو إنسان كسائر الأناسي من نوعه، وإذا كان كذلك فهو مخلوق مصنوع كسائر أفراد نوعه[1].

ومن الآيات الّتي أشارت إلى بشريّة المسيح، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قَالُوا إنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَة وَمَا مِنْ إله إلاَّ إلهٌ وَاحِدٌ وَإن لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ * مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2].

وقد خصّ الله تبارك وتعالى أكل الطّعام من بين جميع الأفعال بالذكر؛ لكونه من أوضحها دلالة على الماديّة، واستلزاماً للحاجة والفاقة المنافيّة للأُلوهيّة، فمن المعلوم أنّ من يجوع ويظمأ بطبعه، ثمّ يشبع بأكلة أو يرتوي بشربة، ليس عنده غير الحاجة والفاقة الّتي لا

---

١. العلاّمة الطّباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٣/ ٣٣٢.

٢. المائدة: ٧٣، ٧٥.

يرفعها إلاّ غيره، فما معنى أُلوهيّة من هذا شأنه؟ فإنّ الّذي قد أحاطت به الحاجة واحتاج في رفعها إلى الخارج من نفسه، فهو ناقص في نفسه مدبّر بغيره، وليس بإله غني بذاته، بل هو مخلوق مدبّر بربوبيّة من ينتهي إليه تدبيره.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الّذينَ قَالُوا إِنّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْض جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّماوَاتِ وَالأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

فلو كان المسيح إلهاً لقدر على دفع أمر الله تعالى إذا أراد سبحانه إهلاكه وإهلاك غيره، يقول في مجمع البيان:

وبهذه الآية أجاب الله سبحانه على النّصارى القائلين بأنّ الله جلّ جلاله اتّحد بالمسيح فصار النّاسوت لاهوتاً يجب أن يُعبد ويتّخذ إلهاً، فاحتجّ عليهم بأنّ من جاز عليه الهلاك لا يجوز أن يكون إلهاً[2].

وأيضاً تشبيه عيسى المسيح بآدم حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَاب ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3]، وغيرها من الآيات الكثيرة الأُخرى الّتي تشير إلى كون المسيح إنساناً مخلوقاً وعبداً رسولاً، ولذلك نبّه القرآن على عدم الغلو في شخصية المسيح، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ...﴾[4].

٤. نقد أُلوهيّة المسيح عقلاً

لقد أثار علماء الإسلام الكثير من الإشكالات العقليّة على مسألة التجسّد وأُلوهيّة المسيح، ورفضوا هذه العقيدة رفضاً قاطعاً، وسنتطرق هنا إلى بعض تلك الاعتراضات العقليّة على أُلوهيّة المسيح.

---

١. المصدر: ١٧.
٢. مجمع البيان ٣: ٢٣٠.
٣. آل عمران، ٥٩.
٤. النّساء، ١٧١.

الإشكال الأوّل

إنّ الحقائق الثّلاثة: الوجوب، الإمكان، الامتناع.[١] يستحيل انقلاب كلّ واحد منها إلى الآخر، فالوجوب لا يكون إمكاناً ولا امتناعاً، والامتناع لا يكون وجوباً ولا إمكاناً، وكذلك الإمكان، فلو انقلب الوجوب الذّاتي إلى الإمكان لكان الوجوب الذّاتي جامعاً بين استحالة العدم وجواز العدم عليه، وهو مستحيل بالضّرورة العقليّة والوجدانيّة.

وحينئذ فالقول بأنّ كلمة: الابن. صارت جسداً، وهي الأقنوم الثّاني من كيان وذات الله الواجب الوجود، يكون باطلاً؛ لأنّه مع تفسير الكلمة بالأقنوم الثّاني يكون انقلاب الوجوب الذّاتي إلى الإمكان الذّاتي الّذي وضّحنا استحالته.

الإشكال الثّاني

وهو ما ذكره الشّيخ البلاغي، وهو يتكوّن من مقدّمات نذكرها باختصار:

المقدّمة الأولى: إنّ واجب الوجود لا يكون مركباً؛ لأنّ المركب محتاج إلى أجزائه، وإلى فاعل يركّبها ويؤلّف بينها، والمحتاج لا يكون واجب الوجود.

المقدّمة الثّانية: لا يكون واجب الوجود ماديّاً، لأنّ المادي مهما فرض له من البساطة في الماهية لابدّ من أن يكون مركّباً في المقدار.

المقدّمة الثّالثة: إذا تجسّد واجب الوجود، فإمّا يكون تعالى شأنه جسداً من الأزل بمعنى كونه ماديّاً من الأزل، وقد تقدّم امتناعه على واجب الوجود -ولا يقول به النّصارى أنفسهم-. وإمّا أن يكون التّجسّد حادثاً، وهذا يعني تغيّر كيانه الأوّل، وواجب الوجود لا يمكن أن يتغيّر كيانه، ومن الواضح أنّه يستحيل أن يتبدل هذا الكيان إلى كيان آخر وإن كان بسيطاً أيضاً؛ لأنّ الكيان الأوّل يخرج عن كونه واجب الوجود، والكيان الثّاني أيضاً سيكون حادثاً بالضّرورة فلا يكون واجب الوجود.[٢]

---

١. كلّ مفهوم إذا قيس إلى الوجود، فإمّا أن يجب له فهو الواجب، أو يمتنع وهو الممتنع، أو لا يجب له ولا يمتنع وهو الممكن. انظر: بداية الحكمة: ٥٥.

٢. العلاّمة البلاغي، الرّحلة المدرسيّة: ٢/ ٣٢٠.

عناوين مقترحة للبحث الدّرسي

١. نفي أُلوهيّة المسيح من الكتاب المقدّس، العهد الجديد.

٢. نفي أُلوهيّة المسيح من آيات القرآن الكريم.

٣. نفي أُلوهيّة المسيح عقلاً.

٤. نظرة في السّير التّأريخي لعقيدة أُلوهيّة المسيح.

مصادر الدّرس

١. حقيقة التّجسّد، سعيد ثروت.

٢. تأريخ الفكر المسيحي، القسّ حنّا الخَضري.

٣. حقيقة لاهوت يسوع المسيح، جوش ماكدويل، ترجمة سمير الشّوملي.

٤. نجار وأعظم، جوش ماكدويل، ترجمة سمير الشّوملي.

٥. الميزان في تفسير القرآن، العلاّمة الطّباطبائي.

٦. الرّحلة المدرسيّة، العلاّمة البلاغي.

٧. الرّد الجميل لأُلهيّة المسيح بصريح الإنجيل، أبو حامد الغزالي.

٨ لاهوت المسيح، القسّ لبيب ميخائيل.

٢

التّثليث

من أهمّ العقائد الأساسيّة في المسيحيّة الحالية، الّتي تعتبر السّر الأوّل في العقيدة المسيحيّة عقيدة التّثليث أو الثّالوث، فهي الأساس الّذي يُبنى عليه اللاهوت المسيحي، ولكن بالرّغم من أهمية هذه العقيدة إلاّ أنّ فهم حقيقتها بالعقل يعتبر أمراً مستحيلاً، إذ النّصارى يقولون لأنّ هذه العقيدة ترتبط بذات الله تبارك وتعالى، وتشير إلى حقيقتها، فهي بذلك ترتبط بحقائق إلهيّة فائقة الوصف، فهي بعيدة عن متناول عقل الإنسان، ولذا تبقى هذه العقيدة سرّاً غامضاً لا يفهم، باعتبارها فوق الإدراك البشري كما يدّعي المسيّحيون.

ولا يفوتني أن أذكّر من أنّ المسيحيّين ومن خلال كتاباتهم وتصريحاتهم، بل وشعارهم المشترك بينهم وبين اليهوديّة والإسلام، وهو شعار: لا إله إلاّ الله، لا يعتقدون بثلاثة آلهة كما يتصوّر البعض، بل هم يؤمنون بإله واحد له ثلاثة أقانيم وهي: الأب، والابن، والرّوح القدس. وإن كان لازم كلامهم هو الاعتقاد بثلاثة آلهة، ولكنهم يؤكّدون على أنّ ليس هناك سوى الله واحد فقط.

إنّ كلمة التّثليث أو الثّالوث، لم تَردْ في الكتاب المقدّس، ويظنّ أنّ أوّل من صاغها واستعملها هو ترتوليان في القرن الثّاني للميلاد، ثمّ ظهر سبيليوس في منتصف القرن الثّالث، وحاول أن يفسّر العقيدة بالقول:

إنّ التّثليث ليس أمراً حقيقياً في الله، لكنّه مجرّد إعلان خارجي، فهو حادث مؤقت وليس أبدي ـ ولكن سرعان ما سينقلب إلى أمر حقيقي وأبدي، ثمّ ظهر أريوس الّذي نادى بأنّ

الأب وحده هو الأزلي بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليقة، وأخيراً ظهر أثناسيوس الّذي وضع أساس العقيدة: الثّالوث الأقدس.

وبعد جدال ونقاش طويل بين علماء المسيحيّة وكبار قادة الكنيسة الّذين افترقوا بين مؤيّد لأريوس، الّذي ينفي عقيدة اُلوهيّة المسيح، وبالتّالي التّثليث، ومؤيد لأثناسيوس المدافع عن اُلوهيّة المسيح وعقيدة التّثليث، اضطر الإمبراطور قسطنطين إلى الدّعوة لعقد أوّل مجمع مسكوني في عام ٣٢٥م ميلادي في نيقية، وحضر هذا الاجتماع أكابر العلماء والأساقفة، وبعد شهر أو أكثر من النقّاش والجدال الّذي أدّى إلى تكفير الكثير من العلماء والأساقفة، انتصرت عقيدة أثناسيوس وكسبت أكثر الآراء، وتمّ تشكيل عقيدة التّثليث، والّتي نصّت على ما يلي:

نحن نعبد إلهاً واحداً في الثّالوث، والثّالوث في التّوحيد؛ لأنّ هناك شخصاً للأب وآخر للابن وآخر لروح القدّس، إنّهم ليسوا ثلاثة آلهة، ولكن إله واحد. فكلّ الأشخاص الثّلاثة هم أزليون معاً ومتساوون معاً، وهكذا فإنّ الإنسان النّاجي هو ذلك الّذي يعتقد بالثّالوث.

ولقد تكامل قانون الإيمان الاثناسيوسي بخصوص التّثليث على يد اغسطينوس في القرن الخامس، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا. ففي عام ٤٥١م الميلادي وفي مجمع خلقيدونيا المسكوني تمّ إقرار التّثليث على أنّه عقيدة رسميّة، ولا تقبل المناقشة، والكلام ضدّ الثّالوث يعتبر كفراً ومن يقترفه يستحقّ الموت أو التّشويه، وتمّ قتل وإبعاد وحرمان المئات من الأساقفة، بسبب موقفهم الرّافض لهذه العقيدة[١].

والقانون الّذي وضعته الكنيسة: قانون الإيمان يُشير بوضوح إلى هذه العقيدة. ونصّه هو:

أؤمن بإله واحد، أب ضابط الكلّ خالق السّماء والأرض وكلّ ما يرى وما لا يرى، وأؤمن بربّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كلّ الدّهور، إله من إله، نور من نور، إله حقّ من إله حقّ، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الّذي به كان كلّ شيء، الّذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السّماء وتجسّد بالرّوح القدّس ومن مريم العذراء، وصار إنساناً وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي، تألّم وقبر، وقام في اليوم الثّالث كما في الكتب، وصعد إلى السّماء وجلس عن يمين الأب، وسيأتي

١. للوقف على تأريخ هذه العقيدة، يراجع: تأريخ الكنيسة الشرقية، تأريخ الفكر المسيحى، تأريخ الكنيسة المفصّل.

بمجد ليدين الأحياء والأموات الّذي ليس لملكه انقضاء. وأؤمن بالرّوح القدّس الرّب المحيي المنبثق من الأب والابن، الّذي هو مع الأب والابن، يسجد له ويمجد، النّاطق بالأنبياء، وأؤمن بكنيسة واحدة مقدّسة جامعة ورسوليّة، واعترف بمعموديّة واحدة لمغفرة الخطايا، وأترجّى قيامة الموتى والحياة في الدّهر الآتي، آمين.

فالمسيحيّون يُلخّصون عقيدة التّثليث في النّقاط الخمسة التّالية:

١. بعض النّصوص والآيات في الكتاب المقدّس تقدّم لنا ثلاث شخصيات يعتبرون ـ من خلال تفسيرهم لها ـ شخص الله وحقيقته.

٢. هؤلاء الثّلاثة وحسب التّفسير المسيحي يعتبرون شخصيات متميّزة الواحدة عن الأُخرى بشكل كامل وتام فالأب غير الابن، والابن غير الرّوح القدّس.

٣. هذا التّثليث في طبيعة وجوهر الله ليس مؤقتاً أو ظاهراً، بل أبدي وحقيقي، وهذه المعرفة في ذات الله كشفها المسيح من خلال تعاليمه.

٤. هذا التّثليث لا يعني: ثلاثة آلهة، بل إنّ هذه الشّخصيات جوهر واحد يشكّلون ذات الإله الواحد.

٥. الشّخصيات الثّلاث: الأب والابن والروح القدس، متساوون في جوهر الأُلوهيّة بشكل كامل.

والمسيحيّون يؤكّدون على التّوحيد، وأنّ خالق هذا العالم، والّذي يدير شؤونه هو واحد لا أكثر، ولكن في تعريفهم لحقيقة هذا الواحد يقولون: إنّه يتألف من ثلاثة أقانيم أو أشخاص، وهم: الأب والابن والروح القدس، وهم متساوون في القدرة ومتمايزون أيضاً، فالنّقطة الجوهريّة الّتي تتوقف عليها عقيدة التّثليث هي كون هذه الشّخصيات الثّلاث متمايزة عن بعضها البعض بشكل تام، وفي نفس الوقت متساوية في الطبيعة الإلهيّة، فليس هناك أي فرق بين الأب والابن والروح القدس من جهة هذه الطبيعة، أي: هي كالطبيعة الإنسانيّة بالنّسبة إلى أفراد البشريّة كافة. وهذه المسألة هي الّتي تجعل من فهم هذه العقيدة عقلاً أمراً مستحيلاً، إذ التّمايز يؤدي إلى الكثرة لا محالة، والاشتراك والتساوي في الطبيعة الواحدة يؤدي إلى وجود ثلاث أفراد من تلك الطبيعة، ولكن مع هذا فالنّصارى يؤكّدون على أنّهم مع تمايزهم فهم يشكّلون ذات وحقيقة واحدة وهي الله تبارك وتعالى.

التّثليث في الكتاب المقدّس

من الأمور الواضحة الّتي يصرّح بها النّصارى، هي عدم وجود آيات من العهد القديم تشير إلى حقيقة التّثليث لا بشكل صريح ولا على شكل إشارات، ويعتقد البعض أن عدم وجود آيات واضحة تبيّن التّثليث في العهد القديم مسألة طبيعية على اعتبار أنّه كتاب اليهود قبل عيسى المسيح، وأمّا في العهد الجديد فقد يتصوّر البعض من أنّه لابدّ من وجود كم هائل من الآيات تثبت هذه العقيدة المهمّة والأساسيّة في العهد الجديد، ولكن بالحقيقة لا يمكن إثبات هذه العقيدة من آيات العهد الجديد أيضاً، لأنّه لا توجد هناك آيات واضحة وصريحة في بيان هذه العقيدة المسيحيّة.

بيد أنّهم يؤكّدون على أنّ عقيدة الثّالوث عقيدة كتابيّة، ليس بمعنى وجود نصوص صريحة في الكتاب المقدّس تُشير إليها، ولكن باعتبارها روح الكتاب المقدّس، ولهذا يحاولون جمع الإشارات الّتي يمكن فهمها من الآيات لإثبات هذه العقيدة. ويعتقدون أنّ المسيح والروح القدس هما البرهان الأساسي لحقيقة الثّالوث، ومعنى ذلك: أنّ كلّ دليل على أنّ المسيح هو الله الظّاهر في الجسد، وأنّ الروح القدس اقنوم إلهي، هو دليل على صحة عقيدة الثّالوث.

وهناك بعض الآيات الّتي يستدلّون بها على هذه العقيدة من العهد الجديد، ويمكن تقسيم هذه الآيات إلى قسمين:

١. الآيات الّتي تذكر الأقانيم الثّلاثة منفصلة: الأب، الابن، الروح القدس

هناك آيات كثيرة في العهد الجديد تشير إلى هذه الأقانيم الثّلاث، ولكن بشكل منفصل، فالأب يُذكر وحده وكذلك الابن وكذلك الروح القدس ومن تلك الآيات:

أ) الله الأب

إنّ المسيح بدأ يعظ ويبشر بوحدانية الله، لكنه بشّر بالإله الّذي يسعى باهتمام لهداية الإنسان لنيل كماله الّذي خلق من أجله، ووضح المسيح بأمثال عديدة هذه الرّحمة وهذا البر الأبوي، وبذلك يمكن القول أنّ الله هو حقاً آب يرعى مصالح خلقه من البشر، وهذا الاعتقاد بحد ذاته وبهذا الشّكل لا يعتبر شركاً أو مخالفاً لعقيدة التّوحيد، وإن كان

الإسلام نهى عن نسبة مثل هذه الصّفات إلى الله تعالى ـ مخافة أن يتصوّر منها المعنى الحقيقي لا المجازي ـ وهذا ما اعتقده اتباع وتلاميذ المسيح أيضاً، غير أنّ النّصارى يعتقدون أن المسيح انتقل فيما بعد تدريجياً في عظاته المتابعة من عبارة: أبوك إلى عبارة: أبي، وأنّ الله الّذي يبشر به هو أبوه الخاصّ، ويدعوه تحت اسم يا أبتا[1]، وبذلك تغيير معنى الأب فانتقل من المفهوم القديم العام، أي: الأب الّذي يعتني بالجميع وأب الأبرار والصّالحين إلى المفهوم الخاصّ، أي: الأب الّذي يخصّ يسوع فيقول:

أحمدك يا أبتِ، ربّ السّماوات والأرض... نعم، يا أبت، تلك مشيئتك...[2].

ويقول: «قد أولاني أبي كلّ شيء، فما من أحد يعرف الابن إلا الأب ولا من أحد يعرف الأب إلاّ الابن ومن شاء الابن أن يكشف له»[3]. بل أكثر من ذلك فهو يتحدّث عن وحدته مع الأب، حيث ينقل يوحنّا في إنجيله: «أنا والأب واحد»، وأيضاً: «فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا إنّ الأب فيّ وأنا فيه»[4]. وغيرها الكثير من الآيات الّتي تشير إلى الله بعنوان الأب، ممّا دفع بالمسيحيّين إلى الاعتقاد بأنّ الله الأب هو أب حقيقي للمسيحعليه السلام وأب بالمعنى المجازي لباقي أفراد البشر.

ب) الله الابن

المقصود من الابن هنا هو المسيحعليه السلام فهو ابن الله الوحيد، ويعتقد النّصارى أنّ هذا اللقب للمسيح ليس مجازاً، بل هو حقيقي، فالمسيح عندما يستخدم كلمة أبناء الله في حقّ المؤمنين[5] فإنّه يريد منها المعنى المجازي، ولكنّه عندما يستعملها لنفسه فإنّه يريد بها المعنى الحقيقي، فهو الابن الخاصّ والوحيد لله تعالى، ويستدلون على بعض الآيات ومنها: وقال له (لأعمى شفاه) اتؤمن بابن الله، أجاب ذلك وقال من هو يا سيد لاؤمن به، فقال له يسوع قد رأيته والّذي يتكلم معك هوهو[6].

---

١. إنجيل مرقس: ١٤/ ٣٦.
٢. إنجيل متّى: ١١/ ٢٥ ـ ٢٦.
٣. المصدر: ١١/ ٢٧.
٤. إنجيل يوحنّا: ١٠/ ٣٠؛ و ١٠/ ٣٨.
٥. إنجيل متّى ٥: ٩.
٦. إنجيل يوحنّا: ٩/ ٣٥.

وأيضاً قوله:

فالّذي قدّسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنّك تجدف لأنّي قلت إنّي ابن الله.[١]

ومن هذه النّصوص وغيرها فهم علماء وآباء الكنيسة في القرن الثّاني والثّالث على أقل تقدير، من أنّ المسيح هو الابن الحقيقي لله تعالى، ولكن يصرّحون بأنّ الله ليس له زوجة لتلد له ابناً، بل هو الابن الرّوحي الحقيقي المولود من الله، كما أشرنا إلى ذلك في قانون الإيمان النّيقاوي.

ج) الله، الروح القدس

هو الاقنوم الثّالث. وقد ذكر في العهد الجديد أيضاً بشكل منفصل مراراً، واختلف في حقيقة الرّوح القدّس، وهل هو منبثق وصادر من الأب وحده أم من الأب والابن، حيث يعتبر هذا الأمر جوهر الاختلاف بين الكاثوليك والارثوذُكس منذ القرن الخامس الميلادي وإلى يومنا هذا، ففي قصّة ولادة المسيح ذكر الرّوح القدّس وأيضاً عند التّعميد نزل عليه على شكل حمامة، ومن تلك الآيات قول عيسى المسيح عليه السلام حسب إنجيل يوحنّا: «أمّا المعزي الرّوح القدّس الّذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كلّ شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم»[٢]، وأيضاً قوله عليه السلام:

ومتى جاء المعزي الّذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحقّ الّذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي[٣]

وغيرها من الآيات الّتي ذكر فيها الروح القدس.

فهذه النّصوص كلّها تذكر الأقانيم الثّلاثة منفصلة، ومن هذه النّصوص وغيرها يعتقد النّصارى أن الأقانيم الثّلاثة قد علّمها المسيح عليه السلام بذكره إياها، ومع ذلك فإنّهم يعترفون بأنّ عقيدة التّثليث ليست مذكورة بالتّحديد في مثل هذه الآيات، بل هي تفترضها ضمناً من خلال ذكر الأقانيم الثّلاثة.

٢. الآيات الّتي تذكر الأقانيم الثّلاثة معاً

لقد رأينا أنّ هذه الأقانيم الثّلاثة قد ذكرت مرّات عديدة منفصلة. ولكن هناك نصوصاً

---

١. المصدر: ١٠/ ٣٧.

٢. إنجيل يوحنّا: ١٤/ ٢٦.

٣. المصدر: ١٥/ ٢٦.

أخرى ذكرت فيها هذه الأقانيم الثّلاثة معاً، وهي الّتي يعتمد عليها النّصارى في إثبات هذه العقيدة بشكل أساسي، ومنها:

إنّ يسوع أرسل تلاميذه بعد أن هيأهم مدة طويلة وقال لهم بعد قيامته: «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس...»[1].

ويعتقد المسيحيون أنّ المسيح كشف عن سرّ الثّالوث الأقدّس من خلال ذكره الأسماء الثّلاثة معاً، وهذه الصّيغة هي أهمّ التّعبيرات عن التّثليث في الكتاب المقدّس إطلاقاً، وهي الصّيغة الوحيدة الّتي أشارت إلى الأقانيم الثّلاثة بصراحة، ولكن كلّ من يراجع أقوال علماء الكتاب المقدّس يجد أنّ هناك نقداً تاريخياً مهماً على هذه الصّيغة، فهي تشير بكلّ وضوح ـ حسب قول علماء الكتاب المقدّس ـ إلى الصّيغة الكنسية الواضحة، والّتي اشتهرت في القرن الرّابع والخامس الميلادي. فمن المستحيل أن يكون متّى ـ وكان يهودياً ـ أن يكتب هكذا شيء، وخصوصاً عند مطالعة النّصوص الّتي [illegible] إنجيل مرقس وكذلك إنجيل لوقا بخصوص نفس الحادثة وأنّهم لم يذكروا الأ[illegible]، بل وهناك تصريح في سفر أعمال الرّسل عن بطرس وصي عيسى تشير إلى أنّ [illegible] رفع عيسى بمدّة كان يقدم باسم المسيح فقط، حيث يقول:

فقال لهم بطرس تبوا وليعتمد كلّ وا[illegible]م على اسم ليسوع المسيح لغفران الخطايا[2].

ومن تلك النّصوص أيضاً الّتي يستدلون بها على التّثليث، والّتي ذكرت الأقانيم مجتمعة كلام بولس، حيث يقول:

ولتكن نعمة ربّنا يسوع ومحبّة الله وشركة الروح القدس معكم جميعاً[3].

ولكن هذا النّص لا يشير إلى التّثليث كما هو واضح، ولكن مع ذلك فإنّهم يستدلون به على إثبات عقيدة التّثليث من الكتاب المقدّس.

وفي الحقيقة فإنّه لا توجد نصوص أخرى غير هذه يستند إليها النّصارى في إثبات عقيدة التّثليث في العهد الجديد، وكلها تقريباً غير صريحة إطلاقاً على هذه العقيدة سوى الآية الّتي ذكرت في إنجيل متى، والكثير من علماء الكتاب المقدّس يعتقدون ـ كما ذكرت ـ إنّ هذه

---

١. إنجيل متّى: ٢٨/ ١٩.
٢. سفر أعمال الرّسل: ٢/ ٣٨.
٣. رسالة بولس الثّانية إلي أهل كورنثوس: ١٣/ ١٤.

الآية قد أضيفت إلى إنجيل متى، وهي مخالفة أيضاً ما أوصى به المسيح تلاميذه حسب إنجيل مرقس ولوقا.

نعم، كانت هناك إشارة أخرى في إنجيل يوحنّا[1] ولكن الباحثين اعترفوا في القرن التّاسع عشر بأنّ كلمات: أب، وابن، وروح القدس، هي: استنتاجات، وأنّ نصّاً بهذا لم يعثر عليه في النّسخ القديمة، ولذلك فإنّ هذه قد حذفت من إنجيل يوحنّا، فلا توجد في نسخ العهد الجديد المعاصر.

ولذا يمكن القول إنّ عقيدة التّثليث لم تذكر بشكل صريح في الكتاب المقدّس بعهديه، ولذا نجد أنّ المسيحيّين يعترفون بهذه المسألة هم أيضاً، فإن لفظة التّثليث والثّالوث غير مذكورة، ويقدّمون تعليلاً لذلك فيقولون: فالعهد الجديد لا يحتوي على ألفاظ (ثالوثيّة) وليس هناك نصوص تأتي بعقيدة يعبّر عنها بألفاظ مجرّدة، بل إنّ الله كشف عن حياته الخاصّة بتدبيره الخلاصي، حيث يدنو البشر من الأب في الرّوح والابن.

في الواقع هذا عرض إجمالي لعقيدة الثّالوث الأقدس عند المسيحيّين الّذين يعتقدون أنّ الله سبحانه قد تجسّد في شخص المسيحعليه السلام، والمسيح هو الّذي عرّف البشريّة حقيقة وذات وطبيعة الإله المتعالي، ولكن يؤكّدون على أن هذه العقيدة هي من أهمّ أسرار المسيحيّة، ولا يمكن شرحها وتوضيحها عن طريق العقل، بل لابدّ من الإيمان بها تعبداً.

وهذه العقيدة: التّثليث تنافي عقيدة التّوحيد الّتي هي الوصية الأولى للعهد الجديد، فقد سُئل عيسىعليه السلام عن أهمّ وأوّل وصية، كما ينقل إنجيل مرقس، حيث جاء فيه:

> أيةُ وصيّةٍ هي أوّل الكلّ؟ فأجابه يسوع: إنّ أوّل كلّ الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرّب إلهنا ربّ واحد، وتحب الرّب إلهك من كلّ قلبك، ومن كلّ نفسك، ومن كلّ فكرك، ومن كلّ قدرتك، وهذه هي الوصية الأولى. والثّانية مثلها وهي: تحب قريبك كنفسك، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين. فقال له الكاتب: جيّداً يا معلم. قلت: لأنّ الله واحد، وليس آخر سواه...»[2].

وهذا يؤكّد أن توحيد الرّبوبيّة والأُلوهيّة أساس الشّريعة وأساس دعوة الأنبياء جميعهمعليهم السلام، وهذا ما صدّقه القرآن في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

١. إنجيل يوحنّا: ٧/٥.
٢. إنجيل مرقس: ١٢/ ٢٨.

وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُول إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٢].

وجاء في إنجيل يوحنّا:

> تكلّم يسوع بهذا، ورفع عينيه نحو السّماء، وقال: أيّها الأب قد أتت السّاعة... وهذه هي الحياة الأبديّة أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الّذي أرسلته[٣].

ففي هذه الآية بيّن عيسى عليه السلام أنّ النّجاة في الحياة الأخرويّة تكمن في الإيمان بأنّ الأب هو الإله الحقيقي وحده، والمسيح هو رسوله الّذي أرسله إلى بني إسرائيل.

وجاء في إنجيل متّي قصّة امتحان الشّيطان للمسيح:

> ثمّ أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عالٍ جدّاً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خرّرت وسجدت لي! حينئذ قال له يسوع: إذهب يا شيطان. لأنّه مكتوب: للرّب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد[٤].

فالمسيح عليه السلام يؤكّد على ما هو منصوص في التّوراة بأنّ الرّب الإله وحده فقط، الّذي ينبغي ويصحّ السّجود له وعبادته، وبالتّالي فلا تجوز العبادة ولا السّجود لأي موجود آخر غيره.

وجاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس:

> ... فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان نعلم أن ليس وثن في العالم، وأن ليس إله آخر إلاّ واحداً، لأنّه وإن وجد ما يسمّى آلهة سواء كان في السّماء أو على الأرض، كما يوجد آلهة كثيرة وأرباب كثيرون، لكن لنا إله واحد، الأب الّذي منه جميع الأشياء، ونحن له، وربّ واحد يسوع المسيح الّذي به جميع الأشياء ونحن به[٥].

فقوله «ليس إله آخر إلاّ واحداً» هو نفس شعار التّوحيد الّذي بعث به الأنبياء جميعهم: «لا إله إلاّ الله»، وقوله: «ولكن لنا إله واحد: الأب الّذي منه جميع الأشياء» في غاية الصّراحة والوضوح في إفراد الأب وحده بألوهيّة وأن كلّ ما سواه بما فيهم المسيح مخلوق له.

---

١. النّحل: ٣٦.
٢. الأنبياء: ٢٥.
٣. إنجيل يوحنّا: ١٧/ ١ ـ ٣.
٤. إنجيل متّي: ٤/ ٨ ـ ١٠، وجاء مثله في إنجيل لوقا.
٥. رسالة بولس إلي أهل كورنثوس: ٨/ ٤ ـ ٦.

ويزيد هذا الإفراد للأب بالأُلوهيّة تأكيداً، ذكر يسوع المسيح بعده بصفة الرّب فقط، ولاشك أنّه لا يريد بالرّب هنا الأُلوهيّه وإلاّ عاد مناقضاً لنفسه إذ يكون قد أثبت لنا إلهين اثنين بعد أن أكّد أنّه ليس لنا إلاّ إله واحد، لذلك لابدّ أن يكون مراده بالرّب معنى غير الله، وهذا المعنى هو السّيد المعلم، كما تدلّ عليه رسائله الأخرى، وكما هو مصرح به في إنجيل يوحنّا من أنّ لفظة الرّب عندما تطلق على المسيح يقصد بها المعلم.

ويقول بولس في رسالته إلى أفسس:

وهناك ربّ واحد وإيمان واحد ومعموديّة واحد، وإله واحد أب لجميع الخلق وفوقهم جميعاً يعمل بهم جميعاً وهو فيهم جميعاً[١].

فهنا أيضاً أكّد أنّ الأب هو وحده الإله للمخلوقات جميعاً، ولا إله سواه، وهو الأله وحده دون الأقانيم الثّلاثة.

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى طيموثاوس: «لأنّ الله واحد، والوسيط بين الله والنّاس واحد، وهو إنسان أي المسيح يسوع»[٢].

وهذه الجملة غاية في الصّراحة والوضوح في إفراد الله تعالى بالأُلوهيّة، إذ هي تؤكّد أوّلاً أن الله واحد، وأنّ المسيح هو الواسطة بين الله والنّاس، أي: رسول من الله إلى النّاس.

وفي خطبة خطبها بولس في أعيان مدينة أثينا، كما جاءت في سفر أعمال الرّسل قال:

يا أهل أثينة، أراكم شديدي التّديّن من كلّ وجه، فإنّي وأنا سائر أنظر إلى أنصابكم وجدت هيكلاً كُتب عليه: إلى الإله المجهول! فما تعبدونه أنتم وتجهلونه، فذاك ما أبشركم به. إنّ الله الّذي صنع العالم وما فيه، وهو ربّ السّماء والأرض، لا يسكن في هياكل صنعتها الأيدي، ولا تخدمه أيدي بشريّة، كما لو كان يحتاج إلى شيء. فهو الّذي يهب لجميع الخلق الحياة والنّفس، وكلّ شيء. فقد صنع جميع الأمم البشريّة من أصل واحد، ليسكنا على وجه الأرض كلّها، وجعل لسكناهم أزمنة موقوتة وأمكنة محدوده، ليبحثوا عن الله لعلهم يتحسسونه، ويهتدون إليه، مع أنّه غير بعيد عن كلّ منها. ففيه حياتنا وحركتنا وكياننا، كما قال شعراء منكم: فنحن أيضاً من سلالته. فيجب علينا، ونحن من سلالة الله، ألاّ نحسبَ اللاهوت يشبه الذّهب أو الفضة أو الحجر، إذ

---

١. رسالة بولس إلي أهل أفسس: ٤/ ٥ ـ ٦.
٢. رسالة بولس إلى طيموثاوس: ٢/ ٥.

مَثّله الإنسان بصناعته وخياله. فقد أغضى الله طرفه عن أيام الجهل، وهو يعلن الآن للنّاس أن يتوبوا جميعاً وفي كلّ مكان، لأنّه حدّد يوماً يدين فيه العالم دينونة عدل على يد رجل أقامه لذلك، وقد جعل للناس أجمعين برهاناً على الأمر، إذ أقامه من بين الأموات[1].

ومن خلال هذه النّصوص الكثيرة في آيات العهد الجديد نستنتج أنّ المسيح عليه السلام في تعاليمه كان يؤكّد وبشكل كبير على عقيدة التّوحيد وإلى وحدانية الله تعالى الّذي لا شريك له، وكذلك فعل تلاميذه وحواريه، بل وبولس أيضاً.

نقد القرآن الكريم لعقيدة التّثليث

لقد رفض القرآن بشكل قاطع عقيدة التّثليث، واعتبرها مخالفة لعقيدة التّوحيد، بل ووصف القائلين بها بالكفر، وقد أشار القرآن بصورة صريحة إلى عقيدة التّثليث في آيتين، الأولى جاءت في سورة النّساء، وهي قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّماوَاتِ وَما فِي الأَرْض وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾[2].

والثّانية في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الّذينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَة وَمَا مِنْ إِله إِلاَّ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾[3].

وفي الحقيقة إذا نظرنا إلى عبارتي: «ثلاث» و «ثالث ثلاثة» في سياقهما في الآيتين المذكورتين نلاحظ أنّهما قد يعنيان: «ثلاثة آلهة»، إذ بعد ذكر كلّ عبارة منهما يقع التّأكيد مباشرة على أنّ الله واحد، أي: أنّه لا يُوجد ثلاثة آلهة.

وهذا ما يؤكّده المفسرون من أنّ المقصود بـ ثلاثة في الآيتين المذكورتين «ثلاثة آلهة»، ويرون في ذلك جوهر عقيدة النّصارى، وأنّ كانوا لا يعلنونها صراحة، ويقدّمونها كما وضحنا آنفاً في شكل إله واحد له ثلاثة أقانيم.

إنّ القرآن إذ يدحض عقيدة التّثليث بشكل عام يهدف أوّلاً إلى اثبات التّوحيد الذّاتي لله سبحانه، وأيضاً دحض العلاقة الّتي يقيمها النّصارى بين عيسى والأُلوهيّة، من خلال القول بأنّ عيسى بن الله أو هو الله المتجسّد، وأيضاً إبطال الصّيغة اللاهوتية الّتي يعطونها للرّوح القدس أو لمريم بالنّسبة إلى بعض الفرق.

---

١. سفر أعمال الرّسل: ١٧/ ٢٢ ـ ٣١.

٢. النّساء: ١٧١.

٣. المائدة: ٧٣.

فالقرآن يشدّد على أنّ هذا القول موداه إلى الكفر، وقد رفض أيضاً أن يكون لله سبحانه ابن أو ولد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿بَدِيعُ السَّماوَاتِ وَالأَرْض أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾[2]، بل نعت القرآن القول بأنّ المسيح عليه السلام هو الله بالكفر والشّرك، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾[3].

وأيضاً بالنّسبة إلى كلمة: «روح القدس» فإنّه رغم تعدّد ذكرها في القرآن الكريم، ولكنّها نجدها مفرغة من البعد الإلهي الّذي أعطاه أياها النصارى، فالروح القدس هو المؤيد والمسدّد للأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[4] وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[5]، فهو مخلوق من مخلوقات الله تبارك وتعالى، ولا يمكن لمخلوق أن يكون إلهاً.

ومن الجدير بالذكر أنّ بعض الفرق المسيحيّة الحاليّة مثل: (شهود يهوه) يرفضون هذه العقيدة أيضاً لعدم ذكرها في الكتاب المقدّس بشكل صريح، بل أدلّة التّوحيد الكثيرة والصّريحة فيه تنفيها بشكل تام.

بالإضافة إلى كلّ هذا فإنّ العهد الجديد يرفض كون هذه الأقانيم الثّلاثة: (أب، الابن، الروح القدس) متساويّة، فإنّ المسيح يصرّح في إنجيل يوحنّا بأنّ الأب أعظم منه، حيث جاء في إنجيل يوحنّا:

> لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأنّي قلت أمضي إلى الأب، لأنّ أبي أعظم مني[6].

بل ينفي عن نفسه أي قدرة مستقلّة، حيث يقول:

> إنّا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً، كما أسمع أُدين ودينونتي عادلة، لأنّي لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الأب الّذي أرسلني[7].

---

١. الإخلاص: ١ ـ ٣.
٢. الأنعام: ١٠١.
٣. المائدة: ٧٢.
٤. البقرة: ٨٧.
٥. المائدة: ١١٠.
٦. إنجيل يوحنّا: ١٤/ ٢٨.
٧. المصدر: ٥/ ٣٠.

وأخيراً فإنّ عيسى عليه السلام كان كثير العبادة، كما تنقل ذلك آيات العهد الجديد؛ إذ إنّه صام أربعين يوماً، وكان يخلو للعبادة أحياناً الليل كلّه، فلا يعقل كونه (ابن الله) بمعنى أحد الأقانيم الثّلاثة إطلاقاً، إذ لا يعقل أن يكون له جوهر وطبيعة الأُلوهيّة، وهو يصوم ويصلّي ويتعبد لغيره.

بالإضافة إلى أن العقل يرفض هذه العقيدة أيضاً، فهي مخالفة للضّرورة العقليّة الّتي تأبى أن يكون الإله الخالق البسيط الذّات، مركب من أقانيم أو شخصيات أو أي نوع آخر من التّركيب، لأنّ التّركيب يستلزم الاحتياج، والله سبحانه غنيّ بذاته عن أيّ شيء آخر.

ولكن مع ذلك فإنّ الكنيسة المسيحيّة بمختلف مذاهبها تُؤمن بأنّ هذه العقيدة أساس المسيحيّة، والمنكر لها خارج عن الدّين المسيحي.

عناوين مقترحة للبحث الدّرسي

١. عقيدة التّثليث في تاريخ الأمم السّابقة للمسيحيّة.
٢. نظرة تاريخيّة لعقيدة التّثليث في المسيحيّة.
٣. أدلة النّصارى على التّثليث ونقدها.
٤. نفي التّثليث في القرآن الكريم.

مصادر البحث

١. قاموس الكتاب المقدّس.
٢. الإنجيل في القرآن، يوسف درّة الحداد.
٣. حقيقة التّجسّد، ثروت سعيد.
٤. التّوحيد والتّثليث، العلاّمة البلاغي.
٥. المسيح في مصادر العقائد المسيحيّة، أحمد عبدالوهاب.
٦. المسيحيّة، د. أحمد شلبي.
٧. التّفاسير الإسلاميّة للقرآن الكريم
أ) الميزان في تفسير القرآن، العلاّمة الطّباطبائي.
ب) التّفسير الكبير، الفخر الرازي... وغيرها.

٣

المَعاد في المسيحيّة

تمهيد

من العقائد الأساسيّة في الأديان الإبراهيميّة التّوحيديّة، عقيدة البعث والقيامة أو ما يسمّى بالمعاد، والمسيحيّة تُؤكّد على هذه العقيدة بشكل كبير، وقد أشار المسيح في الكثير في تعاليمه إلى هذه العقيدة المهمّة وفي أغلب الأوقات بشكل أمثال، فملكوت السّموات هو الجزاء الموعود ـ في دعوة السيّد المسيح ـ للطّيبين الصّالحين من النّاس وإنّه لا يدخله إلاّ من عمل له في هذه الحياة الدّنيا، وآثر صلاح روحه على مطالب جسده، وقد حاول المسيح أن يوضّح لهم هذه العقيدة من خلال عظاته وأمثاله الكثيرة الّتي ذكرتها الأناجيل الأربعة، في بيان كيفية الثّواب والعقاب في الحياة الأخرويّة.

المعاد في أقوال المسيح

يقول المسيح في بعض عِظاته:

> طوبى للمساكين بالرّوح؛ لأنّ لهم ملكوت السّموات... طوبى للحزانى فإنّهم يتعزّون... طوبى للودعاء، لأنّهم يرثون الأرض، طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، لأنّهم يشبعون... طوبى للرّحماء، لأنّهم يرحمون، طوبى للاتقياء القلب، لأنّهم يعاينون الله[١].

---

١. إنجيل متّى، الإصحاح الخامس: ٣ ـ ٩.

ويقول أيضاً:

لا تخافوا من الّذين يقتلون الجسد، ولكن النّفس لا يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا بالحريّ من الّذي يقدر أن يهلك النّفس والجسد كليهما في جهنم[١].

ويمكن الاستفادة من هذا «النّص» بالقول أنّ المعاد في المسيحيّة جسماني، حيث أنّ المسيح يرى أنّ الرّوح والجسد متلازمان في الثّواب والعقاب في الحياة الآخرة.

وقد أكثر السيّد المسيح من ضرب الأمثال لملكوت السّموات، كي يحرك بهذه الأمثال الحيّة نفوس اليهود إلى هذا الملكوت، ويدفعهم إلى الاعتقاد بوجود عالم آخر هو الحياة الحقيقية، لأنّ بعض الفرق اليهوديّة كانت ترفض عقيدة المعاد.

يقول عيسى المسيح في تصويره لملكوت السّموات:

> يشبه ملكوت السّموات، إنساناً زرع زرعاً جيداً في حقله، وفيما النّاس نيام جاء عدوه وزرع زواناً[٢] في وسط الحنطة ومضى، فلما طلع النّبات وضع ثمراً.. حينئذ ظهر الزّوان أيضاً... فجاء عبيد ربّ البيت، وقالا له: يا سيد... أليس زرعاً جيداً زرعت في حقلك؟ فمن أين له زوان؟ فقال لهم: إنسان عدو فعل هذا... فقال له العبيد: أتريد أن نذهب ونجمعه؟ فقال: لا... لئلا تقطعوا الحنطة مع الزّوان وأنتم تجمعونه، دعوهما ينموان كلاهما معاً، إلى الحصاد... وفي وقت الحصاد أقول للحصادين: أجمعوا أوّلا الزّوان وأحزموه حِزماً ليُحرق، وأمّا الحنطة فاجمعوها في مخزني[٣].

ويتّضح من هذا المثل أنّ المسيح يسعى إلى توضيح الحياة الأخرى، وهي ما وراء هذه الحياة، وما يلقى الأخيار والأشرار من جزاء في الدّار الآخرة، نتيجة أعمالهم واعتقاداتهم.

وقد سأل تلاميذ المسيح عن حقيقة هذا المثل، فقالوا:

> فسّر لنا مثل زوان الحقل، فأجاب وقال لهم: الزّارع الزّرع الجيد هو ابن الإنسان ـ والحقل هو العالم، والزّرع الجيد هم بنو الملكوت، والزّوان هم بنو الشّرير، والعدو الّذي زرعه، هو إبليس، والحصاد هو انقضاء العالم، والحاصدون هم الملائكة «فكما يجمع الزّوان ليحرق بالنّار، هكذا يكون انقضاء هذا العالم يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون في ملكوته جميع المعاثر، وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في أتون النّار هناك يكون البكاء وصرير الإنسان. حينئذ يضيء الأبرار كالشّمس في ملكوت أبيهم... من له أذنان للسّمع فليسمع[٤].

---

١. المصدر، الإصحاح العاشر، الآية: ٢٨.

٢. الزّوان: عشب سام ويصعب التفريق بينه وبين الحنطة في البداية.

٣. إنجيل متّى، الإصحاح الثّالث عشر: ٢٤ ـ ٣٠.

٤. إنجيل متّى، الإصحاح الثّالث عشر: ٣٦ ـ ٤٣.

وفي هذا المثل تصريح واضح لما سينتهي إليه حال الأبرار والأشرار في يوم القيامة.

وهناك أقوال أخرى أكّد فيها المسيح على صعوبة دخول الأغنياء إلى الجنّة، وضرب فيها مثلاً مذكور في القرآن الكريم أيضاً لكن في مناسبة أخرى، يقول عيسى:

> الحقّ أقول لكم: إنّه يعسر أن يدخل غنيّ إلى ملكوت السّموات... وأقول لكم أيضاً: إنّ مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله[1].

ومن يطالع آيات العهد الجديد يجد أنّ المسيح أولى قضية البعث اهتماماً كبيراً، وأراد أن يؤكّد في دعوته أن هناك بعثاً، وأن هناك حياة آخرة، وأنّ في هذه الحياة يلقى النّاس جزاء أعمالهم، فينعم الأخيار، ويتعذب الأشرار.

وكذلك ترسم آيات العهد الجديد صورة واضحة لعلامات السّاعة الّتي يصورها السيّد المسيح في مشهد متكامل، تتغير به أوضاع الأرض والسّماء، حيث يقول:

> وللوقت بعد ضيق تلك الأيام، تظلم الشّمس، والقمر لا يعطي ضوءه و النّجوم تسقط من السّماء وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب بقوة ومجد كثير...
>
> وأما ذلك اليوم وتلك السّاعة، فلا يعلم بها أحد، ولا ملائكة السّموات... إلاّ أبي وحده.
>
> وكما كانت أيّام نوح كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان، لأنّه كما كانوا في الأيّام الّتي قبل الطّوفان يأكلون، ويشربون ويتزوجون، ويزوّجون إلى اليوم الّذي دخل فيه نوح الفلك، ولم يعلموا حتّى جاء الطّوفان وأخذ الجميع... كذلك يكون أيضاً مجيء «ابن الإنسان»، اسهروا لأنكم لا تعلمون في أيّة ساعة يأتي ربّكم... واعلموا هذا أنّه لو عرف ربّ البيت في أي هزيع يأتي السّارق لسهر، ولم يدع بيته ينقب لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين، لأنّه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان[2].

ومن خلال إلقاء نظرة على الأمثال الّتي ضربها عيسى عليه السلام كما تنقل أناجيل العهد الجديد نجد أنّ القسم الأكبر منها يرتبط بالحياة الأخرويّة وضرورة الاهتمام بها، لأنّها هي الحياة الحقيقية، ومن خلال هذه الأمثلة أيضاً يمكن اثبات نوع المعاد الّذي يقول به عيسى عليه السلام، فهناك أمثلة تشير بشكل صريح إلى أنّ النّعيم والعذاب في الآخرة هو جسماني، أي أنّ الإنسان سيعيش في تلك النّشأة بروحه وجسمه كما هو الحال في هذه الدّنيا، ومن تلك

---

١. المصدر: ٢٣ ـ ٢٤.

٢. إنجيل متّى، الإصحاح الرّابع والعشرون: ٣٧ ـ ٤٤.

الأمثلة قصّة اليعازر الفقير الّذي ذكرها عيسى عليه السلام حيث يقول كما ينقل لوقا في إنجيله:

> كان إنسان غني وكان يلبس الأرجوان وهو يتنعم كلّ يوم مترفهاً، وكان مسكين اسمه لعازر الّذي طرح عند بابه مضروباً بالقروح، ويشتهي أن يشبع من الفتات السّاقط من مائدة الغني... فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ومات الغني أيضاً ودفن، فرفع عينيه في الجحيم، وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه، فنادى، وقال: يا أبي إبراهيم، أرحمني! وإرسل لعازر ليبلّ طرف أصبعه بماء ويبرد لساني؛ لأني معذّب في هذا اللهيب. فقال إبراهيم: يا ابني، اذكر إنّك استوفيت خيراتك في حياتك ـ وكذلك لعازر البلايا ـ والآن هو يتعزّى وأنت تتعذّب، وفوق هذا كلّه بيننا وبينكم هوّة عظيمة... حتّى أنّ الّذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون، ولا الّذين من هناك يجتازون إلينا[١].

ومن خلال هذه القصّة يتّضح أنّ الحياة الأخرويّة فيها نعيم جسماني وروحاني، وأنّ الجحيم فيها لهيب ونار، وأنّ هناك حاجز بين الجنة والنّار لا يسمح من الانتقال من أحدهما إلى الأخرى، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم أيضاً.

وأيضاً فإنّ المسيح كان لا يدع مناسبة إلاّ وأكّد فيها على أنّ الحياة الأبديّة هي الّتي تكون بعد الموت، وأنّها جسمانيّة حقيقية، ولكن آباء الكنيسة يتمسكون بالقول أنّ الأمثلة الّتي ضربها المسيح حول النّعيم والعذاب هي مجازية لا حقيقية، ويستدلون على أنّ المعاد في العالم الآخر هو من بعض أقوال المسيح عليه السلام أيضاً، ومنها كما جاء في إنجيل متّى حيث قال: «في ذلك اليوم جاء صدوقيون[٢] الّذين يقولون ليس قيامة فسألوه قائلين يا معلم: قال موسى إن مات أحد وليس له أولاد يتزوّج أخوه بامرأته ويُقيم نسلاً لأخيه، فكان عندنا سبعة أخوة، وتزوج الأوّل ومات، وإذا لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه، وكذلك الثّاني والثّالث إلى السّبعة... ففي القيامة لمن من السّبعة تكون زوجة؟

فأجاب يسوع وقال لهم: تضلّون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنّهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السّماء.

وأضاف:

> وأمّا من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل، أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، ليس الله إله أموات بل إله أحياء[٣].

---

١. إنجيل لوقا: ١٦/ ١٩ ـ ٣٠.

٢. أحد الطّوائف والفرق اليهوديّة الّتي لا تُؤمن بالآخرة.

٣. إنجيل متّى، الإصحاح الثّاني والعشرين: ٢٣ ـ ٣٢.

ومن خلال هذه الآيات يعتقد النّصارى أنّ المسيح يصرّح بأنّ الإنسان في القيامة يكون كالملائكة، والملائكة لا جسم لهم، بل هم موجودات مجردة عن الجسم والمادة، ولذلك فإنّ المعاد هو روحاني وليس جسماني؛ ولذلك لا يعتقدون بالمعاد الجسماني.

ولكن من خلال مطالعة آيات الأناجيل في العهد الجديد نجد أنّ أكثر الأمثلة الّتي قالها المسيح حول الآخرة تشير إلى العذاب الجسماني، مثلاً في كلامه حول الآخرة ذكر مثال عرس الابن، وقال في آخره: «إربطوا رجليه ويديه وخذوه وإطرحوه في الظّلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»[١].

ففي هذه التّعاليم نرى أنّهعليه السلام كان يؤكّد في أكثر الأحيان على تهويل أهوال العذاب، حتّى لقد نقلت جهنم إلى واقع محسوس، ممّا أدّى إلى أن يستعين رجال الدّين بالفنون وخاصّة الرّسوم والنّحت في تزيين أسقف الكنائس وجدرانها بصور رائعة مخيفة من مشاهدة أهوال العذاب في يوم القيامة، ومازالت بعض الكنائس إلى يومنا هذا مزينة بتلك الصّور المرعبة.

وقد أخذ الشّعر الدّيني المسيحي مكانه أيضاً في بيان أحوال وأهوال الجحيم، وكان دانتي أبرع الشّعراء الّذين جالوا في هذا الميدان، فكتب: (المُلهاة المقدّسة)،[٢] وهي رحلة في العالم الأخروي.

والقصيدة مؤلفة من ثلاثة أناشيد... في كلّ نشيد ثلاث وثلاثون أغنية تقابل سنى حياة المسيح على هذه الأرض، تضاف إليها أغنية أخرى في النّشيد الأوّل، فتكون عدّتها مائة كاملة.

وموضوع القصيدة، هو حال الأرواح بعد الموت، والإنسان من حيث تعرضه للثّواب والعقاب، وهو ما يستحقه بسبب أعماله الطّيبة أو الخبيثة. وهي تعرض في أناشيدها المئة، الحياة، الآخرة كلّها، وهي حسب تصوير دانتي: الجحيم و المطهر و الجنة.

والطّريق إلى الجنّة لا يمكن الوصول إليه إلاّ عن طريق النّار، واجتيازها ثمّ اجتياز المطهر إلى الجنّة.

فالمسيحيّة تعتقد أنّ لهذه الدّنيا نهاية كما كانت لها بداية، ويعتقدون أنّ عيسىعليه السلام

---

١. المصدر: ١٣.

٢. وينقل أنّه هو سمّاها: الملهاة، ولكن المعجبين بها أضافوا إليها صفة التّقديس.

سيأتي ليدين الأحياء والأموات في يوم يسمّى بالدّينونة: الحساب، كما ينقل متّى في إنجيله، حيث يقول:

> ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشّعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الرّاعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار، ثمّ يقول للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم... ثمّ يقول أيضاً للّذين عن اليسار إذهبوا عنّي يا ملاعين إلى النّار الأبديّة المعدّة لإبليس وملائكته... فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي الأبرار إلى حياة أبديّة[1].

وهذا ما أكّده بولس أيضاً في رسالته إلى أهل كورنثوس، حيث يقول:

> لأننا نعلم أنّه أن نقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السّموات بناءً من الله، بيت غير مصنوع بيد أبديّ... لأنّه لابدّ أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كلّ واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً[2].

ومن خلال ما استعرضناه يمكن القول أنّ العهد الجديد أقرب بكثير من العهد القديم إلى القرآن الكريم في إثبات حقيقة المعاد وكيفيته، وتصويره بصورة محسوسة للنعيم والملكوت الأبدي، وأيضاً للعذاب والجحيم في الآخرة، والأمثال الّتي ضربها المسيح عليه السلام للآخرة، كما نقلتها الأناجيل تشير بوضوح تام عقيدة المعاد واليوم الآخر.

---

١. إنجيل متّى، الإصحاح الخامس والعشرون: ٣١ ـ ٤٦.

٢. رسالة بولس الثّانية إلي أهل كورنثوس ٥: ١ ـ ١٠.

عناوين مقترحة للبحث الدّرسي

١. نظرة في حقيقة المَعاد في المسيحيّة.

٢. إثبات المعاد الجسماني في العهد الجديد.

٣. تعاليم المسيح حول اليوم الآخر.

٤. المعاد في المسيحيّة والإسلام نقاط الاشتراك.

٥. المعاد في المسيحيّة والإسلام نقاط الاختلاف.

مصادر الدّرس

١. التّفسير التّطبيقي للكتاب المقدّس.

٢. تفسير العهد الجديد.

٣. قاموس الكتاب المقدّس.

٤. دائرة المعارف الكتابيّة.

٥. موسوعة الأديان المسيحيّة.

٦. قصّة الحضارة، وليام ديوارنت.

٧. الإسلام في الكتب السّماويّة، محمّد الصّادقي.

۴

الفِداء

إنّ من العقائد الأساسيّة والمهمّة في الدّيانة المسيحيّة الحاليّة، عقيدة الفداء، بل يعتقدون أنّ المهمّة الأساسيّة لمجيء المسيحعليه السلام هي لفداء البشريّة وخلاصتها من خلال تقديم نفسه وروحه كقربان لخلاص البشريّة. ومن أجل فهم هذه العقيدة يجب الرّجوع إلى الخطيئة الأولى الّتي اقترفها أبونا آدمعليه السلام.

فالمسيحيّون يعتقدون أنّ آدم وحواءعليهما السلام وبسبب خطيئتهما منذ الزّمن الأوّل في الجنّة، فإنّ الإنسان قطع علاقته مع ربّه وخالقه، وتخلى عن الله سبحانه، وآدمعليه السلام بهذه الخطيئة جعل ذريته كلّها في حال ابتعاد وانفصال عن الله، وكان نتيجة هذا الانفصال موت الإنسان الرّوحي، وهكذا دخل الموت إلى جميع النّاس كعقاب للخطيئة.

ويؤكّدون أنّ هذا الموت هو روحي وأبدي، وانتقلت هذه الخطيئة إلى ذريّته جيلاً بعد جيل، فيُولد الإنسان وهو حامل لها، ومتلوث بها، وبسبب هذه الخطيئة خسر الإنسان الطّهارة وبانت عورته وشهواته وأهواءه الآثمة.

ويعتقدون أنّ آدمعليه السلام بعمله هذا هدم صورة الله فيه، وحطّم التّضامن والمحبّة بينه وبين الله، ولكن بما أن آدمعليه السلام قد تاب من خطيئته وقبل الله توبته، لم يتخل الله عنه نهائياً، وذلك بسبب توبته الصّادقة، بل وعده بالخلاص وبانتصاره على عدوه اللّدود، الشّيطان، ووعد بإرسال المخلص والمفدي الّذي يفدي البشريّة عن خطاياها، ويحمل هو تلك الخطايا عنهم، فتفتح أبواب الملكوت بمجيئه، وتتم المصالحة بين الله والإنسان من خلاله.

وعندما شاءت الإرادة الإلهيّة بعد طول انتظار، أرسل الله سبحانه ابنه الحبيب المسيحعليه السلام ليفدي البشريّة كلّها عن خطاياها، ويفتح عهداً جديداً بين الله والإنسان، وبالآلام والصّلب الّذي يتحمله هذا الابن الوحيد ترفع الخطيئة عن كاهل الإنسان ويتطهر منها، ليعيش حياة جديدة وسعيدة مع هذا الحدث الإلهي الموعود، فهذا باختصار جوهر وحقيقة عقيدة الفداء في المسيحيّة.

ويمكن اختصار عقيدة الفداء وفق النّظرة المسيحيّة بالنّقاط التّالية:

١. إنّ آدمعليه السلام الإنسان الأوّل اقترف الخطيئة والمعصية، وهذه الخطيئة بمعنى الانفصال عن الله تعالى.

٢. هذه الخطيئة قد سرت إلى جميع أبناء بني آدم، وهو ما يسمّى بالخطيئة الجماعيّة أو الأصليّة في المسيحيّة.

٣. هذه الخطيئة أدّت إلى موت الإنسان الرّوحي، وهذا ما يستوجب أن ينال العقوبة الإلهية، وهي بمعنى الابتعاد عن الله.

٤. الله تبارك وتعالى يحب مخلوقاته ولا سيّما الإنسان؛ ولذا حاول أن يجد خطة لإنقاذ هذا الإنسان وإرجاعه إلى حياة الطّهارة والمحبّة.

٥. لابدّ من وجود قربان يفتدي به الإنسان تلك الخطيئة، وينبغي أن يكون ذلك القربان منزّهاً عن تلك الخطيئة.

٦. أرسال الله سبحانه ابنه الوحيد المسيحعليه السلام ليفدي البشريّة كلّها عن خطاياها، ويفتح عهداً جديداً بين الله والإنسان عن طريق فداء نفسه بالصّلب والموت.

٧. كلّ من يؤمن بأنّ المسيح هو ابن الله، وأنّه صُلب من أجل الفداء، فقد تطهّر من تلك الخطيئة الأصليّة، وتتم المصالحة بينه وبين الله تعالى.

ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ هذه العقيدة: الخطيئة الأصليّة والفداء، لا نجدها في الأناجيل الأربعة في العهد الجديد، فهذه الأناجيل لم تتطرق لا من قريب ولا من بعيد إلى موضوع آدم وخطيئته الأوّلى، نعم ذكرت قصّة آدم وحواء وكيفية خروجهم من الجنّة في أسفار العهد القديم، ولكن دون الإشارة إلى عقيدة الفداء إطلاقاً، وأنّما ظهرت هذه العقيدة من رسائل بولس ولا سيّما رسالته إلى الرّومانيّين، فهو يقول:

> من أجل ذلك كأنّما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع النّاس إذ أخطأ الجميع، فإنّه حتّى النّاموس كانت الخطيئة في العالم[1].

فبولس هو أوّل من تكلم عن الخطيئة الأصليّة، وأنّ البشريّة كلّها قد تلوثت بسبب هذه الخطيئة، ويعود بولس مجدداً ليبيّن أنّه كما بإنسان واحد دخلت الخطيئة والموت إلى العالم، كذلك الحياة والخلاص يكون بإنسان واحد وهو المسيح عليه السلام، ويضيف في بيان هذه العقيدة في رسالته إلى أهل روما:

> لأنّه كان بخطيئة الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيراً الّذين ينالون فيض النّعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح عليه السلام. فإذا كما بخطيئة واحدة صار الحكم إلى جميع النّاس للدّينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع النّاس لتبرير الحياة[2].

فهنا وجه شبه بين آدم عليه السلام والمسيح عليه السلام وهو أنّه، كما كان آدم سبب الخطيئة والموت لكلّ الّذين يتعلقون به بالولادة الطبيعيّة كذلك المسيح عليه السلام هو علّة التّبرير والحياة لجميع الّذين يتعلقون به بالولادة الرّوحيّة.

فيمكننا القول بأنّ واضع حجر الأساس لهذه العقيدة هو بولس، وليس المسيح عليه السلام، وهنا أيضاً نشير إلى بعض التّساؤلات والنّقاط حول هذه العقيدة، ومنها:

أ) إن مسألة مهمّة وأساسيّة في العقيدة المسيحيّة ـ كمسألة الخطيئة الأصليّة والفداء ـ هل يمكن القول فيها أنّ المسيح عليه السلام تجاهلها أو نساها، فلم يتحدّث عنها ـ على الأقل حسب ما تنقل الأناجيل الأربعة الملهمة ـ وسكت، وجاء بعد ذلك رجل متعصّب لليهوديّة، بولس ومضطهد وقاتل لأتباع المسيح عليه السلام قبل هدايته، فيعلن عن هذه العقيدة فقبلتها الكنيسة واعتبرتها ركناً من أركانها، فهل يمكن أن يتجاهل المسيح عقيدة أساسيّة مع أنّ هدفه ـ والقول للمسيحيين ـ خلاص البشريّة وفدائها، ولكنّه لا يوضح المهمّة الأساسيّة الّتي أرسل من أجلها، ولا يفهم النّاس أنّهم كلّهم ملوثون بخطيئة آدم عليه السلام الأولى، وهو الّذي ينقذهم من هذه الخطيئة، بل يوكل الأمر إلى بولس ليبينها ويعلنها مع أنّه ليس من التّلاميذ الّذين أختارهم المسيح عليه السلام في حياته، بل لم يسمع كلمة واحدة منه إطلاقاً، ولم يصحبه أبداً.

---

١. رسالة بولس إلي أهل رومة: ٥/ ١٢.

٢. المصدر: ١٧ ـ ١٩.

فكان من الأولى للمسيح عليه السلام أن يبيّن هذه العقيدة بشكل واضح لتلاميذه على أقل تقدير، ليتسنى لهم توضيحها للنّاس، وخصوصاً أنّه أرسلهم إلى كلّ الأمم ليبشروا بالإنجيل وتعاليمهكما تذكر الأناجيل.

ب) نحن نجد أنّ الأناجيل الأربعة ولا سيّما إنجيلي متّي ويوحنّا ـ الّذين يزعم المسيحيون أنّهما منسوبان لمتى ويوحنّا الرّسولين ـ لا تتحدّث ولا تشير إلى خطيئة آدم عليه السلام أبداً، بل حتّى مرقس ـ تلميذ الوصي والرّسول بطرس ـ هو الآخر لم يذكرها في إنجيله مع أنّه حسب ما ينقل كان من المقربين لبطرس، بل أنّ إنجيله كما يذكر هو زبدة تعاليم بطرس، وإضافة إلى ذلك فقد كان مرافقاً لبولس نفسه فكيف لم يسمع بهذه المسألة المهمّة ولم يدوّنها، وكذلك الحال بالنّسبة إلى لوقا فإنّه كان رفيق بولس في بعض أسفاره، ولكنّه لم يذكر شيئاً عن الخطيئة الأصليّة والفداء، والمشهور أنّ هذه الأناجيل هي روايات لكلّ تعاليم المسيح الّتي جاء بها إلى النّاس.

ج) إضافة إلى كلّ هذا يبقى هناك سؤال مهم يطرح نفسه حول هذه العقيدة، وهو: ما ذنب النّاس منذ القرون الأولى للبشريّة أي منذ زمن آدم عليه السلام حتّى زمن المسيح عليه السلام، فهل كلّهم خطاة ولم يغفر لهم، مع أن فيهم كما يذكر الكتاب المقدّس بعهديه، أنبياء وأولياء وأتقياء وشهداء استشهدوا في سبيل الله كما يذكر عيسى عليه السلام نفسه في العهد الجديد عن مقتل زكريا، فماذا كان مصيرهم؟

وللحرج الّذي يقع فيه المسيحيون من هذا السّؤال يجيبون عنه جواباً مخالف للفطرة والعقل البشري، وفيه إهانة كبيرة إلى كلّ الأنبياء العظام، فيقولون أمّا مصير الّذين ماتوا قبل هذه السّاعة فقد هلك الخطاة، وأمّا أصحاب القلوب النّقية ـ يقول المسيحيون ـ فقد ماتوا على رجاء الخلاص، وهذا ما يفسر بوضوح نزول المسيح عليه السلام إلى الجحيم أو المطهر[1] على بعض التّعابير ليحرر هذه النّفوس الّتي كانت تنتظر مجيئه[2].

فعلى هذا يجب أن نقول: إن نوحا نبي الله وإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وداود وإسحاق ويعقوب والأنبياء العظام كلّهم(صلوات الله وسلامه عليهم) يرقدون في الهاوية منتظرين نزول المسيح عليه السلام إليهم لإنقاذهم.

---

١. المطهّر: هو مكان برزخي بين الجنّة والنّار يدخلونه العُصاة ليتطهّروا، حسب الاعتقاد المسيحي.
٢. للوقوف على هذه الآراء يراجع كتاب: تأريخ الفكر المسيحي، حنّا الخُضري: ٢.

فهذا مخالف للعهد الجديد نفسه، إذ يقول متى في إنجيله وأقول لكم أن كثيرين سيأتون من المشارق المغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السّموات[١].

وأيضاً من تصريح المسيح عليه السلام من أنّ الأطفال والأولاد لهم ملكوت السّموات، فإذا كان المسيح عليه السلام يعظم الأنبياء في أماكن كثيرة من العهد الجديد ويؤكّد أنّهم في ملكوت السّموات، فهل يُعقل أن يختار الله سبحانه في هذه الدّنيا أنبياء وأولياء قضوا جل أعمارهم في طاعته وعبادته وقدموا أرواحهم وأنفسهم في سبيل تبليغ تعاليمه وهداية النّاس إليه، فمنهم الخليل والكليم وغيرهما الكثير، وبعد موتهم يلقيهم في جهنم جزاء لخطيئة آدم عليه السلام وإلى أن يرسل المسيح عليه السلام ويخلصهم.

ويمكن القول أنّ هذه العقيدة مخالفة للكتاب المقدّس أيضاً، إذ نجد عكس هذه المسألة تماماً في كتاب العهد القديم، مثلا يقول حزقيل النّبيّ «من أخطأ فهو الّذي يموت والابن لا يحمل خطيئة أبيه، وكذلك الأب لا يحمل خطيئة ابنه، فالبار سيحاسب على بره، والشّرير سيحاسب على شروره»[٢].

وهناك إشكال آخر مهم حول هذه العقيدة، وهو: إنّ المسيح عليه السلام لم يُصلب ولم يُقتل، وهذا أكّد عليه القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[٣]، وهذا ما أشرنا إليه عند الحديث عن حياة المسيح عليه السلام في القرآن الكريم في الدّروس السّابقة.

ويمكن إثبات أنّ عيسى عليه السلام لم يُصلب ولم يُقتل من خلال قرائن مذكورة في أناجيل العهد الجديد أيضاً، وهنا أشير إلى قصّة صلبه وموته كما ذكرتها الأناجيل الأربعة، ليتّضح لنا من خلالها أنّه على أقل تقدير يمكن الشّك في صحّة هذه الحادثة المذكورة في الأناجيل، فإنّ الأناجيل الأربعة نقلت لنا أحداثاً تاريخيّة لعبت دوراً مهمّاً في صياغة الدّيانة المسيحيّة بشكلها الحالي، ومن أهمّ تلك الأحداث هي حادثة صلب

---

١. إنجيل متّى: ٨/ ١١.
٢. سفر حقيال: ١٨/ ٢٠.
٣. النّساء: ١٥٧ ـ ١٥٨.

المسيحعليه السلام وموته وقيامته، وتبدأ قصّة صلبه من خلال إلقاء القبض عليه، ثمّ محاكمته فصلبه ودفنه وقيامته، ولأهمية هذه الحادثة سأذكرها بنوع من التّفصيل.

أوّلاً: إلقاء القبض على المسيحعليه السلام

لقد ذكرت هذه الحادثة في الأناجيل باختلاف كبير ولا سيّما بين الأناجيل التّوافقية: متّى، مرقس، لوقا، وإنجيل يوحنّا، وهي كما يلي:

١. لقد ذكر متى في إنجيله قصّة إلقاء القبض على المسيحعليه السلام وبدأها بذكر خيانة يهوذا الاسخريوطي، الّذي اتفق مع رؤساء الكهنة على ثلاثين من الفضة مقابل تسليم المسيحعليه السلام إليهم، ويذكر بعد ذلك جزئيات ليلة القبض عليه وصلاة المسيحعليه السلام ثلاث مرّات وطلبه من ربّه أن تعبر عنه هذه الكأس، ومن ثمّ يذكر حادثة إلقاء القبض عليهعليه السلام فيقول: ـ

> وبينما يسوع يتكلم وصل يهوذا، أحد التّلاميذ الاثنى عشر، على رأس عصابة كبيرة تحمل السّيوف والعِصيّ، أرسلها رؤساء الكهنة وشيوخ الشّعب. وكان الّذي أسلمهم أعطاهم علامة قال: هو الّذي أُقبّلُهُ، فأمسكوه. ودنا يهوذا في الحال إلى يسوع وقال له: السّلام عليك يا معلّم وقبّله، فقال له يسوع: إفعل ما جئت له يا صاحبي. فتقدّموا وألقوا عليه الأيدي وأمسكوه. ومدّ واحدٌ من رفاق يسوع يده إلى سيفه واستلّه وضرب خادم رئيس الكهنة، فقطع أُذُنه. فقال له يسوع: رُدّ سيفك إلى مكانه، فمن يأخذ بالسّيف، بالسّيف يهلك. أتظنّ أني لا أقدر أن أطلب من أبي فيرسل لي في الحال أكثر من اثنى عشر جيشاً[١].

من الملائكة؟ ولكن كيف تتم الكُتب المقدّسة الّتي تقول أنّ هذا ما يجب أن يحدث؟

وقال يسوع للجموع:

> أعلى لص خرجتم بسيوف وعِصيّ لتأخذوني؟ كنت كلّ يوم إجلس معكم في الهيكل أُعَلّم فما أخذتموني، ولكن حدث هذا كُلّه لتتم كُتب الأنبياء. فتركه التّلاميذ كُلُّهم وهربوا[٢].

٢. مرقس:

> ومرقس في إنجيله يذكر الحادثة بنفس ما ذكره متي، ولكنّه يضيف في نهايتها هذه الجملة: وتبعه شاب لا يلبس غير عباءة على عُريه، فأمسكوه، فترك عباءته وهرب عُرياناً[٣].

---

١. جيشاً، أو فيلقاً رومانياً وهو يتألف من ستّة آلاف جندي.

٢. إنجيل متّى: ٢٦/ ٤٧ ـ ٥٦.

٣. إنجيل مرقس: ١٤/ ٤٣ ـ ٥٢.

٣. لوقا:

ولوقا أيضاً يذكر الحادثة على هذا المنوال، ولكن مع بعض التّغييرات الجزئيّة، وأضاف في آخر القصّة قوله: فقبضوا عليه وأخذوه ودخلوا به إلى دار رئيس الكهنة، وكان بطرس يتبعه عن بعد[١].

٤. يوحنّا:

وأمّا يوحنّا الإنجيلي فإنّه يذكر الحادثة بشكل يختلف عمّا نقله الإنجيليون الثّلاثة،

فيقول:

قال يسوع هذا الكلام وخرج مع تلاميذه، فعبر وادي قدرون[٢]، وكان هناك بستان، فدخله هو وتلاميذه.

وكان يهوذا الّذي أسلمه يعرف هذا المكان؛ لأنّ يسوع كان يجتمع فيه كثيراً مع تلاميذه. فجاء يهوذا إلى هناك بجنود وحرس أرسلهم رؤساء الكهنة والفريسيّون، وكانوا يحملون المصابيح والمشاعل والسّلاح.

فتقدّم يسوع وهو يعرف ما سيحدث له، وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوا: يسوع النّاصري. فقال لهم: أنا هو. وكان يهوذا الّذي أسلمه واقفاً معهم، فلمّا قال لهم يسوع: انا هو، تراجعوا ووقعوا إلى الأرض. فسألهم يسوع ثانيّةً: من تطلبون؟ أجابوا: يسوع النّاصري. فقال لهم يسوع: قلت لكم: أنا هو، فاذا كنتم تطلبوني، فدعوا هؤلاء يذهبون. فتمّ ما قال يسوع: ما خسرت احداً من الّذين وهبتهم لي. وكان سمعان بطرس يحمل سيفاً، فاستله وضرب خادم رئيس الكهنة فقطع أُذنه اليمنى، وكان اسم الخادم مَلخس. فقال يسوع لبطرس: رُدّ سيفك إلى غمده، إلا أشرب كأس الآلام الّتي جعلها لي الأب. فقبض الجنود وقائدهم وحرس الهيكل على يسوع وقيّدوه[٣].

هناك نقطة مهمّة وأساسيّة أود الإشارة إليها، وهي أنّ المسيح عليه السلام صرّح بشكل علني أنّ تلاميذه كلّهم سوف يشكّون فيه، كما ينقل ذلك مرقس حيث قال:

وقال لهم يسوع أن كلّكم تشكّون فيّ في هذه الليلة[٤].

وكلمة تشكّون، تعني: إنّكم سوف ترتدون عن يقينكم. ومن الواضح أنّ الشّك يختلف عن الإنكار، فالإنكار قد يصاحبه اليقين أحياناً، ولكنّه ينكر الحقّ تقيةً أو ما شابه، ولكن الشّك يعني الرّجوع عن التّصديق واليقين بالشّيء. ونتساءل فنقول في أي أمر سوف يشك التّلاميذ؟

---

١. إنجيل لوقا: ٢٢/ ٤٧ ـ ٥٤.
٢. وهو وادٍ يفصل أورشليم عن جبل الزّيتون ـ هضبة الزّيتون ـ شرقي أورشليم.
٣. إنجيل يوحنّا: ١٨/ ١ ـ ١٢.
٤. إنجيل مرقس: ١٤/ ٢٧.

هل سيشكون في المسيحعليه السلام وتعاليمه وهو رسول الله الّذي جاءهم بالصّدق؟ أم أنّهم سيشكون في بعض التّنبؤات الّتي حدّثهم بها المسيحعليه السلام، وهي مسألة إلقاء القبض عليه وصلبه وموته وقيامته، وهذه المسألة أيضاً يفترض فيها احتمالان:

أ) أن يكون المسيحعليه السلام قد تنبّأ لتلاميذه وأخبرهم بأنّ أعداءه سيحاولون إلقاء القبض عليه لقتله، ولكن الله سبحانه سوف يفشل كيد الأعداء وينقذه من أيديهم كما فعل ذلك سابقاً، وحسب ما نقلت الأناجيل.

ب) أن يكون المسيحعليه السلام قد ذكر لتلاميذه أن أعداءه سيلقون عليه القبض في آخر المطاف ويتمكنون من صلبه وقتله.

فإنّ الفرض الثّاني لا يؤدي إلى شك التّلاميذ فيه أبداً، لأنّه قد أخبرهم سابقاً حسب الغرض أنّه سوف يلقى القبض عليه ويصلب ويموت.

وإن كان الفرض الأوّل هو الصّحيح، فهنا سوف يشك التّلاميذ فيه، لأنّه قد أخبرهم بأنّه سوف ينجو من أيدي أعدائه، وهو ما لم يحصل، فسوف يقعون في الشّك، ولكن بعد ذلك تبيّن لهم أن المسيحعليه السلام لم يقبض عليه أبداً، بل نجى من أعدائه كما حصل ذلك سابقاً.

وأمّا الاختلاف في جزئيات الحادثة، كما نقلناه عن الأناجيل، فإنّ متى ومرقس يذكر أن تقبيل يهوذا للمسيحعليه السلام، في حين أنّ لوقا يروي أنّ المسيحعليه السلام وقبل أن يقبّله يهوذا عرّف نفسه، وأمّا يوحنّا فإنّه لا يذكر القُبلة أبداً، بل المسيحعليه السلام يعلن عن نفسه علناً وبطريقة يظهر منها التّحدي لأعدائه.

والمثير في القصّة كما ينقلها يوحنّا أنّ هناك أمراً غير عادي قد حدث عندما أراد الجنود إلقاء القبض عليهعليه السلام، ممّا أذهلهم وأسقطهم على الأرض لشدّة خوفهم، وهذا يؤكّد أنّهم لم يجرؤا على الامساك به أبداً.

وأخيراً فإنّ قضية هروب التّلاميذ كُلّهم هي الأخرى موضع للتأمل والحيرة، وهل كان هذا الهروب عند إلقاء القبض على المسيحعليه السلام أو قبل إلقاء القبض عليه، فالأناجيل لا تذكر ذلك بوضوح.

وكذلك أيضاً مسألة خيانة يهوذا تقع مورد السّؤال والشّك؛ وذلك لأنّ الكهنة والفريسيّون كانوا يعرفون المسيحعليه السلام حقّ المعرفة، وقد جرت بينه وبينهم لقاءات كثيرة ومتعدّدة، وهذا يعني أنّهم كانوا باستطاعتهم إلقاء القبض على المسيحعليه السلام من دون حاجة إلى يهوذا وخيانته.

فممّا لاشكّ فيه أبداً هو أنّ أحداثاً أخرى وقعت في تلك الليلة لم تُنقل في هذه الأناجيل الأربعة، ومن الممكن أنّها كانت مذكورة في بعض الأناجيل الأخرى، إلاّ أنّ الكنيسة رفضت كلّ تلك الكتب الأناجيل واعتبرتها كتب غير قانونيّة ومنحولة.

ثانياً: محاكمة المسيح عليه السلام

والأناجيل تذكر هنا محاكمتين للمسيح عليه السلام ـ بل في إنجيل لوقا ثلاثة محاكمات والثّالثة كانت أمام هيرودس ـ الأولى أمام رئيس الكهنة، والثّانية أمام الوالي بيلاطس.

ونبدأ أوّلاً بالمحاكمة الأولى كما تنقلها الأناجيل الأربعة.

١. متّى

ينقل متى في إنجيله:

فالّذين أمسكوا يسوع أخذوه إلى قيافا رئيس الكهنة، وكان مُعلّمو الشّريعة والشّيوخ مجتمعين عنده، وتبعه بطرس عن بعد إلى دار رئيس الكهنة، فدخل وقعد مع الحرس ليرى النّهاية وكان رؤساء الكهنة جميع أعضاء المجلس يطلبون شهادة زور على يسوع ليقتلوه، فما وجدوا... ثمّ قام شاهدان وقالا: هذا الرّجل قال: أقدر أن أهدم هيكل الله وابنيه في ثلاثة أيام. فقال رئيس الكهنة وقال ليسوع أمَا تُجيب بشيء؟... فَظلّ يسوع ساكتاً. فقال له رئيس الكهنة: استحلفك بالله الحيّ أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ فأجاب يسوع: أنت قلت، وأنا أقول لكم: سترون بعد اليوم ابن الإنسان جالساً عن يمين الله القدير وآتيا على سحاب السّماء. فشقّ رئيس الكهنة ثيابه، وقال: تجديف، انحتاج بعد إلى شهود؟ فبصقوا في وجه يسوع ولطموه، ومنهم من لكمه وقالوا: تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك؟

وكان بطرس قاعداً في ساحة الدّار، فدنت إليه جارية، وقالت: أنت أيضاً كنت مع يسوع الجليلي فأنكر أمام جميع الحاضرين، وخرج إلى مدخل السّاحة فرأته جارية أخرى، فقالت لمن كانوا هناك هذا الرّجل كان مع يسوع النّاصري، فأنكر بطرس ثانية وحلف. وبعد قليل جاء الحاضرون، وقالوا لبطرس: لاشك أنّك أنت أيضاً واحداً منهم فلهجتك تدلّ عليك. فأخذ يلعن ويحلف أنا لا أعرف هذا الرّجل. فصاح الدّيك في الحال فتذكر بطرس قول يسوع: قبل أن يصيح الدّيك تُنكرني ثلاث مرّات[1].

---

١. إنجيل متّى: ٢٦/ ٥٧ ـ ٧٥.

٢. مرقس

وينقل مرقس في إنجيله بخصوص هذه الحادثة:

وأخذوا يسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع رؤساء الكهنة والشّيوخ ومعلمو الشّريعة كلّهم. وتبعه بطرس عن بعد إلى دار رئيس الكهنة، فدخل وقعد مع الحرس يتدفأ عند النّار... وبينما بطرس في السّاحة السفلى من الدّار، مرّت جارية من جواري رئيس الكهنة، فلما رأت بطرس يتدفأ، نظرت إليه، وقالت له: أنت أيضاً كنت مع يسوع النّاصري. فأنكر وخرج إلى الدّهليز فصاح الدّيك، فرأت الجاريّة، وأخذت تقول للحاضرين: هذا منهم. فأنكر أيضاً. وبعد قليل قال الحاضرون لبطرس: لاشكّ أنّك واحد منهم لأنّك من الجليل. فأخذ يلعن ويحلف: أنا لا أعرف هذا الرّجل. وفي الحال صاح الدّيك مرّة ثانية، فتذكر بطرس قول يسوع: قبل أن يصيح الدّيك مرّتين، تنكرني ثلاث مرّات وأخذ يبكي[١].

٣. لوقا

وأمّا لوقا فإنّه يقول بهذا الخصوص:

فقبضوا عليه وأخذوه ودخلوا به إلى دار رئيس الكهنة. وكان بطرس يتبعه عن بعد، وأوقد الحرس ناراً في ساحة الدّار وقعدوا حولها، وقعد بطرس بينهم، فرأته خادمة عند النّار، فقالت: وهذا الرّجل كان مع يسوع. فأنكر وقال: أنا لا أعرفه يا امرأة. وبعد قليل رآه رجل فقال: وأنت منهم، فأجابه بطرس كلا يا رجل»[٢].

٤. يوحنّا

ويذكر يوحنّا الحادثة بشكل يختلف عن الأناجيل الثّلاثة، فيقول:

إنّ الجند والقائد وخدّام اليهود قبضوا على يسوع، وأوثقوه ومضوا به إلى حنّان... وكان سمعان بطرس والتّلميذ الآخر يتبعان يسوع... وأمّا بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً... وكلّم البوابة فأدخل بطرس فقالت الجارية البوابة لبطرس: ألست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان، قال ذاك: لست أنا...[٣].

---

١. إنجيل مرقس: ١٤/ ٦٦ ـ ٧٢.
٢. إنجيل لوقا: ٢٢/ ٥٧ ـ ٥٩.
٣. إنجيل يوحنّا: ١٨/ ١٦ ـ ١٧.

المناقشة

إنّ إلقاء نظرة سريعة على النّصوص كافية لإثبات الاختلاف فيما بينها، وأمّا الاختلافات، فيمكن إيجازها بما يلي:

إنّ متى ومرقس جعلا محاكمة المسيح عليه السلام أمام مجمع اليهود في الليل وبعد إلقاء القبض عليه مباشرة، ولكن لوقا يجعلها في صباح اليوم التّالي، بعد أن قضى الحراس الليل كلّه يستهزئون به ويضربونه، وأمّا يوحنّا فإنّه يخالف الأناجيل الثّلاثة جداً، ويقول بأنّ المسيح عليه السلام أقتيد إلى حنّان أوّلاً، ومن ثمّ فإنّ حنّان أرسله إلى رئيس الكهنة.

ـ وأيضاً استجواب رئيس الكهنة للمسيح عليه السلام والأجوبة الّتي ذكرها تختلف من إنجيل لآخر، ولا سيّما إنجيل يوحنّا.

ـ وتبقى المشكلة العويصة في النّص هي إنكار بطرس للمسيح عليه السلام، فمن خلال مراجعة الأناجيل الأربعة، والوقوف على شخصية السّائل من بطرس في كلٍّ منها لا أظنّ أنّنا نحتاج بعد ذلك إلى تعليق وإضافة على تلك النّصوص.

وقصّة إنكار بطرس للمسيح عليه السلام كما يعتقد البعض هي بعيدة عن الواقع، فبالإضافة إلى هذا الاختلاف في النّصوص، تبقى هناك مسألة مهمّة أخرى، وهي أنّ بطرس هو الوحيد من بين التّلاميذ الّذي استلّ السّيف وضرب عبد رئيس الكهنة عندما أرادوا القبض على المسيح عليه السلام؛ ولذلك فإنّ الحرّاس والجنود الّذين ألقوا القبض على المسيح عليه السلام لابدّ وأنّهم كانوا يعرفونه جيداً، ولاسيّما بعد موقفه البطولي وقطع إذن أحدهم، لذلك من المستبعد جداً من بطرس الحضور إلى دار رئيس الكهنة بعد هروبه وفراره في ساعة إلقاء القبض على المسيح عليه السلام؛ لأنّ ذلك سيؤدي إلى المجازفة بحياته، لأنّه سينال نفس المصير الّذي سيؤول إليه مصير معلمه وسيّده المسيح عليه السلام.

ثالثاً: صلبه عليه السلام

إنّ قضية صلب المسيح عليه السلام هي الأخرى تسبب مشكلة وإزعاجاً لعلماء الكتاب المقدّس ومفسريه، فقد اختلفت الأناجيل الأربعة في نقل جزئيات هذه الحادثة كثيراً، فالأناجيل الثّلاثة الأُولى تؤكّد أنّ الّذي حمل الصّليب هو رجل اسمه سمعان القيرواني، بينما يؤكّد يوحنّا أنّ المسيح عليه السلام هو الّذي حمل صليبه إلى موضع صلبه وليس هو سمعان القيرواني.

وأمّا الشّراب الّذي أُعطي له، فإنّ متى يذكر أنّهم أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب، وقد ذاقه المسيح عليه السلام فلم يشرب. وأمّا مرقس فإنّه يقول بأنّهم أعطوه خمراً ممزوجة بمر فلم يشرب ولم يذقه.

وأمّا لوقا فيذكر أنّهم قدّموا له خلاً فقط. وأخيراً فإنّ يوحنّا يقول إنّ المسيح عليه السلام هو الّذي طلب منهم ماء، وذلك عندما قال لهم عليه السلام: أنا عطشان، وكان هناك وعاء مملوء بالخل، فغمسوا اسفنجة ورفعوها إلى فمه، فلما ذاق يسوع الخلّ قال: تمّ كلّ شيء.

وكذلك ساعة الصّلب فإنّ مرقس ولوقا يذكران أنّها كانت الثّالثة، بينما يذكر يوحنّا أنّها كانت السّادسة.

وأيضاً قصّة المصلوبان مع المسيح، فإنّ متى ومرقس يتّفقان أنّهما كانا يستهزئون به، ولكن لوقا يذكر أنّ أحدهم استهزاء بالمسيح عليه السلام، والآخر نهاه عن ذلك، ولذلك قال المسيح عليه السلام له: إنّك اليوم تكون معي في الفردوس. ولكن يوحنّا لا يذكر أي محاورة بين اللصّين والمسيح عليه السلام أبداً.

وأمّا المشكلة الكبيرة في قضية صلب المسيح عليه السلام وموته، فهي مسألة صرخته وهو على الصّليب، فإنّ متى يذكر أنّ المسيح عليه السلام ونحو السّاعة الثّالثة صرخ بصوت عظيم، فقال:

> صرخ يسوع بصوت عظيم: إيلي، إيلي لما شبقتني؟ أي: إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟[1]

وكذلك يذكر مرقس، ولكنّه أبدل كلمة (إيلي) بكلمة (إيلوئي) وهي عبارة أرامية.

ولكن لوقا يرفض هذا الإنزعاج واليأس من المسيح عليه السلام ويذكر استقبال المسيح للموت، فيقول:

> وصرخ يسوع صرخة عظيمة وقال: يا أبتاه، في يديك استودع روحي[2].

بينما يوحنّا لا يذكر شيئاً عن صرخة المسيح عليه السلام العظيمة ولا عن يأسه وجزعه، بل يقول:

> فلما ذاق يسوع الخلّ قال: تمّ كلّ شيء، وحَنى رأسه وأسلم الرّوح[3].

ومسائل أخرى كثيرة تذكرها الأناجيل حول مسألة الصّلب كلّها تؤيد القول بأنّ هذه الأناجيل هي سجلات تاريخيّة فقط، فهل من المعقول أن تختلف الأناجيل كلّها في اللوحة المكتوبة على صليب المسيح عليه السلام وهي لا تعدو جملة واحدة متكونة من بضع كلمات. ولذا

---

١. إنجيل متّى: ٢٧/ ٤٦.

٢. إنجيل لوقا: ٢٣/ ٤٦.

٣. إنجيل يوحنّا: ١٩/ ٣٠.

يمكن القول إنّ حادثة صلب المسيح وموته في الأناجيل لا يمكن الاطمئنان بوقوعها، وإذا أثبتنا أنّ هذه الحادثة كانت محل شك وترديد في الأناجيل، وأنّ المسيح لم يصلب، بل صلب من يشبهه، فلا يمكن القول بعقيدة الفداء أصلاً؛ لأنّ المسيح لم يفدينا بدمه أبداً، بل رُفِعَ إلى السّماء، وهذه المسألة المهمّة جداً في إثبات العقيدة المسيحيّة إذا تمّ إثبات عدم وقوعها فإنّ كلّ العقائد المسيحيّة الأخرى تتزلزل؛ لأنّ الهدف الأساسي لتجسّد الله أو ابن الله ـ كما أشرنا في المسيحيّة ـ هو أن تتمّ المصالحة بين الله والإنسان من خلال فداء ابن الله بنفسه، وإذا تأكّد من عدم صلب المسيح وموته فإنّ هذه العقيدة ستنهار، وبالتّالي فليس هناك أيّ مبرّر، لأنّ يتجسّد الإله، وأخيراً فإنّ المسيح ليس بابن الله، ولا الله المتجسّد وبذلك تنتفي عقيدة التّثليث أيضاً، وما أشار إليه القرآن الكريم من أنّ المسيح لم يصلب، ولم يقتل، أدّى إلى هدم أهمّ الاعتقادات في المسيحيّة الحاليّة.

عناوين مقترحة للتحقيق الدّرسي

١. نظرة لعقيدة الفداء في الأديان قبل المسيحيّة.

٢. خطيئة آدم بين القرآن والكتاب المقدّس.

٣. صلب المسيح بين القرآن والأناجيل.

٤. دور العمل في النّجاة الأخروي في المسيحيّة والإسلام.

مصادر البحث

١. قاموس الكتاب المقدّس.

٢. النّصرانيّة في الميزان، محمّد عزت الطّهاوي.

٣. معجم اللاّهوت الكتابي، مجموعة علماء.

٤. التّفسير الحديث للكتاب المقدّس، ر.ت فرانس.

٥. الهدى إلى دين المصطفى، العلاّمة البلاغي.

٦. المسيح في المصادر الإسلامية الحديثة وفي المسيحيّة، د.منير خوّام.

٥

الشّريعة

تمهيد

كما هو معروف فإنّ الأديان التّوحيديّة تحتوي على ثلاثة أقسام مهمّة تشكّل أساس وقواعد هذه الأديان، وهي:

١. العقائد.

٢. الشّريعة.

٣. الأخلاق.

وما ذكره القرآن الكريم من كيفية النّجاة في الآخرة من خلال الإيمان والعمل الصّالح، كأنّه يشير إلى هذه المسألة، فالإيمان يشكّل الجزء الأساسي للدّين، وهي العقائد الأساسيّة، والعمل الصّالح يشمل الامتثال للأوامر والنّواهي الشّرعية الّتي يأتي بها النّبيّ، وأيضاً يشمل السّلوك الأخلاقي الّتي تأمر به جميع الأديان، والاختلاف في أغلب الأحيان يكون في الشّريعة، إذ أنّ العقائد الأساسيّة للأديان الإبراهيميّة واحد، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، والأخلاق أيضاً فيها ثوابت دعت إليها الأديان كافة، وإن كان هناك كامل وأكمل، وتام وأتم، من أحكام تلك الملكات والسّجايا الأخلاقيّة.

ومن المسائل المهمّة في المسيحيّة اليوم، هي إهمال وإلغاء الشّريعة بعد المسيح عليه السلام، الّذي كان يؤكّد على ضرورة المحافظة عليها مراراً ـ كما سنوضّح ذلك ـ ولإيضاح المطلب نذكر نبذة مختصرة عن الشّريعة، ومن ثمّ نبيّن كيف رفضها علماء المسيحيّة بعد عيسى عليه السلام.

فالشّريعة أو النّاموس وفق العقيدة المسيحيّة، هي الشّريعة الّتي جاء بها الكليم موسىعليه السلام بوحي من الله سبحانه، أوحى بها إليه في جبل سيناء، والشّريعة الموسويّة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء، وهي:

أوّلاً: الوصايا الأخلاقيّة

تختصرها الشّريعة في الوصايا العشر، وهي الوصايا الّتي أوحاها الله سبحانه إلى موسىعليه السلام على جبل سيناء، وكتبها في لوحين من حجر. وقد كسر موسىعليه السلام اللوحين لما غضب على الشّعب عند عودته، ثمّ أعاد نحتهما من جديد[١]. والوصايا العشر هي حسب ما يذكرها سفر الخروج[٢]:

١. أنا الرّب إلهك الّذي أخرجك من أرض مصر، من دار العبوديّة لا يكن لك آلهة سواي.

٢. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة شيء ممّا في السّماء من فوق... لا تسجد لها ولا تعبدها، لأنّي أنا الرّب إلهك إله غيور... .

٣. لا تحلف باسم الرّب إلهك باطلاً؛لأنّ الرّب لا يبرّر من يحلف باسمه باطلاً... .

٤. أذكر يوم السّبت وكرسه لي، في ستة أيام تعمل وتنجز جميع أعمالك، واليوم السّابع سبت للربّ إلهك... .

٥. أكرم أباك وأمك ليطول عمرك في الأرض... .

٦. لا تقتل... .

٧. لا تزن... .

٨ لا تسرق... .

٩. لا تشهد على غيرك شهادة زور... .

١٠. لا تشته بيت غيرك... لا تشته امرأة غيرك، ولا عبده، ولا جاريته، ولا ثوره، ولا حماره ولا شيئاً ممّا له... .

---

١. سفر خروج: ٣٤/ ١ ـ ٥.

٢. المصدر: ١ ـ ٢٠.

ثانياً: الحقل العبادي

وهي مجموعة الشّعائر الّتي دعا موسىعليه السلام إلى إتباعها في التّقرب إلى الله سبحانه، وقد أوحى بها الله سبحانه إليه في جبل سيناء أيضاً، وكان القصد منها تنظيم العبادات والذّبائح والتّقدمات والمواسم والأعياد والصّلوات والصّيام والتّطهير.

وكانت هذه الشّرائع العباديّة عرضة للتعديل، وحسب تطوّرات الحياة. وموسىعليه السلام نفسه وضع بعض تعديلاتها بعد ثمان وثلاثين سنة من وضعها، وهذا فرق أساسي بين الوصايا الأخلاقيّة والجانب العبادي في الشّريعة. فالوصايا العشر ثابتة لا تتبدل؛ لأنّها صالحة لكلّ زمان ومكان، وأمّا الطّقوس العباديّة فهي معرضة لطبيعة الظّروف إلى حدٍّ بعيد[1].

ثالثاً: المعاملات المدنيّة: الأسريّة، الاجتماعيّة، الاقتصاديّة، القضائيّة

وهي كثيرة في شريعة موسى، وتتفق إلى حدّ كبير مع الإسلام في الكثير من أحكامها، ومنها قصاص القاتل[2] والزّانيّة[3] والتّمييز بين الحيوانات الطّاهرة والنّجسة[4] وعدم أكل ما قدم للأوثان، والمخنوقة، أحكام الزّواج والطّلاق، وأحكام الزّكاة[5]. وغيرها الكثير..

والمسيحعليه السلام جاء مكملاً لشريعة موسىعليه السلام وهذا ما كان يقوله في تعاليمه لتلاميذه والنّاس:

> لا تظنّوا أنّي جئت لأبطل الشّريعة وتعاليم الأنبياء، ما جئت لأبطل، بل لأكمل، الحقّ أقول لكم: إلى أن تزول السّماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة من الشّريعة، حتّى يتم كلّ شيء. فمن خالف وصية من أصغر هذه الوصايا وعلم النّاس أن يعملوا مثله عد صغيراً في ملكوت السّموات وأمّا من عمل بها وعلمها فهو يعد عظيماً في ملكوت السّموات[6].

---

١. قاموس الكتاب المقدّس، مادة ناموس: ٩٧٨.
٢. سفر التكوين: ٦/٨.
٣. المصدر: ٢٤/٣٨.
٤. المصدر: ٢٠/٨.
٥. سفر العدد ١٩: ١١.
٦. إنجيل متّى: ٥/ ١٧.

وهو يوصي تلاميذه بأن يفعلوا كلّ ما يأمر به معلمو الشّريعة، إذ ينقل متى في إنجيله:

وخاطب يسوع تلاميذه، قال: معلمو الشّريعة والفريسيّون على كرسي موسى عليه السلام جالسون فافعلوا كلّ ما يقولونه لكم، وأعملوا به، ولكن لا تعملوا مثل أعمالهم، لأنّهم يقولون ولا يفعلون[١].

وهو يؤكّد على عدم ترك الشّريعة، فيقول:

ويل لكم أيّها الكتبة والفريسيون المراؤون؛ لأنّكم تعشرون النّعنع والشّب والكمون، وتركتم أثقل النّاموس الحقّ والرّحمة والإيمان، كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك[٢].

وعمليّاً فإنّ المسيح عليه السلام إلتزم بالشّريعة الموسويّة، فإنّه عليه السلام اختتن في اليوم الثّامن من ولادته حسب شريعة موسى عليه السلام، وقدم والداه الذّبيحة للرّب بحسب الشّريعة[٣]، وقد دفع ضريبة الهيكل[٤] وغيرها من الأعمال.

والّذي يطالع العهد الجديد يتّضح له جليّاً أنّ المسيح عليه السلام لم يلغ الشّريعة بمجيئه أبداً، بل على العكس من ذلك، فإنّه أوصى بها قولاً، وعمل بها فعلاً، نعم هو أكّد على الالتفات إلى باطن الشّريعة أيضاً دون الاكتفاء بالأفعال الخارجيّة والظّاهريّة، ولكنّه لم يبطل أبداً الشّريعة الظّاهريّة.

ولكنّ أتباع المسيحيّة اليوم تخلوا عن الشّريعة الموسويّة، وهم ينظرون إلى الشّريعة والديانة اليهوديّة بأنّها شريعة وقتيّة وغير كاملة، بل أعدّت استعداداً لمجيء المسيح عليه السلام، وأنّ الإيمان وحده كافي للنجاة[٥]. فإذا كان المسيح عليه السلام قد أوصى وأكّد على الشّريعة كما رأينا، وأمر بحفظها والعمل بها، فمن هو الّذي عطّلها وأهملها، وأكتفى بالإيمان بدلاً عنها؟

فالمسيحيّة اليوم تعتقد أنّ الإيمان بعيسى عليه السلام باعتباره المخلّص والفادي يكفي لنيل النّجاة، فلم يعد بحاجة إلى شريعة وأحكام ونواهي.

---

١. المصدر: ٢٣/ ١ ـ ٤.

٢. المصدر: ٢٣/ ٢٣.

٣. إنجيل لوقا: ٢/ ٢١ ـ ٢٣.

٤. إنجيل متّى: ١٧/ ٢٤.

٥. قاموس الكتاب المقدّس، مادة: عبرانيّة: ٥٩٨.

والظّاهر أن ترك الشّريعة بعد عيسى عليه السلام كان على يد بولس، ولنوضح كيفية ذلك:

يقصّ لنا سفر أعمال الرّسل، أنّه نتيجة للتّبشير الّذي قام به الرّسل، آمن بالمسيح عليه السلام عدد كثير من الوثنين على يد بطرس وبولس وبرنابا، دون أن يمروا بالدّيانة اليهوديّة، فكانوا ذوي غلف، أي: غير مختونين[1].

وفي أنطاكيّة جرى خلاف وجدال شديد بين بولس وبرنابا من جهة، وبين المؤمنين بالمسيحيّة من اليهود من جهة أخرى، إذ أخذوا يعلمون المؤمنين الجدّد بأنّ لا خلاص لكم إلا إذا اختتنتم على شريعة موسى[2] وبولس يعارضهم في ذلك، وبدأ يدافع عن حريّة الوثنيين والمهتدين تجاه الأوامر الّتي تأمر بها الكنيسة.

فأجمعوا أن يراجعوا التّلاميذ والحوارييّن في أورشليم والشّيوخ في هذه المسألة، فلمّا وصلوا إلى أورشليم، أخبروهم بالمسألة فقام بعض المؤمنين الّذين كانوا قبلاً على مذهب الفريسييّن[3] وقالوا يجب أن يختتن غير اليهود، ويعملوا بشريعة موسى حسب وصيّة المسيح عليه السلام.

فأجتمع الرّسل والشّيوخ للنظر في هذه المسألة، وبعد جدال طويل قام بطرس، وقال لهم:

> أيّها الإخوة، تعرفون أنّ الله اختارني من بينكم من زمن بعيد... فلماذا تجربون الله الآن بأن تضعوا على رقاب التّلاميذ نيراً عجز آباؤنا وعجزنا نحن عن حمله[4].

واستمر بولس وبرنابا يرويان الآيات الّتي جرت بين غير اليهود، فقام يعقوب ـ راعي الكنيسة في أورشليم ـ وقال:

أرى أن لا نثقل على الّذين يهتدون إلى الله من غير اليهود، بل نكتب إليهم أن يمتنعوا عن ذبائح الأصنام النّجسة، والزّنا، والحيوان المخنوق والدّم، فلشّريعة موسى من قديم الزّمان معلمون في كلّ مدينة يقرأونها كلّ سبت في المجامع[5].

---

١. سفر أعمال الرّسل: ١١/ ٢.
٢. المصدر: ١٥/ ١ ـ ٢.
٣. المصدر: ٥.
٤. المصدر: ٧ ـ ١١.
٥. المصدر: ١٩ ـ ٢١.

وكان هذا أوّل تباعد عن بعض أحكام الشّريعة الّتي أوصى المسيح عليه السلام بحفظها، حيث إنّ (تيطس) رفيق بولس لم يختتن، والوثنيين الّذين آمنوا بالمسيح عليه السلام أيضاً لم يوجب عليهم الختان.

ولكن لم تنتهِ المسألة إلى هذا الحدّ، فبولس بدأ شيئاً فشيئاً بنشر أفكاره وآرائه الجديدة، فبولس الّذي ليس من الرّسل وبخ بطرس (الوصي) ولامه على فعله، كما يذكر ذلك في رسالته، حيث يقول:

> وعندما جاء بطرس إلى أنطاكية قاومته وجهاً لوجه لأنّه كان يستحقّ اللّوم، فقبل مجيء قوم من عند يعقوب (أورشليم) كان بطرس يأكل مع غير اليهود، فلمّا وصلوا تجنبهم وانفصل عنهم خوفاً من دعاة الختان وجاراه سائر اليهود في ريائه[1].

وبعد أن رأى بولس أن بطرس الوصي لا يستقيم مع البشارة، وبّخه وأعلن نظريته الجديدة، حيث يقول:

إنّ الله لا يبرّر الإنسان؛ لأنّه يعمل بأحكام الشّريعة، بل لأنّه يؤمن بيسوع المسيح عليه السلام. ولذلك آمنّا بالمسيح يسوع ليبرّرنا الإيمان بالمسيح، لا العمل بأحكام الشّريعة، فالإنسان لا يتبرّر لعمله بأحكام الشّريعة[2].

فهو يقول إنّ العمل بالشّريعة لوحده لا يكفي في النّجاة، بل يجب الإيمان بالمسيح عليه السلام.

وهذا الكلام قد يُفهم منه إنّ الإيمان والعمل بالشّريعة هما اللذان ينجيان الإنسان، ولكن بولس يصرّح بقوله:

> أمّا الّذين يتكلّمون على العمل بأحكام الشّريعة فهم ملعونون جميعاً، ويضيف والمسيح حرّرنا عن لعنة الشّريعة، بأن صار لعنة لأجلنا[3].

ويُكمل بولس نظريّته ويدّعي أنّ الشّريعة وإن كان مصدرها الله، ولكنّها أُعطيت للبشر عن واسطة الملائكة، وهذا دليل على ضعفها. فهي مع أنّها مقدّسة وروحانيّة، ولكنّي ما عرفت الخطيئة إلاّ بالشّريعة فلولا قولها لي: لا تشته لما عرفت الشّهوة، ولكنّها أضعف من أن تخلّص الإنسان المباع لسلطان الخطيئة، فالشّريعة بدلاً من أن تخلص البشر من الشّر، تكاد ـ لو جاز هذا التّعبير ـ تغمسهم فيه وتعدهم للعنة.

---

١. رسالة بولس إلى أهل غلاطية: ٢/ ١١.

٢. المصدر: ١٦.

٣. المصدر: ٣: ١٣.

ويستمر بولس في بيان عقيدته، فيقول:

إنّ الشّريعة باعتبارها مؤدباً وحارساً لشعب الله في مرحلة الطّفولة، كانت تجعله يشتهي براً يستحيل تحقيقه؛ وذلك حتّى يدرك بطريقة أفضل حاجته المطلقة إلى مخلص للعالم الأوحد. فالمسيحعليه السلام بمجيئه أنهى الشّريعة فهو نهاية الشّريعة وغايتها[١].

وفي الواقع فهذه العقيدة الجديدة هي من نتاج بولس، فالمسيحيّة يكفيها الإيمان بالمسيحعليه السلام عوضاً عن الشّريعة فلا تعود بحاجة إلى شريعة، يقول بولس إنّ الشّريعة كلّها تلخصت في وصية واحدة وهي المحبّة:

لا يكون لأحد دين إلاّ محبة بعضكم لبعض، فمن أحب غيره أتمّ العمل بالشّريعة، فالوصايا الّتي تقول لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشته، وسواها من الوصايا تتلخص في هذه الوصية، أحب قريبك مثلما تحبّ نفسك، فالمحبة تمام العمل بالشّريعة[٢].

والمسألة تبدو الآن أكثر وضوحاً، فالمسيحعليه السلام جاء متمماً ومكملاً للشّريعة[٣] وأكّد كثيراً على حفظ الشّريعة والعمل بها مع الإيمان به، فهو لم ينقض الشّريعة أطلاقاً ولم يهملها، بل عمل بها وأمر بعدم تركها[٤].

وإنّما أبطلت الشّريعة وأهملت بعده، وبالتّحديد على يد بولس الّذي لم يرَ المسيحعليه السلام أبداً، وليس من تلاميذه ورسله وأتباعه، بل كان يهوديّاً، ثمّ اعتنق المسيحيّة، كما أشرنا.

فالمسيحعليه السلام اختتن وهو ابن ثمانية أيام حسب الشّريعة والنّاموس[٥]. ولكنّنا نجد الآن المسيحيّين لا يختتنون أبداً عملاً بوصية بولس، فالّذي قال: بولس أقول لكم إذا اختتنتم، فلا يفيدكم المسيح شيئاً[٦].

وهنا سنشير إلى أهمّ مراحل التّشريع في المسيحيّة وبشكل مختصر، وهي:

١. المرحلة الأولى: اتّباع التّشريع اليهودي

وهي المرحلة الأولى من مراحل الشّريعة في المسيحيّة، وفيها تبع المسيحيون شريعة اليهود في أوّل

١. رسالة بولس إلي أهل رومة ١٠ ـ ٤.
٢. المصدر: ١٣: ٨ ـ ١٠.
٣. إنجيل متّى: ٥/ ١٧.
٤. المصدر: ٢٣/ ٢٣.
٥. إنجيل لوقا: ٢/ ١٢.
٦. غل: ٥/ ٢.

عهدهم ووصاياهم. ولم يأتِ المسيح في هذه المرحلة بتشريع جديد. وكلّ ما اهتم به هو التّأكيد على حفظ الأحكام الّتي جاء بها موسى عليه السلام، والتّسامح وألزم أصحابه بطاعة ما شرّعه العهد القديم.

٢. المرحلة الثّانية: عظات عيسى ومكانها في التّشريع

وفي هذه المرحلة قام عيسى عليه السلام بالوعظ، وكان أهمّ مواعظه: موعظة الجبل الّتي نقلت التّشريع في المسيحيّة إلى طور جديد، وفي هذه المرحلة نرى أنّ المسيح يؤكّد على ضرورة الالتفات الحقيقي إلى باطن الشّريعة وذكر بعض الأحكام الجديدة، ومنها:

أ) الزّنا

فقد أعطى المسيح بُعداً جديداً لهذا الذّنب، حيث يقول: قد سمعتم أنّه قيل للقدماء لا تزن. وأمّا أنا فأقول لكم: إنّ كلّ من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه، فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك؛ لأنّه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كلّه في جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك، لأنّه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كلّه في جهنم.

ب) القسم

وهو الآخر أصبح أكثر تشديداً في تعاليم عيسى عليه السلام، حيث قال: أيضاً سمعتم أنّه قيل للقدماء: لا تحنث، بل أوف للربّ أقسامك. وأمّا أنا فأقول لكم: لا تحلفوا البتة، لا بالسّماء؛ لأنّها كرسي الله، ولا بالأرض؛ لأنّها موطيء قدميه، ولا بأورشليم؛ لأنّها مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك، لأنّك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء. بل ليكن كلامكم: نعم نعم، لا لا، وما زاد على ذلك فهو من الشّرّير.

ج) الانتقام

وقد أكّد عليه السلام على ضرورة قبول العفو وعدم الانتقام من الآخرين، حيث قال: سمعتم أنّه قيل: عين بعين وسن بسن. وأمّا أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرّ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحولّ له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبتك فانزل له الرّداء أيضاً. ومن سخّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين. من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا تردّه.

د) محبّة الأعداء

وهذه الموعظة أوضح فيها المسيح قيم التّسامح الّتي يجب أن تسود في المجتمع، حيث قال: سمعتم أنّه قيل: تحبّ قريبك وتبغض عدوّك. وأمّا أنا فأقول لكم: أحبّوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. إحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الّذين يُسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الّذي في السّموات، فإنّه يُشرق شمسه على الأشرار والصّالحين، ويمطر على الأبرار والظّالمين؛ لأنّه إن أحببتم الّذين يحبّونكم، فأي أجر لكم؟ أليس العشّارون أيضاً يفعلون ذلك؟ وإن سلّمتم على أخوتكم فقط، فأيّ فضل تصنعون؟ أليس العشّارون أيضاً يفعلون هكذا؟ فكونوا أنتم كاملين كما أنّ أباكم الّذي في السّموات هو كامل.

هـ) الصّدقة

احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدّام النّاس لكي ينظروكم، وإلاّ فليس لكم أجر عند أبيكم الّذي في السّموات. فمتى صنعت صدقة فلا تصوّت قدّامك بالوفق، كما يفعل المُراؤون في المجامع وفي الأزقّة، لكي يمجّدوا من النّاس. الحقّ أقول لكم: إنّهم قد استوفوا أجرهم! وما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك، لكي تكون صدقتك في الفخاء، فأبوك الّذي يرى في الخفاء، هو يجازيك علانية.

٣. المرحلة الثّالثة: الرّسل والتّشريع

بعد رفع المسيح عليه السلام ومن خلال النّشاط التّبليغي والتّبشيري الّذي قام به تلاميذ المسيح، دخل عدد غير قليل من اليهود غير الملتزمين بالشّريعة، أو الوثنيين من المسيحيّة، ورأى هؤلاء التّلاميذ أنّ التّشريع اليهودي شقّ على الأتباع الجدد وبخاصّة من غير بني اسرائيل، وكان الختان من أهمّ ما شق على هؤلاء فأخذ المسيحيّون يقلّلون من التّكاليف والأحكام الشّرعيّة وحصروها في الزّنا وأكل المخنوق وأكل الدم ما ذبح للأوثان، وأباحو الأكام الأُخرى لهم.

٤. المرحلة الرّابعة: بولس والتّشريع

لعب بولس دوراً مهماً في التّشريع المسيحي، فكان تارة يشرح ما روي عن عيسى، وتارة يقترح ما يراه مناسباً من وجهه نظرة. وكان الختان من أهمّ ما أمر بإيقاف العمل به، وتعتبر هذه المرحلة والمرحلة الّتي سبقتها أهمّ المراحل الّتي أدّت إلى حذف الشّريعة من الدّيانة المسيحيّة شيئاً فشيئاً.

٥. المرحلة الخامسة: الرّؤساء الرّوحانيّون والمجامع

في هذه المرحلة تسلّم الرّؤساء الرّوحانيون تراث التّشريع من الرّسل ومن بولس، وظلوا يباشرونه حتّى تمّ الاعتراف بالمسيحيّة، فانتقل حقّ التّشريع إلى المجامع الّتي راحت تقرّر بعض الأوامر والنواهي وأدخلتها ضمن الشّريعة المسيحيّة، وأعطت للبابا السّلطة في سنّ الشّرائع والقوانين تضمن مصالح المسيحيّين، حتّى أصبح ما يقرّه البابا واجب الاتّباع والعمل به، على اعتبار أنّ أوامره ونواهي هي أوامر ونواهي المسيح عليه السلام.

ففي عام ١٨٦٩ م قرّر مجمع روما عصمة البابا، فانتقل حقّ التّشريع إليه كرئيس للكنيسة، وللوقوف على حقيقة الأمر بخصوص الشّريعة في المسيحيّه، يمكن القول أنّ المسيح أمر بضرورة الالتزام بكلّ أحكام الشّريعة الموسويّة، ولكن جاء من بعده من ترك الشّريعة.

ويمكن القول أنّ الشّريعة المسيحيّة انحصرت في مجال بعض العبادات والأحكام الأخلاقيّة والاجتماعيّة، من قبيل الصّلاه والصّوم والزّواج والطّلاق و...، وهنا نشير إلى أهمّ العبادات المسيحيّة، وهي:

أوّلاً: الصّلاة

لا يمكن فهم التّقاليد الّتي جاء بها السّيد المسيح عليه السلام بمعزل عن تشريعات الدّيانة اليهوديّة، فرسالته عليه السلام مكملة لرسالة موسى عليه السلام، تلك الشّريعة الّتي كانت تسد احتياجات النّاس من الطّقوس والأحكام الدّينيّة والمدنيّة، واشباع عطشهم الرّوحي من العبادات، وخاصّة الصّلاة.

لقد نبت عيسى عليه السلام في شعب يحبّ الصّلاة، وكان المعلمون الرّبيون يذكرون أجمل العبارات عن الصّلاة، ومن أقوالهم: الله قريب من مخلوقاته قرب الأذن من الفم:

وفي بداية حياته أقام المسيح عليه السلام صلاته في هيكل أورشليم مع بني اسرائيل، وشاركهم سائر طقوسهم التّعبديّة الأخرى.

ولقد مارس المسيح عليه السلام تعليم الصّلاة في يوم السّبت المقدّس عند اليهود.

واقتفى الحواريّون أثره في إقامة صلاتي الصّبح والمساء، يقول سفر أعمال الرّسل:

ويقول أيضاً:

صعد بطرس إلى السّطح نحو الظّهر ليصلي[1].

---

١. سفر أعمال الرّسل: ٣/ ١.

وأكّد السيّد المسيحعليه السلام في تعاليم صلاته على السّلوك الرّوحاني من دون مباهاة أو رياء، فكان يقول:

متى صلّيتم، فلا تكونوا كالمرائين[١].

وأمّا صلاة المسيحعليه السلام المذكورة في الأناجيل، فتذكر أنّه صلّى منفرداً طيلة مبعثه على الرّغم من مشاركته لليهود في صلاتهم أول الأمر.

وكان السيّد المسيحعليه السلام يدعو إلى الصّلاة الانفراديّة بقوله:

فأمّا أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك، وأغلق بابك وصل إلى أبيك الّذي في الخفاء، فأبوك الّذي يرى في الخفاء يجازيك علانية[٢].

ويدلّ على ذلك أيضاً قول متى في إنجيله:

بعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي»[٣]. وقال مرقس: «... وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلّي هناك[٤].

وقال لوقا:

وأمّا هو فكان ينعزل في البراري ويصلّي[٥].

والمسيح ترك للمسيحيين أن يتلو من العبارات في الصّلاة ما يختارونه، شرط أن لا يخرج عن قاعدة الصّلاة الّتي علّمها المسيح لهم؛ لكي يصلوا على منوالها، وهي المسماة: بالصّلاة الرّبانيّة. ويختارون أدعية في صلاتهم من سفر المزامير، الّذي يقولون عنه أنّه خزانة ذهبيّة لصلوات داود وغيره من الأنبياء.

وتنقل الأناجيل صلاة المسيحعليه السلام وهي كانت تشتمل على الرّكوع والسّجود، وهناك نصوص كثيرة تشير إلى ذلك، منها:

١. إنّهعليه السلام جثا على ركبتيه في صلاته ببستان الزّيتون، يقول لوقا في إنجيله،

وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلّى[٦].

أي: وضع الرّكبتين على الأرض.

---

١. إنجيل متّى: ٦/ ٥ ـ ١٣.

٢. المصدر: ٦/ ٦.

٣. المصدر: ١٤/ ٢٣.

٤. إنجيل مرقس: ١/ ٣٥.

٥. إنجيل لوقا: ٥/ ١٦.

٦. إنجيل لوقا: ٢٢/ ٤١.

٢. صلّى سجوداً على الأرض، وينقل مرقس في إنجيله:

ثمّ تقدّم قليلاً وخرّ على الأرض وكان يصلّي...[١].

وقال متى في إنجيله:

ثمّ تقدّم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلّي...[٢].

وتعدّ الصّلاة الرّبية أساس صلوتهم، وهي الّتي علّمها المسيح لتلاميذه، حيث قال:

فصلّوا أنتم هكذا أبانا الّذي في السّموات ليقدّس اسمك. ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما في السّماء، كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا، أعطنا اليوم. وإغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشّرير[٣].

ثانياً: الزّكاة

لم يرد لفظ الزّكاة في الأناجيل، بل ورد لفظ: الصّدقة، والصّدقات في إنجيلي متى ولوقا فقط، وقد ورد ذكر العشور في الأناجيل المسيحيّة كضرب أمثال للموعظة.

وقد ورد في إنجيل متّي قوله:

احترزوا أن تضعوا صدقتكم قدام النّاس لكي ينظروكم، وإلاّ فليس لكم أجر عند أبيكم الّذي في السّموات، فمتى صنعت صدقة فلا تصوّت قدامكم، كما يفعل المراؤون في المجامع والأزقة؛ لكي يمجدوا من النّاس[٤].

ويضيف أيضاً:

وأمّا أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك، لكي تكون صدقتك في الخفاء، فأبوك الّذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية[٥].

ويحصر العهد الجديد مفهوم الصّدقة بصفات محدّدة، منها:

١. الإنفاق على المساكين، فمن أعطاهم شيئاً خيره دائم إلى الأبد.

٢. إعطاء الصّدقة بنية صادقة لله تعالى.

٣. يفضل إعطاؤها سرّاً، وليس أمام النّاس.

---

١. إنجيل مرقس: ١٤/ ٣٥.

٢. إنجيل متّى: ٢٦/ ٣٩.

٣. المصدر: ٦/ ٩؛ معجم اللاّهوت الكتابي: ١٤٣.

٤. المصدر: ٦/ ١ ـ ٢.

٥. المصدر: ٦/ ٣ ـ ٤.

أمّا بولس فيبيّن إنّ الانفاق بكثرة هو اكتناز مدخر للحياة الآخرة، إذ يقول في رسالته لصديقه تيموثاوس.

وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة، وأن يكونوا أسخياء في العطاء في التّوزيع مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل، لكي يمسكوا بالحياة الأبديّة[1].

ويميل لوقا إلى نزعة تصدقية متشدّدة في موضع آخر من إنجيله، حيث يقول:

بيعوا ما تملكون وتصدقوا، اتّخذوا لأنفسكم أكياساً لا تبلى، وكنزاً في السّموات لا ينفذ، حيث لا يقرب سارق، ولا يبلى سوس، لأنّه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً[2].

ثالثاً: الصّيام

ليس في العهد الجديد وصية تطلب الصّوم، إنّما يفهم أمره أنّه أمر اختياري يلجأ إليه المسيحي عند الحاجة، ويقترن بالصّلاة والتّذلل.

والصّوم لم يفرض في الأناجيل كفرض واجب، بل ذكر فيها مدحه مع النّهي عن الرّياء، وعدم العبوس في الصّوم.

يقول متى في إنجيله نقلاً عن المسيح:

ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين، فإنّه يغيرون وجوههم لكي يظهروا للنّاس صائمين... وأمّا أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكيلا تظهر للنّاس، بل صائماً لأبيك الّذي في الخفاء[3].

ويرى فريق منهم أن المسيح عليه السلام لم يفرض عليهم صياماً إلاّ الصّوم الكبير، صوم: يوم الكفارة السّابق لعيد الفصح، وهو: اقتداء بصوم اليهود المعروف بصوم: كيبور.

وظلّ المسيحيّون الأوائل الّذين كانوا ينتمون إلى السّلالة اليهوديّة يصومونه، أمّا المسيحيون الّذين ينتمون إلى أصول أخرى فلم يهتموا بذلك.

أمّا عدم الأكل في الصّيام، فهو خاصّ بالامتناع عن أكل اللحم والألبان والبيض بأنواعها، وقيل هو الامتناع عن الطّعام من الصّباح حتّى منتصف النّهار، ثمّ تناول طعام خالي من الدّسم.

---

١. رسالة بولس الأولى تيموثاوس: ٦/ ١٨ ـ ٩.
٢. إنجيل لوقا: ١٢/ ٣٣ ـ ٣٤.
٣. إنجيل متّى: ٦/ ١٦ ـ ١٨.

والكنيسة الكاثوليكيّة تلتزم بصيام الأربعين يوماً، الّتي تسبق عيد الفصح، وهو صوم قديم وتسميه صوم (الينبوع) وتدلّ عليه كتابات علمائهم القدامى أمثال: (أرينوس) و(ترتوليان) وهذا الصّوم في بدايته كان قصيراً؛ إذ كان محصوراً بأربعين ساعة الواقعة ما بين وقت صلب المسيح عليه السلام وقيامته ـ بزعمهم ـ وبمرور الزّمن إزداد ليصبح أربعين يوماً، حسب صيام موسى وعيسى عليهما السلام، كما نقلته أسفار العهد القديم والجديد.

فالمسيحيّة اليوم تقتصر من جهة الشّريعة على بعض الأحكام العباديّة والأخلاقيّة، وترفض القسم الأكبر من شريعة موسى عليه السلام كما أشرنا آنفاً.

أسرار الكنيسة السّبعة

هناك بالإضافة إلى بعض الأحكام العباديّة الّتي أشرنا إلى بعضها، طقوس وشعائر خاصّة بالمسيحيّة، يطلقون عليها اسم الأسرار السّبعة، باعتبارها أعمال ظاهريّة، ولكن تنطوي على رموز وأسرار تمثّل حقيقة الدّين المسيحي، وهذه الأسرار، هي:

١. التّعميد

وهو من أهمّ الأسرار المسيحيّة، ومن خلاله يتمّ محو الخطيئة الأصليّة عن الإنسان، وكلّ خطيئة فعلية إرتكبها، وبدونه لا يمكن لأحد أن ينال الخلاص؛ ولهذا كان بعض المسيحيّين الأقدمين يؤخرون التّعميد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ويرجع أصل التّعميد إلى يحيى عليه السلام حيث كان يعمد النّاس في نهر الأردن. وقد قام بتعميد عيسى، وتكاد تتفق كلّ الفرق المسيحيّة على ضرورته.

ولكنّهم لم يتفقوا على وقت التّعميد، كما لم تكن العادة في البدء تعميد الأطفال، بل جرت بعدئذ، وترى بعض الفرق عدم تعميد الأطفال حتّى بلوغهم سن التّمييز. وهناك آراء في ذلك، ومنها:

أ) البعض يعمّد الشّخص في طفولته، وهذا ما يعتقد به الكاثوليك والأرثوذكس.

ب) البعض يعمّده في سن التّكليف، وهو ما يذهب إليه البروستانت.

ج) البعض الآخر يجريه والشّخص على فراش الموت بدعوى أن التّعميد إزالة السّيئات والتّطهير من الذّنوب؛ لذلك يستحسن أن يتمّ حيث لن تحصل ذنوب بعده.

والتّعميد يتمّ بالماء، ثمّ دهن الرّأس بالزّيت، وفي ذلك دلالة على دخوله في زمرة المؤمنين، وكان قديماً يشترطون أن يكون ماء التّعميد من نهر جار، ولكن في الأزمنة المتأخرة كان يتمّ في الكنيسة، ويقوم بالتّعميد كاهن باسم، الأب والابن والروح القدس، ولا يقوم به غير الكهنة، إلاّ عند الضّرورة. وحينئذ يسمّى تعميد الضّرورة، وعلى أن يجري ذلك بتغطيس الإنسان ثلاث مرات الأولى باسم الأب. والثّانية باسم الابن ـ والثّالثة باسم الرّوح القدّس.

والتّعميد فريضة مقدّسة. وهو يدلّ على الاعتراف العلني بالإيمان والطّاعة للأب والابن والروح القدس.

ولا يجوز التّعميد إلاّ إذا اعترف الإنسان بإيمانه جهاراً أمام الكنيسة، بأن يقبل المسيح بعنوان ابن الله، وأنّه الفادي والمخلص.

٢. التّثبيت

سرّ التّثبيت هو الّذي يعمل عل تقوية الإيمان عند الشّخص الّذي نال التّعميد، وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتّعميد وكذلك بالعشاء الرّباني، ويسمّى أيضاً: المسح بالزّيت، أو: وضع اليد. ويستدلّون عليه من خلال النّص الّذي ورد في سفر أعمال الرّسل، الّذي يذكر حادثة وضع اليد من قبل بطرس ويوحنّا، حيث يقول: «عندئذ وضعا أيديهما فنالوا الروح القدس»[١]، ومن هذا النّص استندت الكنيسة على الفرق بين التّعميد ومسحة الزّيت أو التّثبيت، واللذان كانا يشكلان في البداية سرّاً وعملاً واحداً، وقد اختلفت الكنيسة الغربيّة عن الشّرقيّة في هذا السّر جزئياً، فجعلت الكنيسة الغربيّة السّر على وضع اليد بالخصوص، في حين ركّزت الشّرقيّة على المسحة، وجعلتها محور السّر، ثمّ ارتبطت معاً المسح مع وضع اليد، ويمكن القول إنّ علامة التّثبيت قد تغيّرت كثيراً على مرّ الزّمن، لكن بقى معناها ثابتاً وهو منح الرّوح القدّس، وفي سنة ١٩٧١ م أعلن رسمياً أنّ سرّ التّثبيت يعطي بمسحة الميرون على الجبين مع وضع اليد، وتقال الكلمات التّالية: تقبّل ختم موهبة الله، الروح القدس. وعلى غرار التّعميد فإنّ سرّ التّثبيت لا يُعطى إلاّ مرّة واحدة فقط، ويفترق عنه بأنّه لا يُعطى إلاّ من قبل الأسقف، الّذى

---

١. سفر أعمال الرّسل: ٨/ ١٧.

يتلو صلاة خاصّة بها، وذلك بأن يبسط الأسقف يديه قبل وضع اليد والمسحة بالزّيت، ويقول توضيحاً لمفهوم السّر:

أيّها الإله القدير، يابا ربّنا يسوع المسيح، لقد حرّرت هؤلاء المسيحيّين في التّعميد من ذنب آدم، ومنحتهم بالماء والرّوح القدّس حياة جديدة، نطلب إليك أن ترسل عليهم الرّوح القدّس ليكون لهم عوناً[١].

ويوجل منح هذا السّر إلى أن يصل الشّخص سنّ البلوغ والتّمييز ليتمّ قبوله باختيار تامّ من قبل الإنسان.

٣. العشاء الربّاني

ويسمّى أيضاً بالافخارستيا، أي: صلاة الشّكر. ويرمز بالعشاء الرّباني إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه؛ إذ اقتسم معهم الخبز والنّبيذ، فالخبز يرمز إلى جسد (المسيح) الّذي كُسِرَ لنجاة البشريّة، والنّبيذ يرمز إلى دمه الّذي سفك لهذا الغرض، وفقاً للتّفسير المسيحي، ويستعمل عادة قليل من الخبز مع قليل من الخمر، فمن أكل الخبز استحال الخبز إلى لحم وجسد (المسيح) ومن شرب هذا الخمر، استحال الخمر إلى دمه، فيحصل التّمازج بين الآكل وبين المسيح وتعاليمه، ومن يأكل من هذا الخبز ينال الحياة الأبديّة.

ومنذ أيّام الكنيسة الأولى كان يحتفل بهذا السّر في يوم الأحد، باعتباره اليوم الّذي قام فيه المسيح من الأموات، وكانت تقام الصّلاة أثناء هذا السّر قبله وبعده، فيقول الأسقف أو الكاهن في صلاته:

أيّها الإله القدير، خلقت كلّ شيء من أجل اسمك، وأعطيت البشر طعاماً وشراباً، لينعموا بهما ويقدموا لك الشّكر، أمّا نحن فقط أعطيتنا طعاماً وشراباً روحيّين، والحياة الأبديّة بيسوع المسيح[٢].

وقد اختلف في هذا السّر الّذي قبلته كلّ الفرق المسيحيّة في مسألة حضور المسيح فيه، فتذهب الكنيسة الغربيّة الكاثوليكيّة إلى أنّ المسيح يحضر في هذا السّر بشكل واقعي وحقيقي من خلال الصّلاة علي الخبز والخمر لتقديسهما؛ ولذا يعتبرونها أهمّ الأسرار؛ لأنّها تمنح منبع الخلاص الّذي هو المسيح بنفسه، من خلال حضوره شخصياً في هذا السّر، في حين يذهب البروتستانت إلى أنّ هذا السّر والحضور للمسيح فيه، هو رمزي وروحي وليس

---

١. كتاب تاريخ الكنيسة الشّرقيّة: ٣٨٦.
٢. كتاب تاريخ الكنيسة الشّرقيّة: ٣٩٢.

واقعي وحقيقي، وأنّه ليس هناك تحول جوهري للخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح عليه السلام، والقائلون بالتّحول الجوهري إلى جسد ودم المسيح، يعترفون بأنّهم عاجزين عن إعطاء تفسير عقلي لهذا التّحول، ويؤكّدون على أنّه لا يتمّ فهمه إلاّ من خلال الإيمان، وهذا ما أشار إليه توما الأكويني في أناشيده المسماة عيد الجسد الشّهيرة، حيث يقول:

> أعبدك خاشعاً يا إلهي المحتجب، في هذه العلامات أنت حقاً هنا، بكل قلبي أهبك ذاتي، فأمام هذا السّر ما أنا إلاّ فقير، عيناي وفمي ويداي تخطئ فهمك، ولكن بشري الكلمة تكشف لي سرك، ما قاله ابن الله (المسيح) اتقبله مومناً، فهو نفسه الحقّ الّذي لا خداع فيه[1].

وفي العصور المتأخرة أصبح سرّ العشاء الرّباني يعطى في الكنيسة تحت عنوان تناول القربان، وتتمّ على الأقل في السّنة مرّة واحدة، ولكن حالياً يتمّ تناول هذا القربان بعد كلّ قداس في يوم الأحد، وكانت تتمّ المناولة من شكلي الخبز والخمر، حتّى القرن الرّابع عشر الميلادي، ولكن أُبدلت في زماننا الحاضر بشيء رمزي قريب منهما، ويدلّ عليهما.

٤. سرّ التّوبة

مع أنّ الأسرار الثّلاثة آنفة الذّكر، والّتي يصبح من خلالها الإنسان مسيحيّاً مؤمناً، بل ومتحداً مع المسيح، حسب التّفسير المسيحي، هناك سرّ آخر متمّم لتلك الأسرار، وهو سرّ التّوبة، فالإنسان مع طهارته وإيمانه قد يعمل أحياناً أفعال تكون مخالفة لأوامر الله سبحانه وتعاليم المسيح، وهذا السّر يمنح للمذنبين إمكانية العودة إلى الله بعد أن تلوثوا بالذّنب، ويسمّى أحياناً بالتّعميد الثّاني، وتتمّ هذه التّوبة بشكل يومي وهناك أعمال يوصى القيام بها، ومنها الصّيام والصّلاة والإحسان، ويؤكّدون على دموع التّوبة باعتبارها علاّمة على التّوبة الكاملة والصّحيحة، ومن الأمور المهمّة في هذا السّر هو الإقرار بالذّنب والنّدامة عليه، وتتمّ هذه التّوبة من خلال الأساقفة والكهنة؛ باعتبارهم خدمة الكنيسة، ونواب للمسيح، ووصيه بطرس، ويستدلون على ذلك من خلال قول المسيح لوصيه:

> سأعطيك مفاتيح ملكوت السّماوات، فكلّ ما ربطته في الأرض يكون مربوطاً في السّماوات، وكلّ ما حللته على الأرض يكون محلولاً في السّماوات[2].

---

١. كتاب التّرانيم، توما الأكويني، ترنيمة رقم: ٥٤٦.
٢. إنجيل متّى: ١٦/ ١٩.

ويتمّ هذا الإقرار أمام الكاهن ويسمّى بالاعتراف، لأنّ الشّخص المذنب يجب أن يعترف بكلّ الذّنوب الّتي اقترفها؛ ليتمّ مغفرتها عن طريق الكاهن، وبعد ذلك يطبق كلّ ما يأمره به الكاهن؛ لتتمّ له المغفرة الكاملة، وعملية بيع صكوك الغفران في القرون الوسطى كانت تقوم على هذا الأساس.

٥. سرّ مسحة المرضى

وهو أيضاً من الأسرار في المسيحيّة، ويستدلون عليها من خلال شفاء المسيح للمرضى، ومن قوله لتلاميذه «إشفوا المرضى»[١]، وبذلك فقد أعطى لتلاميذه هذه الموهبة في شفاء المرضى، وقد أشار إلى هذا السّر الحواري يعقوب في رسالته، حيث قال:

> هل فيكم مريض؟ فليدع كهنة الكنيسة، وليصلوا عليه، ويمسحوه بالزّيت باسم الرّب، فإنّ صلاة الإيمان تخلص المريض، والرّب ينهضه، وإن كان قد اقترف خطايا تغفر له»[٢].

وقد استخدم التّلاميذ مسح المرضى بالزّيت مع وضع اليد على جبين ويد المريض، وكانت تعطى غالباً في الأزمان السّابقة للمشرفين على الموت وتسمّى: الزّاد الأخير، وبعد المجمع الفاتيكاني الثّاني أصبحت تعطي لكلّ المرضى، ولا تختص بالمرضى المشرفين على الموت، بل أدرجت في سياق عيادة المرضى، ويتضمن هذا السّر بعض الأعمال الخاصّة، حيث يجب على الكاهن أو من يقوم بالمسح، أن يضع يده بصمت ثمّ يتلو صلاة تسبيح لله، ثمّ يمسحون بالزّيت الّذي قدس وفقاً لقانون الكنيسة، ويتلو الكلمات التّالية: ليؤازرك الرّب بهذه المسحة المقدّسة في رحمته الغنية، وليقف إلى جانبك بقدرة روحه القدّوس، وليخلصك الرّب محرّراً إياك من خطاياك ومنهضاً إياك من نعمته.

ويمكن أيضاً بعد موافقة الأسقف منح سرّ المسحة جماعيّاً لعدّة مرضى في آن واحد.

٦. سرّ الكهنوت

يعتبر هذا السّر، والسّر الّذى يليه غير مرتبطين بالإنسان المؤمن وحده، بل يخدم الآخرين أيضاً، ويسمّى أيضاً بالدّرجات الكهنوتيّة، ويتمّ تنصيب الشّخص من خلال وضع اليد عليه

---

١. المصدر: ١٠/ ٨.

٢. رسالة يعقوب: ٥/ ١٤ ـ ١٥.

من قبل من هو أعلى درجة منه في الكهنوت، وتعني منح البركة وهبة الرّوح القدّس، وتسليم وظيفة الخدمة، وذلك بعد وضع اليد مقرونة بالصّلاة لمنح هذه الموهبة الخاصّة، ويعتقدون أنّ هذا السّر قد وضعه المسيح نفسه، باختياره التّلاميذ والحواريّين.

ويتضمّن هذا الكهنوت درجات ثلاثة هي: الأسقف، الكاهن، الشّماس. وفي كلّ درجة مراتب، فالشّماس هو الخادم الّذي يقوم ببعض الأعمال إلى جانب الكاهن، والأسقف من خلال إدارة الصّلاة: القداس، في يوم الأحد مثلاً. وكذلك بعض الطّقوس الأخرى، والكاهن هو الّذي يقوم بإدارة أمور الكنيسة، والأسقف هو الّذي يتولى إدارة مجموعة الكنائس ويعتبر أعلى سلطة في الكنيسة، ومن بين الأساقفة يتمّ انتخاب البابا الّذي يعتبر الأسقف الأعظم.

وهناك طقوس أخرى غير وضع اليد تضاف إلى هذا السّر، فعند تنصيب (سيامة) الشّماس يتمّ تسليمه كتاب الأنجيل، وعند تنصيب الكاهن يتمّ مسح يديه بالزّيت المقدّس وتسليمه الأواني المقدّسة، والأسقف يتمّ تنصيبه بوضع الأنجيل على الرّأس ومسح الرّأس بالزّيت وتسليم الإشارات الأسقفية، وهي الخاتم والتّاج والعصا، وإن كانت في الفترة المتأخرة لم تعد هذه الطّقوس ضروريّة لصحّة التّنصيب.

ويشترط في بعض المذاهب المسيحيّة كالكاثوليك والأرثوذكس في تنصيب الأسقف والكاهن العزوبيّة، أي الالتزام بالحياة من دون زواج، ويعتبرونها علامّة للاقتداء بالمسيح عليه السلام الّذي عاش حياة العزوبيّة.

٧. سرّ الزّواج

تعتقد المسيحيّة إنّ الزّواج والأسرة من أهمّ المسائل في المجتمع البشري، ولذا فهي تؤكّد على ضرورته وأهميته، وقد أكّد العهد الجديد في تعاليمه على هذه الرّابطة المقدّسة، والّتي تعبر عن المحبّة، فقد جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس، قوله:

> كونوا خاضعين بعضكم لبعض في مخافة المسيح، فانتن أيّها النّساء إخضعن لرجالكنّ كما للرّب... وأنتم أيّها الرّجال، أحبوا نسائكم... لذلك يترك الرّجل أباه وأمّه ويلزم امرأته، فيصيران كلاهما جسداً واحداً[1].

ولا يكون الزّواج صحيحاً إلاّ بقبول العروسين بقولهما: نعم. الّتي تدلّ على الرّضا، ولم تصدر الكنيسة صيغة خاصّة بالزّواج إلاّ في العصور الوسطى، ولم تعمم هذه الصّيغة بوجه ملزم

١. رسالة بولس إلي أفسس: ٥/ ٢١ ـ ٣١.

لصحّة الزّواج إلاّ في المجمع التّريدنتيني ١٥٤٥ ـ ١٥٦٣م، ويجب على الزّوجين أن يؤمنان بأنّ هذا الزّواج سرّ من أسرار الكنيسة، وإلاّ لا يحقّ للكاهن إجراء صيغة العقد، وصيغة العقد هذه يقوم بإجرائها الكاهن، حيث يسأل الزّوجين عن رضا أحدهم بالآخر بعنوان زوج وزوجة إلى آخر العمر، فيقولان: نعم.

ومن خلال هذه الكلمة يُحرَزُ رضا الطّرفين بالزّواج، ويتمّ طلب الرّضا ثلاث مرّات من الزّوجين، ويجيبان ثلاث مرّات بكلمة نعم، وهناك اختلاف بين المذاهب المسيحيّة في هذا العقد، فالبروتستانت ـ وتبعاً لمارتن لوثر ـ يرون أنّه ليس من حقّ الكنيسة أن تضع قانوناً خاصّاً بالزّواج، وأسند عقد الزّواج إلى السّلطات المدنيّة وقوانينها ويعتبره زواجاً صحيحاً، ويكفي أن تقدّسه الكنيسة فقط، في حين يعتقد الكاثوليك بأنّ الزّواج باعتباره من أسرار الكنيسة، لا يكون صحيحاً إلاّ إذا تمّ عقده في الكنيسة، وقام به الكاهن.

والمسيحيّة ترفض مبدأ تعدّد الزّوجات، وأيضاً الطّلاق بين الزّوجين؛ لأنّه يعني فسخ الرّابطة المقدّسة بين الزّوجين، وفي وقتنا الحاضر أجازوا الطّلاق في حالات خاصّة، ولكن لا يجوز للمطلّق أو المطلّقة أن يرتبطان بالزّواج مرّة ثانية في الكنيسة، على اعتبار أنّ هذا السّر لا يجوز منحه إلاّ مرّة واحدة فقط.

المجامع الكنيسة

يمكن القول إنّ المسيحيّة دين تاريخي بامتياز، ونعني بالتاريخي أنّ العقائد الأساسيّة لهذا الدّين لم تؤسس على عهد عيسى عليه السلام بخلاف اليهوديّة والإسلام، فإنّ العقائد الأساسيّة لليهوديّة والإسلام أرسيت قواعدها في زمن موسى عليه السلام وخاتم النّبيّين محمّد صلى الله عليه وآله، بل ظهرت هذه العقائد الأساسيّة من خلال القوانين الّتي تمّ صياغتها في المجامع، ومن ثمّ أصبحت هي العقائد الرّسمية للكنيسة المسيحيّة إلى زماننا الحاضر.

والمجامع هي هيئات شورى للكنيسة، وقد رسم الرّسل نظامها في حياتهم، إذ كان أوّل مجمع عقدوه عام ٤٦ ميلادي في (أورشليم) برئاسة الحواري يعقوب الرّسول للنظر في ختان غير اليهود، ومن ثمّ عقدت الكنيسة المجامع على منواله، والتّسمية واردة من الأرض المسكونة، وقد عقدت مجامع كثيرة في القرون الأولى، وشهدها ممثلوا الكنائس من جميع الأقطار، وكان السّبب الرّئيسي لانعقادها ظهور مذاهب دينيّة

منحرفة عن تعاليم الكنيسة؛ ولذلك كان ينبغي للكنيسة الوقوف بوجهها، وإصدار القرارات بشأنها وبيان إنحرافها وضلال مبتدعيها.

والمجمع المسكوني يمكن تعريفه هكذا: إنّه مجمع حازت تحديداته وقوانينه القبول في المسكونة الأرض كلّها، وليس من الضّروري أن تكون أقطار العالم كلّها ممثلة فيه، أو أنّ أساقفتها قد دعوا إليه، بل كلّ ما يطلب لاعتبار المجمع مسكونياً أن يصير الاعتراف به في كلّ أنحاء العالم إنّه مجمع مسكوني.

وقد انعقدت عدّة مجامع عموميّة، ولم توصف بأنّها مسكونيّة؛ لأنّه لم يتمّ الاعتراف بها من قبل جميع الكنائس، فليس هناك إلاّ سبعة مجامع تعتبر مجامع مسكونيّة بلا منازع.

وفيما يلي أهمّ المجامع المسكونيّة والقرارات الّتي اتخذتها:

أوّلاً: مجمع (نيقية)

عقد عام ٣٢٥ م بأمر من الإمبراطور (قسطنطين) رداً على الآراء الّتي نادى بها (أريوس) في رفضه الأُلوهيّة المسيح، واعتباره نبي فقط، ويعدّ من أهمّ المجامع المسيحيّة قاطبة، حيث اتخذت فيه أخطر القرارات العقائديّة واللاهوتيّة، وكان قد حضره (أريوس) الرّافض الأُلوهيّة المسيح، والقائل بأنّه نبي وإنسان فقط، وبحضور القائلين بأُلوهيّة (المسيح) وبالتّثليث، وأصدر المجتمعون القرارات الّتي وضعت الأسّس للدّيانة المسيحيّة وأهمّها:

أ) القول بالتثليث وبأُلوهيّة المسيح، وأنّه تجسّد ونزل من السّماء ليصلب تكفيراً عن خطيئة البشر، وفيه تمّ صياغة قانون الإيمان الكنيسي المعروف بقانون الإيمان النّيقاوي، والّذي أصبح الأساس الّتي تعتمد عليه الكنيسة في إثبات أُلوهيّة المسيح وعقيدة التّثليث.

ب) اختيار الكتب المقدّسة من بين الأناجيل والرّسائل الكثيرة، الّتي كانت منتشرة في القرون الثّلاثة الأولى، وجمعها في كتاب سُمّي بالعهد الجديد، وأصبحت هذه الكتب هي الّتي تعتمد عليها الكنيسة في إثبات عقائدها، وأعطتها صفة القانونيّة، أي الأسفار المعترف بها بأنّها وحي إلهي، ورفض ما عداها من الرّسائل والأناجيل الكثيرة، الّتي كانت موجودة آنذاك.

وهناك قرارات أخرى كثيرة اتّخذت في هذا المجمع ترتبط بالقساوسة والرّهبان والقوانين الّتي يجب أن يراعيها الرّاهب والكاهن.

ثانياً: مجمع القسطنطينة الأوّل الّذي عقد عام ٣٨١ م

وهو المجمع المسكوني الثّاني، وقد عقد في مدينة القسطنطينيّة الّتي تعتبر العاصمة الشّرقيّة للإمبراطوريّة الرّومانيّة، وقد صدرت عن المجمع قوانين مهمّة، منها:

أ) إنّ روح القدّس إله مساوٍ لجوهر الأُلوهيّة للأب والابن، لأنّ هذا الأمر لم يقرّر في مجمع نيقية بشكل واضح.

ب) أكّد على أهمية بقاء قانون الإيمان، الّذي تمّ إقراره في مجتمع نيقية السّابق، والمخالف له يعتبر خارجاً عن تعاليم المسيحيّة والكنيسة الصّحيحة.

ج) أُعطي لأسقف القسطنطينيّين الأكرام بعد أسقف روما، حيث له الرّئاسة بعد أسقف روما.

د) تمّ الاعتراف بأنّ الأب، الابن، الروح القدس متساوون في الجوهر، وهي العقيدة الصّحيحة للكنيسة.

ثالثاً: مجمع أفسس ـ الأوّل عقد عام ٤٣١ م

وهو المجمع الثّالث، وقد عقد في مدينة أفسس وهي مدينة تقع حالياً في الغرب من تركيا، وقد زارها بولس وكتب إليها رسالة موجودة في أسفار العهد الجديد، وقد اتّخذت قرارات في هذا المجمع، منها:

أ) إنّ للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة.

ب) إنّ العذراء ولدت إلهاً، وهي لذلك تدعى (أم الإله).

ج) كان هذا المجمع رداً على حركة (نسطور)، ولذا فقد أكّد على أنّ من يرفض نسطور من زمرة الكهنوت يكون أوفر استحقاقاً، ومن يقبله يكون مرفوضاً.

رابعاً: مجمع خلقيدونية الّذي عقد عام ٤٥١ م

وهو من المجامع المهمّة، الّتي أيدت قرارات مجمع (أفسس الأوّل) في تكفير نسطور وأتباعه، ورفض قرارات مجمع (أفسس ـ الثّاني) المؤيد لنسطور وتعاليمه، وحضره الأساقفة والبابا وبطريرك (الإسكندريّة) ومعه أساقفته، ولما اشتد الخلاف داخل المجمع منع في اليوم الثّاني بطريرك (الإسكندريّة) وأتباعه من دخول المجمع بالقوة.

وقرّر المجتمعون القول بالطبيعتين والمشيئتين للمسيح عليه السلام أي الطبيعة الإلهيّة والإنسانية، ولمّا رفض البطريرك طلب الإمبراطور بالموافقة على القرارات العقائديّة المرتبطة بحقيقة المسيح عليه السلام نفاه الإمبراطور بعيداً عن (مصر) ومات منفياً، وظل أقباط (مصر) حتّى الآن يرفضون قرارات هذا المجمع.

خامساً: مجمع القسطنطنيّة ـ الثّاني الّذي عقد عام (٥٥٣ م)

وأيد قرارات مجمع (نيقية)، ومجمع (القسطنطنيّة ـ الأوّل)، ومجمع (خلقيدونيّة)، ولعن وطرد أصحاب الفكرة الّتي شاعت عن شخص المسيح بأنّه لم يكن حقيقة، بل خيالاً، ومن أهمّ قوانينه.

أ) ليكن محروماً كلّ من لا يعترف أن طبيعة أو جوهر الأب والابن والرّوح القدّس هو واحد، وهكذا القدرة والسّلطة، وكلّ من لا يعترف بثالوث متساوٍ في الجوهر، إله واحد مسجود له في ثلاثة أقانيم.

ب) ليكن محروماً كلّ من لا يعترف بأنّ كلمة الله ولد ولادتين: الولادة الأولى منذ الأزل من الأب لا تحصر في زمان، أو في جسد، والثّانية في الأيام الأخيرة؛ إذ نزل من السّماء وصار جسّداً من القدّيسة مريم والدة الإله.

ج) ليكن محروماً كلّ من يقول بأنّ كلمة الله الصّانع للعجائب، هو شخص وأنّ المسيح الّذي تألم هو شخص آخر.

د) كلّ من لا يدعو بنية صادقة القدّيسة مريم والدة الإله، بل معتقداً إنّها ولدت إنساناً عاديّاً، وأنّ الله الكلمة لم يتجسّد منها، وكلّ من يدعوها أم الإنسان، أو أم المسيح، كأن المسيح لم يكن الله، ليكن ملعوناً.

سادساً: مجمع (القسطنطنيّة ـ الثّالث) الّذي عقد عام ٦٨٠ م

وفيه قرّر المجمع أنّ (للمسيح) طبيعتين ومشيئتين بشكل نهائي وقطعي، ولم يضع شيئاً من القوانين، بل أكّد على هذه العقيدة في المسيح، وتكفير كلّ من لا يؤمن بهذه العقيدة.

سابعاً: المجمع النّيقاوي الثّاني سنة ٧٨٧ م

وهذا المجمع وضع قوانين أخلاقيّة وعباديّة إلى حدٍّ كبير، ولم يتطرق إلى المسائل العقائديّة

مدار الاختلاف، بل أكّد عليها فقط، ومن تلك القوانين:

أ) نرحب بالقوانين المقدّسة بكلّ سرور، ونطيع كلّ ما تفرضه تامّاً وبدون تغيير، سواء ما وضعه منها الرّسول، أو ما سنته المجامع المسكونيّه السّتة؛ لأنّ هؤلاء قد استناروا بالرّوح نفسه، هكذا فنحن نسقط كلّ من أسقطوره، ونضع تحت القصاص كلّ من وضعوه.

ب) من الأمور الواجبة، تلاوة المزامير، أو فرض تلاوتها، والتّأمل بأقوالها في فترات معينة؛ لذا توجب قراءة فصول من المزامير في فترات معينة من الوقت.

ج) لا يجوز بأي وجه للأسقف أن يخترع أعذاراً في سبيل ربح دنيء، ويفرض على الأساقفة، أو الرّهبان، الّذين هم تحت سلطته هدايا من ذهب أو فضة أو غير ذلك.

د) إن كلّ تنعم وتزيين للجسد لا يليق بأصحاب التّرب الكهنوتيّة، فالأساقفة الّذين يزدانون بالثّياب البهية اللافتة للأنظار يجب أن يصحلوا أمرهم، وإذا لم يعتدلوا يجب أن يفرض عليهم القصاص، ومثلهم الّذين يدهنون ويتعطرون.

عناوين مقترحة للبحث الدّرسي

١. مكانة الشّريعة في الأديان التّوحيديّة.

٢. الشّريعة في المسيحيّة الحاليّة.

٣. نظرة في دور بولس في الشّريعة المسيحيّة.

٤. الشّريعة المسيحيّة في القرآن الكريم.

٥. دور المجامع المسكونيّة في إرساء العقائد الأساسيّة في المسيحيّة.

مصادر الدّرس

١. العبادات في الأديان السّماويّة، عبد الرّزاق الموحي.

٢. مقارنة الأديان، أحمد الشّلبي.

٣. بحوث ممهّدة لدراسة تاريخ الأديان، محمّد عبد الله دراز.

٤. دراسات في اليهوديّة والمسيحيّة وأديان الهند، د.محمّد ضياء الأعظمي.

٥. مقارنة الأديان، محمّد أبو زهرة.

٦. دائرة المعارف الكتابيّة.

٧. تاريخ الكنيسة المفصل.

٨. المرشد إلى الكتاب المقدّس.

٦

المجيء الثّاني للمسيح

تمهيد

تتّفق الأديان التّوحيديّة الثّلاثة: اليهوديّة، المسيحيّة، الإسلام حول عقيدة المُنجي والمُصلح العالمي في آخر الزّمان، والّتي تعتبر من العقائد المهمّة والأساسيّة.

وعلى الرّغم من هذا التّوافق بين الدّيانات التّوحيديّة، إلاّ أنّ هناك اختلافاً في تفاصيل وجزئيات هذه العقيدة من دين لآخر، فاليهوديّة تعتقد بأنّ المنتظر الموعود هو من نسل إسحاق، ويسمّونه (المسيّا) أو (المسيح)، وهم ينتظرونه لتحقيق حلمهم في إعادة مجد مملكتهم الّتي وهبها الله لهم ـ كما يدّعون ـ وهي إقامة دولة إسرائيل الكبرى، ويتمسّكون ببعض نبوءات العهد القديم، وأهمّها النّبوءة المذكورة في سفر زكريا، وهي قوله:

> ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يابنت أُورشليم، هوذا ملك يأتي إليك، وهو عادل ومنصور ووديع وراكب على حمار...[1].

والمسيحيّة هي الأخرى تنتظر وبشوق كبير المجيء الثّاني للمسيح عليه السلام الّذي صرّح به المسيح نفسه في أسفار العهد الجديد، وقد أعطى علامات هذا المجيء وما سيحدث فيه، وأهمّ سفر تناول هذه الأحداث، هو سفر رؤيا يوحنّا الّذي يتحدّث عن آخر الزّمان بشيء من التّفصيل، وكلّ ذلك من خلال كلمات ورموز يصعب تفسيرها، أو فهمها بشكّل واضح. والمسلمون أيضاً يعتبرون هذه العقيدة من الأمور الضروريّة المتسالم عليها، وأنّه

---

١. سفر زكريا: ٩/ ٩.

لو لم يبقَ لهذه الدّنيا إلاّ يوم أو ساعة واحدة لأطال الله هذا اليوم والسّاعة حتّى يظهر المهدي الموعود ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، وفي هذا الدّرس سنتطرق إلى عقيدة المجيء الثّاني للمسيح، وآخر الزّمان، كما يعتقد بها النّصارى بشيء من التّفصيل.

أوّلاً: الادلّة على مجيء المسيح

إنّ عقيدة المجيء الثّاني للمسيح أو ما يسمّى في المسيحيّة: الرّجاء المبارك، يستدلّ عليها النّصارى من العهد الجديد بنصوص كثيرة، ولهم آراء ونظريات في مجيئه وكيفيته وفقاً للتفاسير المختلفة بين علماء الكتاب المقدّس حول تلك النّصوص:

١. من النّصوص الصّريحة على هذا المجئ ما ذكره سفر أعمال الرّسل، حيث يقول:

> وبينما هم ينظرون إلى السّماء تلاميذ المسيح وهو المسيح يبتعد عنهم، ظهر لهم رجلان في ثياب بيض، وقالا لهم: أيّها الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السّماء؟ يسوع هذا الّذي صعد عنكم إلى السّماء، سيعود مثلمّا رأيتموه ذاهباً إلى السّماء[1].

٢. وأيضاً النّص المذكور في إنجيل متّي، حيث يذكر:

> وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السّماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السّماء بقوة ومجد كثير[2].

ويشرح بشيء من التّفصيل كيفية المجيء، فيقول:

> وكما كانت أيّام نوح، كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان؛ لأنّه كما كان في الأيام الّتي قبل الطّوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوّجون إلى اليوم الّذي دخل فيه نوح الفلك، ولم يعلموا حتّى جاء الطّوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان[3].

٣. وأيضاً جاء في إنجيل مرقس حول مجيء المسيح، نقلاً عن المسيح قوله:

> وأمّا في تلك الأيام بعد ذلك الضّيق، فالشّمس تظلم، والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السّماء تتساقط، والقوات الّتي في السّماوات تتزعزع، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد[4].

---

١. سفر أعمال الرّسل، الإصحاح الأوّل: ١٠ ـ ١١.

٢. إنجيل متّي، الإصحاح: ٢٤/ ٣٠.

٣. إنجيل متّي، الإصحاح: ٢٤/ ٣٧ ـ ٤٠.

٤. إنجيل مرقس، الإصحاح: ١٣/ ٢٤ ـ ٢٦.

٤. ولوقا أيضاً ينقلُ في إنجيله عن المسيح، قوله:

كذلك أيضاً كما في أيام لوط كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون، ولكن اليوم الّذي فيه خرج لوط من سدوم، أمطرنا ناراً وكبريتاً من السّماء فأهلك الجميع، هكذا يكون في اليوم الّذي فيه يظهر ابن الإنسان، يعني نفسه[١].

٥. وأمّا في سفر رؤيا يوحنّا، فإنّه يذكر:

ها هو آت مع السّحاب، ستراه كلّ عين، حتّى عيون الّذين طعنوه، وتنتحب عليه جميع قبائل الأرض[٢].

فهذه النّصوص من العهد الجديد تثبت عقيدة المجيء الثّاني للمسيح في آخر الزّمان، وهناك آيات ونصوص أخرى تشير إلى هذه العقيدة المهمّة، يستدلون النّصارى من خلالها على حتمية هذا المجيء.

وهناك روايات تنقل عن النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله حول مجيء المسيح عليه السلام ونزوله إلى الأرض بعد ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، ومنها:

كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم[٣].

بل ويُشير صلى الله عليه وآله إلى نزول عيسى عليه السلام مع ذكر بعض التّفاصيل، حيث يقول صلى الله عليه وآله:

فبينما هو كذلك، إذ هبط عيسى بن مريم عليه السلام شرقي دمشق، عند المنارة البيضاء، بين مهرودتين ـ أي غيمتين ملونتين ـ ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ.. فيطلب الدجّال فيدركه بباب لدّ فيقتله[٤].

وأيضاً في حديث آخر يتحدّث عن اللّقاء، الّذي سيتمّ بين عيسى عليه السلام والإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه حيث يُنقل عنه صلى الله عليه وآله قوله:

والّذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً مُقسِطاً، وإمام النّاس يومئذ رجل صالح (الإمام المهدي عجل الله فرجه) فإذا كبّر لصلاة الصّبح وتهيأ للصّلاة نزل عيسى بن مريم عليه السلام، فإذا رآه عرفه، فيرجع يمشي القهقري ليتقدم عيسى بن مريم عليه السلام، فيضع عيسى عليه السلام يده بين كتفيه، فيقول له: صلّ، فإنّما أقيمت الصّلاة لك، فيصلّي عيسى عليه السلام وراءه[٥].

---

١. إنجيل لوقا، الإصحاح: ١٧/ ٢٨ ـ ٣٠.
٢. سفر رؤيا يوحنّا، الإصحاح: ١/ ٧.
٣. صحيح البخاري: ٤/ ٢٠٥.
٤. يوم الخلاص: ٢٨٩.
٥. صحيح مسلم ١: ٩٣.

وتكاد تعتبر مسألة رجوع المسيح إلى الأرض في آخر الزّمان من الأمور الّتي تتفق عليها جميع الفرق والمذاهب الإسلامية لكثرة الرّوايات بهذا الخصوص.

ثانياً: علامات مجيئه في العهد الجديد

هناك إشارات كثيرة في أسفار العهد الجديد وعلامات وآيات كثيرة تدلّ على زمان مجيء المسيح عليه السلام والأحداث الّتي ستقع قبل مجيئه، وقد أخبر المسيح نفسه كما تنقل الأناجيل عن بعض تلك الأحداث والعلامات، واشار المسيح إلى أن هذه العلامات هي مقدمات لمجيئه، ومن تلك العلامات:

١. حدوث الكوارث الطّبيعيّة والمجاعة والحروب

وهي من العلامات الّتي ذكرتها الأناجيل الثّلاثة في العهد الجديد نقلاً عن المسيح عليه السلام حيث يقول متى في إنجيله حول هذه العلامة:

> وفيما هو جالس على جبل الزّيتون، تقدم إليه التّلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدّهر؟ فأجاب يسوع وقال لهم: انظروا لا يضلّكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويضلّون كثيرين، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب، انظروا لا ترتاعوا... ؛ لأنّه تقوم أمّة على أمّة ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن، ولكن هذه كلّها مبتدأ الأوجاع[١].

وقد ذكر هذه العلامة مرقس ولوقا في إنجيلهما أيضاً مع بعض الاختلاف اليسير، وتكاد تتفق الفرق المسيحيّة على أنّها من العلامات المهمّة الّتي تشير إلى قرب المجيء الثّاني للمسيح عليه السلام.

٢. تدمير هيكل سليمان

وهذه العلامة تحدّث عنها المسيح مرّة واحدة من خلال ما نقلته الأناجيل، حيث ينقل متى في إنجيله:

ثمّ خرج يسوع ومضى من الهيكل، فتقدّم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل، فقال يسوع: أما تنظرون جميع هذه، الحقّ أقول لكم أنّه لا يترك هنا حجر على حجر لا ينقض...، فمتى

---

١. إنجيل متّى، الإصحاح: ٢٤/ ٣ ـ ٨.

نظرتم رجسة الخراب الّتي قال عنها دانيال النّبي قائمة في المكان المقدّس ليفهم القارىء، فحينئذ ليهرب الّذين في اليهوديّة إلى الجبال، والّذي على السّطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً، والّذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه[١].

والتأريخ ينقل لنا أن هيكل سليمان قد تمّ هدمه في عهد نيرون سنة ٧٠ ميلاديّة، وفي فترات زمنية أخرى، ولكن المسيح عليه السلام لم يظهر لحد الآن.

٣. الحوادث الكونيّة

حيث ينقل عن المسيح عليه السلام أن الشّمس والقمر ستظلم في آخر الزمان وكذلك يتحدّث عن سقوط النّجوم، حيث يذكر مرقس في إنجيله هذه الحوادث بقوله:

> وأمّا في تلك الأيام بعد ذلك الضّيق فالشّمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السّماء تتساقط، والقوات الّتي في السّماء تتزعزع، وحينئذ ينظرون ابن الإنسان آتياً في سحاب[٢].

وقد فسّر البعض هذه الحوادث بالكسوف والخسوف وكثرة حدوثهما في آخر الزّمان، وهو خلاف الظّاهر من النّص.

٤. ظهور المسحاء الكَذبة

وتعني هذه العلامة أنّ هناك أعداداً كبيرة ستظهر من الّذين يدّعون أنّهم أنبياء، وأنّهم المسيح المنتظر، وقد أخبر عنهم المسيح، كما تنقل الأناجيل عنه من أنّه «سيقوم مسحاء كذبة»[٣].

وقد أشار سفر أعمال الرّسل إلى ظهور البعض من هؤلاء الكذبة، فيقول:

> لأنّه قبل هذه الأيام قام ثوادس قائلاً عن نفسه أنّه شيء، الّذي التّصق به عدد من الرّجال نحو أربعمائة...، بعد هذا قام يهوذا الجليلي[٤].

ويذكر قاموس الكتاب المقدّس بخصوص المسحاء الكذبة، فيقول:

> قد ظهر بين اليهود أربعة وعشرون مسيحياً كاذباً، واشهرهم باركوكبة، الّذي عاش في أوّل القرن الثّاني، وآخر المسحاء الكذبة، الّذين اشتهروا بكثرة تابعيهم (مردخاي) وهو رجل ألماني ظهر سنة ١٨٦٢ م الّذي هرب ولم يُعثر له على خبر[٥].

---

١. المصدر: ٢٤/ ١٥ ـ ١٨.
٢. إنجيل مرقس، الإصحاح: ١٣/ ٢٤ ـ ٢٦.
٣. إنجيل متّى، الإصحاح: ٢٤/ ٢٤.
٤. سفر أعمال الرّسل، الإصحاح: ٥/ ٣٦ ـ ٣٧.
٥. قاموس الكتاب المقدّس، مادة: مسيح، ٧٢٣.

٥. يكون مجيئه بشكل مفاجيء

وهذه العلاّمة قد ذكرتها الأناجيل مرّات متعدّدة؛ لأنّ المسيح أكّد عليها مراراً، وتعني هذه العلامة أن هذا الظّهور والمجيء الثّاني يكون مفاجئاً وغير معلوم، فعندما سألوه التّلاميذ الحواريّون عن ذلك التاريخ لمجيئه، قال:

> وأمّا ذلك اليوم وتلك السّاعة، فلا يعرفها أحد، لا الملائكة الّتي في السّماء، ولا الابن، إلاّ الأب، فكونوا على حذر، وأسهروا وصلّوا؛ لأنّكم لا تعرفون متى يجيء الوقت[١].

ويفسر المسيحيون هذه العلامة بأنّه يجب أن يكون المؤمن دائماً على استعداد تام لنصرة المسيح عليه السلام والتّضحية في سبيل الحقّ.

فالمسيح لم يعط لتلاميذه تاريخاً محدّداً لمجيئه، بل أمرهم أن يكونوا على استعداد دائم لهذا المجيء، حيث يقول:

> اسهروا إذاً لأنّكم لا تعلمون في أيّة ساعة يأتي ربّكم، واعلموا هذا أنّه لو عرف ربّ البيت في أي هزيع يأتي السّارق لسهر، ولم يدع بيته يُنقب ـ يسرق ـ، لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين؛ لأنّه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان»[٢].

وهذا ما يؤكّد على أن مجيئه سيكون مفاجئاً، وفي وقت غير متوقع.

٦. معركة هَرْمَجِدّون

وتعتبر هذه العلامة من أهمّ العلامات على المجيء الثّاني للمسيح عليه السلام كما يعتقد النّصارى، وقد أشار سفر رؤيا يوحنّا إلى هذه المعركة، بقوله:

> ثمّ سكب الملاك السّادس جامه على النّهر الكبير الفرات فنشف ماؤه لكي يُعدّ طريق الملوك، الّذي من مشرق الشّمس، ورأيت من فم التّنين ومن فم الوحش، ومن فم النّبيّ الكذّاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع، فإنّهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم، وكلّ المسكونة، لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم، يوم الله القادر على كلّ شيء، ها أنا آتي كلص، طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عُرياناً فيروا عورته، فجمعهم إلى الموضع الّذي يُدعى بالعبرانيّة هرمجدّون[٣].

---

١. إنجيل مرقس، الإصحاح: ١٣/ ٣٢.
٢. إنجيل متّى، الإصحاح: ٢٤/ ٤٢ ـ ٤٤.
٣. سفر رؤيا يوحنّا، الإصحاح: ١٦/ ١٣ ـ ١٦.

ومن خلال هذا النّص وتفسير علماء وآباء الكنيسة له يعتقدون أنّ هناك معركة مصيرية تجري بين معسكر الخير ومعسكر الشّر، وممثّل الخير في هذه المعركة هو المسيح والملائكة والمؤمنون، وممثل الشّر هم ملوك الأرض والكفار، وهذه المعركة تدور رحاها على أرض فلسطين وبالتّحديد في هرمجدّون، وينقل سفر الرّؤيا أيضاً عن هذه الحرب الأخيرة:

> ورأيت الوحش وملوك الأرض وجيوشهم يتجمعون ليقاتلوا الفارس وجيشه، فوقع الوحش في الأسر مع النّبيّ الكذّاب الّذي عمل العجائب في حضور الوحش، وأضل الّذين نالوا سمة الوحش والّذين سجدوا لصورته، وألقوا الوحش والنّبيّ الكذّاب، وهما على قيد الحياة في بحيرة من نار الكبريت الملتهب، وهلك الباقون بالسّيف الخارج من فم الفارس، فشبعت جميع الطّيور من لحومهم[١].

والنّبيّ الكذّاب، هو الّذي سيأتي في آخر الزّمان ويشبه إلى حدٍّ ما تعبير الدجّال في التّراث الإسلامي.

وأمّا هرمجدّون فهي كلمة عبريّة مكونة من مقطعين أو لفظين: هَرْ، ومعناه: تل أو جبل، و(مجدّوا) وهو اسم: واد أو سهل صغير يقع شمال فلسطين. وقال البعض: هرمجدّون تل في فلسطين يشرف على وادي يزرعيل المشهور في التاريخ بموقعه الإستراتيجي الحربي، ويُقال: إنّ هرمجدّون تبعد ٢٠ ميلاً جنوب شرق حيفا[٢].

وهناك بحوث وكتب كثيرة تناولت هذه العلامة وزمان ومكان وقوعها، وقد اتّفقت جميع المصادر المسيحيّة والإسلاميّة على عنف هذه المعركة، فالمسيح يصرّح بأنّها معركة لا مثيل لها في التاريخ، حيث ينقل إنجيل متّى عنه عليه السلام:

> لأنّه يكون حينئذٍ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن، ولن يكون، ولو لمْ تقصَر تلك الأيّام لم يخلص جسد[٣].

ويطلق عليها سفر الرّؤيا: وليمة الله الكبرى، حيث يقول:

> ورأيت ملاكاً...، ينادي الطّيور الطّائرة بصوت عال قائلاً هلمي اجتمعي معاً إلى وليمة الله الكبرى، لكي تأكلي لحوم ملوك ولحوم قواد ولحوم أقوياء ولحوم خيل والجالسين عليها ولحوم الكلّ، حرّاً وعبداً وصغيراً وكبيراً[٤].

---

١. المصدر، الإصحاح: ١٩/ ١٩ ـ ٢١.
٢. قاموس الكتاب المقدّس كلمة: (هرمجدّون)، والتّفسير التّطبيقي للكتاب المقدّس: ٢٧٨٨.
٣. إنجيل متّى، الإصحاح: ٢٤/ ٢١.
٤. سفر رؤيا يوحنّا، الإصحاح: ١٩/ ١٨.

وينقل مسلم في صحيحه عن النّبيّ حول هذه المعركة قوله: «لا ير يمثلها» أو «لم يُر مثلها»[١]، وأيضاً يُنقل عن النّبيّ ﷺ قوله:

فيقتلون شهراً لا يكلّ لهم سلاح ولا لكم، ويقذف الطّير عليكم وعليهم، فإذا كان رأس الشّهر، قال ربّكم: اليوم أسلّ سيفي فانتقم من أعدائي، وأنصر أوليائي، فيقتلون مقتلة ما رئي مثلها قط، متى ما تسير الخيل إلاّ على الخيل، وما يسير الرّجل إلاّ على الرّجل[٢].

وأحاديث أخرى كثيرة جاءت في التّراث الإسلامي عن النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وأشار البعض إلى أنّ معركة بهذا الحجم في الدّمار والخسائر لا يمكن أن تكون إلاّ حرباً يستخدم فيها السّلاح النّووي.

ثالثاً: الحوادث الّتي ستقع بعد المجيء الثّاني

من خلال مطالعة آيات أسفار العهد الجديد يتبيّن أنّ المسيح عليه السلام عند مجيئه الثّاني يأتي بسلطان عظيم ومجد بهي، ومعه الملائكة، وأنّه سيجازي كلّ واحد بأعماله، فقد جاء في سفر رؤيا يوحنّا قول المسيح: «ها أنا آتٍ سريعاً ومعي الجزاء الّذي أجازي به كلّ واحد بأعماله»[٣]. وأيضاً تكون نهاية الدّجال على يديه، وكذلك كلّ الّذين يكونون مع الدّجال، سيهلكون ويكون النّصر للخير والأخيار.

وقد رود في أحاديث عن النّبيّ أنّ عيسى عليه السلام سينزل في نهاية الأيّام ليقتل الدجّال، والرّوايات بهذا الخصوص كثيرة، وهذا أيضاً ما يعتقده النّصارى، فقد جاء في تفسير هذا النّص من سفر رؤيا يوحنّا:

ثمّ رأيتُ السّماء مفتوحةً، وإذا فرس أبيض، والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً، وبالعدل يحكم ويحارب...، ورأيت الوحش وملوك الأرض وجنودهم مجتمعين ليصنعوا حرباً مع الجالس على الفرس ومع جنده، فقبض على الوحش والنّبيّ الكذّاب معه...، وطرح الاثنان حيّين إلى بحيرة النّار المتقدة بالكبريت، والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه[٤].

---

١. صحيح مسلم: ٢٥/ ١٨.

٢. كنز العمّال، حديث: ٣٩٦٥٢.

٣. سفر رؤيا يوحنّا، الإصحاح: ٢٢/ ١٢.

٤. سفر رؤيا يوحنّا، الإصحاح: ١٩/ ١١ ـ ١٢، وهذا السّيف: «سيف ماضٍ ذو حدين يخرج من فمه»، سفر رؤيا يوحنّا، الإصحاح: ١/ ١٦.

وهذا الوصف المذكور للفارس يطبقونه على عيسى المسيح عليه السلام، والنّبيّ الكذّاب هو الدجّال، الّذي يكون مع الوحش الشّرير.

وأهمّ الأعمال الّتي يعتقد النّصارى أنّه سيقوم بها عند مجيئه الثّاني هي:

أ) رفع المؤمنين إلى السّماء

إنّ المسيح بعد مجيئه وقتله الكذّاب الدجّال، سيقوم بخطف المؤمنين وإنقاذهم من هذه الأحداث والمعارك المهلكة، وهو ما يعرف بـ: عقيدة الاختطاف، بل وحتّى الموتى سيبعثون من قبورهم أحياء ويصعدون لمقابلة المسيح على السّحاب، والأحياء فيخطفون من الأرض إلى السّماء، ليبتعدوا عن الدجّال.

ويستدلون على هذه الواقعة بآيات من العهد الجديد، ومنها ما جاء في رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي:

> فإن كنا نؤمن بأنّ يسوع مات، ثمّ قام، فلذلك نؤمن بأنّ الّذين رقدوا في يسوع، سينقلهم الله إليه مع يسوع، ونقول لكم ما قاله الرّب، وهو إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرّب، لن نتقدم الّذين رقدوا؛ لأنّ الرّب نفسه ينزل من السّماء عند الهتاف ونداء الملائكة وصوت بوق الله، فيقوم أوّلاً الّذين ماتوا في المسيح، ثمّ نرفع معهم في السّحاب نحن الأحياء الباقين، لملاقاة الرّب في الفضاء[1].

فهذه الآيات صريحة في أنّ المؤمنين بالمسيح سيرفعون إلى السّماء.

ب) الألفيّة السّعيدة

وهذه من أهمّ الأماني الّتي ينتظر المسيحيون تحققها بعد مجيء المسيح الثّاني، وقضائه على الأشرار والكذبة، وهي أنّ العالم سيعيش فترة عدل وسلام ورفاهيّة، تستمر مدّة ألف عام، ويستدلون على ذلك بالنّص الوارد في سفر رؤيا يوحنّا، وهو:

> ورأيت عرشاً، جلس عليه الّذين أعطوا سلطة القضاء، ورأيت نفوس الّذين سقطوا قتلى في سبيل الشّهادة ليسوع، وسبيل كلمة الله، فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة[2].

وهذه الفترة هي فترة الألف عام من السّلم والخير الكثير، أي الجنّة الأرضيّة، ويعتقد البعض

---

١. رسالة بولس إلي أهل تسالونيكى الأولي، الإصحاح: ٤/ ١٤ ـ ١٧.

٢. سفر رؤيا يوحنّا، الإصحاح: ٢٠/ ٤.

بأنّها القيامة الأوّلى وهي قيامة لأجساد المؤمنين الّذين ماتوا قبل مجيئه، ليملكوا وكذلك معهم المؤمنون الأحياء، وأمّا عن هذه الفترة ففي سفر أشعيا بعض أوصافها، والّتي تشبه إلى حدّ كبير ما ذكر في التّراث الإسلامي من روايات تتحدّث عن فترة ما بعد ظهور الإمام المهدي‹عج›، حيث يقول اشعيا:

ويخرج قضيب من جذع يَسَّى، وينبت غصن من أصوله ويحلّ عليه روح الرّب...، ولذته تكون في مخافة الرّب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أُذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بانصاف لبائسي الأرض...، فيسكن الذّئب مع الخروف، ويربض النّمر مع الجدي، والعجل والشّبل والسّمن معاً، وصبي صغير يسوقها، والبقرة والدبّة[1] ترعيان، تربض أولادهما معاً، والأسد كالبقر يأكل تبناً، ويلعب الرّضيع على سرب الصِّلّ، ويمد الفطيم يده على جُحر الأفعوان[2].

وجاء أيضاً في سفر أشعيا قوله:

لا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه، لا يتبعون باطلاً، ولا يلدون للرعب؛ لأنّهم نسل مباركي الرّب وذريتهم معهم، الذّئب والحمل يرعيان معاً، والأسد يأكل التّبن كالبقر، أما الحية فالتّراب طعامها[3].

وقد وردت روايات كثيرة تتطابق مع هذه الأوصاف الّذي ذكرتها الأسفار، منها ما ورد عن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب‹ع›، حيث قال:

يملك المهدي مشارق الأرض ومغاربها، وترعى الشّاة والذّئب في مكان واحد، ويلعب الصّبيان بالحيّات والعقارب ولا تضرهم شيء، ويذهب الشّر ويبقى الخير[4].

وهذا يطابق إلى حد ما هو مذكور في الكتاب المقدّس، ولكن من دون ذكر المدّة لهذه الحياة الآمنة.

ويُنقل عن الإمام الحسن‹ع›، قوله:

تصطلح في ملكه السّباع، وتخرج الأرض نبتها، وتنزل السّماء بركتها، وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين، فطوبى لمن أدرك أيامه سمع كلامه»[5].

---

١. أي: الدُّب.

٢. سفر أشعيا، الإصحاح: ١١/ ١ ـ ٩، والأفعوان: ذكر الأفعى، و هو الحيّة الخبيثة السّامة.

٣. سفر أشعيا، الإصحاح: ٦٥/ ٢٠ ـ ٢٥.

٤. يوم الخلاص: ٣١٧.

٥. بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٨٠.

ولا يذكر المدّة أيضاً. ونقل صاحب كتاب بشارة الإسلام عن ابن عباس، قوله:

لا يبقى صاحب ملّة إلاّ صار إلى الإسلام، حتّى تأمن الشّاة من الذّئب والإنسان من الحية، وحتّى لا تقرض الفأرة جراباً، وذلك عند قيام المهدي[1].

وعن الإمام الصّادقعليه السلام، أنّه قال:

إذا قام (المهدي) حكم بالعدل، وارتفع في أيامه الجور، وأمنت السّبل وأخرجت الأرض بركاتها ورد كلّ حقّ إلى أهله[2].

وأيضاً عنهعليه السلام:

تأمن السّبل حتّى تمشي المرأة بين العراق والشّام لا تضع قدميها إلاّ على النّبات، وعلى رأسها زينتها، ولا يهيجها سبع ولا تخافه[3].

وهذه الرّوايات كلّها تتفق على أنّ هناك فترة من الزّمن تعيشها البشريّة بأمان وسلام ورفاهية لم تعشها من قبل، ولكن من دون ذكر هذه الفترة.

ويعتقد النّصارى أنّ عيسى بعد مجيئه الثّاني وبعد إنقضاء هذه الفترة، الّتي يسمّونها بالألفيّة السّعيدة، تكون القيامة والدّينونة والحساب، حيث يقول يوحنّا في سفر الرّؤيا:

ثمّ رأيت عرشاً عظيماً أبيضاً، والجالس عليه الّذي من وجهه هربت الأرض والسّماء، وما بقي لهما أثر الأرض والسّماء ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله، وانفتح الكتب، وانفح كتاب آخر هو كتاب الحياة، وعوقب الأموات مثلما في الكتب، كلّ واحد بأعماله[4].

وهذه الأحداث الّتي ذكرتها الآيات، والّتي ستقع بعد الفترة الذّهبيّة، قد يُستفاد منها يوم القيامة ونهاية العالم، وإذا كان كذلك فإنّها تتطابق مع القرآن الكريم في وصفه لنهاية العالم، ومجيء يوم القيامة والحساب.

---

١. بشارة الإسلام: ٢٧٩.
٢. بحار الأنوار: ٥٢/ ٣١٦.
٣. المصدر: ٥٢/ ٣١٦.
٤. سفر رؤيا يوحنّا، الإصحاح: ٢٠/ ١١ ـ ١٣.

عناوين مقترحة للبحث الدّرسي

١. عقيدة المُنجي في المسيحيّة.

٢. آخر الزّمان في المسيحيّة والإسلام نقاط الاشتراك والاختلاف.

٣. الأمارات والعلامات لمجيء المنجي في المسيحيّة والإسلام.

٤. الأحداث بعد مجيء المنجي في المسيحيّة والإسلام.

٥. مهمّة عيسى عليه السلام في آخر الزّمان بين المسيحيّة والإسلام.

مصادر الدّرس

١. قاموس الكتاب المقدّس.

٢. المرشد إلى الكتاب المقدّس.

٣. معجم اللاّهوت الكتابي.

٤. المسيح الموعود والمهدي المنتظر، يوسف محمّد عمرو.

٥. المسيح المنتظر ونهاية العالم، عبدالوهاب عبدالسّلام طويلة.

٦. المهدي المنتظر بين الدّين والفكر البشري، د.محمّد طي.

٧. المهدي والمسيح، باسم الهاشمي.

٨. نهاية صراح الأديان بظهور المهدي في آخر الزّمان، محمّد محمود المندلاوي.

٧

الفِرَقُ المسيحيّةُ

تمهيد

لم يكن العالم المسيحي القديم يعرف سوى كنيسة مسيحيّة واحدة، ولم تنقسم الكنيسة إلى فرق وشيع إلاّ نتيجة لإنقسام الإمبراطوريّة الرّومانيّة إلى شرقيّة وغربيّة، ولهذا يقول البعض إنّ أسباب تقسيم الكنيسة في الأصل سياسيّة قبل أن تكون دينيّة عقائديّة، وإن كان هناك ومنذ رفع المسيح عليه السلام اختلافات بين العلماء أدّى بشكل وبآخر إلى بروز بعض الاتجاهات الفكريّة والدّينيّة والعقائديّة، وبالتّالي إلى ظهور فرق مسيحيّة مختلفة، ولكن هذه الفرق والآراء سرعان ما ذابت واضمحلت أمام قوانين الكنيسة، ولا سيّما منذ القرن الرّابع الميلادي.

وكان للمجامع المسكونيّة دور كبير في انشقاق الكنيسة، وذلك من خلال القوانين العقائديّة الّتي كانت تقرّرها، فكان يقبلها فريق ويرفضها آخر، وبذلك نشأت فرق ومذاهب عقائديّة كثيرة، ولكن الحدث المهم في التّباعد بين الكنيسة المسيحيّة، كان نتيجة النّفور بين كنيسة روما والقسطنطينيّة، والّذي بدأ من القرن الخامس الميلادي وأزداد رويداً رويداً، ممّا أدّى إلى انفصال نهائي بينهما وذلك في سنة ١٠٥٤م، ويسمّى بالانشقاق العظيم، حيث انفصل الشّرق اليوناني عن الغرب اللاتيني بشكل تامّ، وينقل عن سبب هذا الانفصال إنّ الكاردينال هومبرتو ـ الّذي كان السّاعد الأيمن لبابا روما، والمشهور بكراهيته للكنيسة اليونانيّة ـ وصل إلى مدينة القسطنطينيّة لغرض التّفاوض مع الكنيسة الشّرقيّة، وبعد مفاوضات حادّة بينهما

انتهت إلى إعلان الكاردينال إنّ كنيسة القسطنطينيّة متمردة، وإنّها خارجة عن طاعة البابا في روما، ودخل كنيسة آيا صوفيا، وتعني: الحكمة الإلهيّة، ووضع قرار حرمانها على مذبح الكنيسة، وهي علامة على تمردها.

وكانت هناك أسباب عقائديّة وغيرها تعتبر من أهمّ نقاط الاختلاف بين الكنيستين، ومنها على سبيل المثال الحقوق البابويّة، وأيضاً مشكلة الخبز في العشاء الرّباني، هل يجب أن يكون مختمراً أو لا؟ وبذلك نشأت الكنيسة الغربيّة والّتي تسمّى أيضاً بالكاثوليك، والكنيسة الشّرقيّة والّتي تسمّى بالارثوذكسيّة، وفي القرن السّادس عشر ظهرت حركة إصلاحيّة في الكنيسة الكاثوليكيّة عرفت بالبروتستانت، وهنا سنشير إلى أهمّ هذه الفرق الموجودة حالياً في العالم المسيحي، وهي:

أوّلاً: الكاثوليك

أصلها من كلمة: KATHOLIKOS اليونانيّة بمعنى العام أو العالمي، أي: أنّ الكاثوليكيّة هي الدّيانة المسيحيّة العالميّة، وأنّ هذه هذه الفرقة هي الكنيسة العامّة الّتي يجب أن تخضع لها بقية الكنائس، وينسب إلى هذه الفرقة عامّة المسيحيّين في الغرب، لذا تسمّى كنيستها الكنيسة الغربيّة أو اللاتينيّة أو البطرسيّة، نسبة إلى بطرس وصي عيسى عليه السلام. وهذه الفرقة ترى نفسها وارثة لبطرس، وتتبع النّظام البابوي، والبابا[١]: هو المشرّع بعد عيسى عليه السلام، وجميع بابوات روما خلفاؤه. والبابا في نظر الكاثوليكيّين معصوم لا يصدر عنه الخطأ، فإرادته إرادة إلهيّة، وأوامره أوامر إلهيّة يجب اتّباعها بدون مناقشة. وكلمة البابا مأخوذة من أصل كلمة: POPE اللاتينيّة، ويقال في اليونانيّة: بتريارك PATRIARCH.

وفي عام ٤٢٥ م كان عدد البابوات في العالم المسيحي خمسة: أربعة منهم في الشّرق. وهي القسطنطينيّة، وأورشليم، وأنطاكية، وإسكندريّة، والخامس في روما.

ولما ضعفت الكنائس الشّرقية لأسباب عدة زاد نفوذ كنيسة روما حتّى صار البابا فيها ممثلاً لجميع الكنائس المسيحيّة، بحجة أنّه مجاور لمقبرة الوصي بطرس، الّذي قتل في روما، ويعتبر

١. تدرج الألقاب الكهنوتيّة على النّحو التّالي:
١ـ شماس، ٢ـ قسيس، ٣ـ أسقف، ٤ـ مطران، ٥ـ بطريرك، ٦ـ بابا. والبابا هو صاحب السّلطة العليا في المسيحيّة، كما ذكرنا سابقاً.

البابا التّلميذ الأكبر للمسيح على الأرض، وكأن المسيح بعد رفعه جعله في مقامه لتوضيح وتفسير العقيدة والشّريعة، ورئيس هذه الكنيسة في الوقت الحاضر هو رئيس دولة الفاتيكان.

والبابا من حقّه نسخ الشّريعة، وله أن يُلغيَ جميع الأحكام المذكورة في العهدين القديم والجديد، ومن واجبات البابا إرسال المبشرين إلى أقطار العالم. وكان من حقّ البابا في القرون الوسطى إصدار صكوك الغفران من الذّنوب، ما مضى منها وما هو آتٍ، فإذا أراد البابا أن يجمع مالاً لأمر من أمور الدّين يطبع الصّكوك ويوزّعها على أتّباعه لبيعها كما تُباع الأسهم في الشّركات.

ونُقل عن البعض نموذجاً عن صك الغفران، وهذا نصّه:

> ربّنا يسوع المسيح يرحمك يا... ـ يكتب اسم الّذي سيغفر له ـ ويحللك باستحقاقات آلامه الكلية القدسيّة، وأنا بالسّلطات الرّسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطّائلات الكنيسيّة الّتي استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذّنوب الّتي ارتكبتها، مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كلّ علّة وإن كانت محفوظة لابننا الأقدس البابا، وللكرسي الرّسولي، وأمحو جميع أقذار الذّنوب وكلّ علاّمات الملامة الّتي ربّما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة. وأرفع القصاصات الّتي كنت تلتزم بمكابدتها في المظهر باسم الأب والابن والرّوح القدّس[1].

أهمّ العقائد

هناك عقائد تنفرد فيها هذه الفرقة عن الفرق الأخرى، منها:

١. تُؤمن هذه الفرقة بأنّ روح القدّس انبثق من الله الأب والابن معاً، بخلاف الأرثوذكس.

٢. تعتقد هذه الكنيسة بالمساواة الكاملة بين الإله الأب والإله الابن في الطبيعة والجوهر الإلهي، مثل بقيّة الفرق، ولكن تختلف معها في تفسير وبيان هذه المساواة.

٣. تعتقد هذه الكنيسة بأنّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين، يعني: اللاهوتيّة والنّاسوتيّة.

٤. يعتقد هؤلاء بوجود جحيم صغير بمكان في قلب الأرض، تحترق فيه الأنفس الّتي ارتكبت في حياتها خطيئة، حتّى تنتقي من أوزارها، وتصبح أهلاً للدّخول في الفردوس السّماوي.

---

١. كتاب دراسات في المسيحيّة: ٤٦٩.

٥. إن صلوات آباء الكنيسة والكهنة ترفع العذاب عن النّفوس المتألمة، ومن هنا نشأت عقيده الغفران، وهي: أنّ ممثّلي الكنيسة قادرون على تخليص الأرواح الهالكة في العذاب بالدّعاء لها والصّلاة عليها.

٦. الاعتراف، وهو أن يبوح الإنسان لقسّيس بما فعل من آثام، ثمّ يظهر له النّدم ويؤكّد له عدم العود إليها، فيقبل القسّيس منه ذلك ويدعوه إلى ترتيل بعض الأدعية والصّلوات لمغفرة الذّنوب يحدّدها الكاهن وهذه العقيدة لم تكن معروفة في أوائل النّصرانيّة، بل جعلت أمراً إجباريّاً في الصّلاة، وذلك في المجتمع الثّاني عشر سنة ١٢١٥ م، وتقرّر فيه أنّ البابويّة تملك حقّ الغفران وتمنحه لمن تشاء.

٧. تحرم الكنيسة الكاثوليكيّة الطّلاق تحريماً باتاً، ولا تبيح فسخ الزّواج لأيّ سبب مهما عظم شأنه، ولا تسمح للمطلّق من الزّوجين أن يتزوّج شرعاً مرّة أخرى.

وتعتبر روما عاصمة العالم المسيحي الغربي الكاثوليكي، تلك المدينة التاريخيّة الّتي تقع على ضفاف نهر التّيبر، وتضم بين جنباتها الفاتيكان[1] مركز الرّئاسة الدّينيّة لبابا روما، الّذي يدين بالولاء له أكثر من مليار مسيحي كاثوليكي في العالم.

---

١. هي أصغر دولة في العالم، تقلّ مساحتها عن نصف كيلومتر مربع، أنشأت سنة ١٩٢٩ م، في عهد موسيليني، بناءً على اتّفاقيّة مع الحكومة الإيطاليّة. وبموجب الاتّفاقيّة تكون كاتدرائيّة القدّيس بطرس مقرّ للبابا، وتكون دولة الفاتيكان ذات سيادة مطلقة، وتمارس كلّ سلطاتها كدولة، وأبرزها تبادل التّمثيل الدّبلوماسي. وقبة الفاتيكان الّتي تبلغ مساحتها ٥٢٠ متراً مربعاً، هي أعلى وأشهر قمة في مدينة روما، صمّمها الفنان الشّهير **مايكل أنجلو** سنة ١٥٤٧ م، لتعلو كنيسة القدّيس بطرس، وزيّنها بمجموعة من الصّور الرّائعة في ثلاث مجموعات، الأولى تصوّر موضوعات متّصلة بخلق الكون، والثّانية تصوّر خلق آدم وحواء، والطّرد من الجنة، والثّالثة تتناول قصّة نوح والطّوفان. وكذلك تمثال الرّحمة الشّهير في مدخل الكنيسة، وهو تحفة فنية رائعة، قام بنحتها وعمره آنئذ ٢٥ عاماً. وصمم الميدان الفنان برنيني على شكل نصف دائرة تضمّ ٢٨٤ عاموداً من الطّراز اليوناني، ارتفاع كلّ منها ١٩ متراً. وفوق السّطح القائم على هذه الأعمدة، وكذلك الكنيسة هناك ١٤٠ تمثالاً ارتفاع كلّ منها ٣/٢ متراً.

وتحاط دولة الفاتيكان بأسوار عالية تتخلّلها بوابات ضخمة يحرسها حراس سويسريون بملابسهم التقليديّة المميّزة. ويبلغ عدد سكان الفاتيكان ٩٠٠ شخص كلّهم من رجال الدّين، وتسير الحياة اليوميّة فيها من خلال مجموعة هيئات أشبه بوزارات. ورئيس الوزراء يُسمّى سكرتير الدّولة. وتضمّ الفاتيكان محكمة ومكتبة شهيرة تعدّ من أهمّ مكتبات العالم، ومتحف شهير يضمّ أعمالاً لا تُوجد في غيره من متاحف العالم. ويتبع الفاتيكان خمس جامعات، ١٢ معهداً في إيطاليا، إلى جانب الكثير من الجامعات الكاثوليكيّة في العالم. وتمتلك الفاتيكان أيضاً قناةً تليفزيونيةً، ومحطّة إذاعة، ومسرح كبير، ويصدر عنها جريدة ناطقة باسم الفاتيكان تسمّى: لوبزير فاتور رومانو.

وبابا الفاتيكان الحالي هو: البابا بندكيت السّادس عشر، ورقمه: ٢٦٤ من باباوات روما.

وينتشر الكاثوليك في كلّ أنحاء العالم تقريباً، ومركزهم الأساسي أوربا الغربيّة، مثل: إيطاليا، وألمانيا وبلجيكا، وكذلك لها أتباع في كلّ من أمريكا وآسيا.

ثانياً: الأرثوذكسيّة

وهي كلمة يونانيّة مركبة من كلمتين إحداهما: ORTHOS، بمعنى: الحقّ، والثّانية: DOXA بمعنى: المذهب؛ يعني: المذهب الحقّ: وتُسمّى كنيستهم: الكنيسة الشّرقية أو اليونانيّة؛ لأنّ أكثر أتباعهم من الرّوم الشّرقيّين ومن البلاد الشّرقيّة. وقد انفصلت هذه الكنيسة عن الكنيسة الكاثوليكيّة في عام ١٠٥٤م، وهي تتبع نظام الأكليروس، ويبدأ من البطريرك وينتهي إلى القساوسة.

وأتباع هذه الفرقة منتشرون في الشّرق، وفي: بلاد اليونان، وتركيا، وروسيا، ولهم في الوقت الحاضر تسعة بطاركة: بطريرك في القسطنطينيّة، وهو أكبرهم. والثّاني: بطريرك الإسكندريّة. والثّالث: بطريرك إنطاكية. والرّابع: بطريرك أورشليم. والخامس: بطريرك روسيا. والسّادس: بطريرك صربيا. والسّابع: بطريرك رومانيا. والثّامن: بطريرك بلغاريا. والتّاسع: بطريرك جورجيا. ولها ستّة كنائس مستقلة هي: قبرص و اليونان، وتشيكوسلوفاكيا (سابقاً)ـ، بولندا و البانيا و جبل سيناء.

أهمّ العقائد

تنفرد هذه الفرقة أيضاً بعقائد خاصّة بها، منها:

١. تذهب هذه الكنيسة إلى أنّ روح القدّس منبثق عن الأب وحده.

٢. تبيح الكنيسة الأرثوذكسيّة الفصل بين الزّوجين في حالة الخيانة الزّوجية، مع تحريمها الزّواج بين المطلّق والمطلّقة.

٣. ترى الكنائس الأرثوذكسيّة أنّ للمسيح طبيعة واحدة، وهي الطّبيعة الإلهيّة، وهذه العقيدة تعني أنّ هناك اتّحاداً بين الطّبيعة البشريّة واللاهوتيّة، في حين تُدعى الكنائس الأخرى بأنّ للمسيح طبيعتان، طبيعة إلهيّة؛ لأنّه ابن الله، وطبيعة ناسوتيّة من النّاسوت؛ لأنّه ابن إنسان، فاجتمع فيه اللاهوت والنّاسوت.

٤. تعتقد هذه الفرقة إنّ للمسيح مشيئة وإرادة واحدة تبعاً لطبيعته الواحدة، بخلاف الكاثوليك.

ثالثاً: البروتستانت (المعارضون)

كانت النّصرانيّة تتهيّأ لإصلاح ديني عامّ على نطاق واسع تخلصاً من إفراطات الكنيسة منذ القرن الثّاني عشر.، فظهرت عدّة جماعات في كثير من البلاد المسيحيّة كلّها كانت متأثرة بروح الانشقاق على الكنيسة الرّومانيّة، ولا سيّما في بدايات القرن السّادس عشر، حيث ظهرت في إيطاليا حركة عرفت باسم حركة الأدب الإنساني، وانتشرت في أغلب مناطق أوربا. وكانوا يتوقّون إلى دين أكثر روحانيّة وإنسانيّة بعد ما شاهدوه من ممارسات البابوات والكهنة في الكنيسة، ومظاهر الأبهة الّتي كانوا يعيشونها، ومن هنا نشأ الانفصال عن كنيسة الكاثوليك وبابا روما.

وقد قُويت شوكة المصلحين المسيحيّين في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، وتبعهم خلق كثير إلى أن ظهر مارتن لوثر في ألمانيا، وكان ولد في عام ١٤٨٣ م من أبوين فقيرين، ولكن أباه أجهد نفسه، ومكّن له أن يكون قانونيّاً فأرسه إلى الجامعة، إلاّ أنّه لم يجد من نفسه رغبة كافية في متابعة هذه الدّراسة، لشدّة ميله إلى دراسة اللاّهوت، ثمّ سيطرت عليه نزعة دينيّة، وكان شديد الورع، فأخذه رجال الكنيسة ووضعوه تحت رعايتهم فانخرط في سلك الرّهبنة سنة ١٥٠٥ م، ونال شهادة الدّكتوراة في اللاّهوت، ثمّ عين مدرّساً للكتاب المقدّس والفلسفة في سنة ١٥١٣ م.

وقد دفعته النّزعة الدينيّة لأن يذهب إلى روما للحجّ، لقد توقّع أن يرى النّسك والعبادة والزّهد والتّعفف، فوجد مدينة روما المقدّسة غارقة في اللهو، ورجالها منغمسين في الرّذيلة، زاعمين أنّ بيدهم مفاتيح الملكوت في السّموات والأرض، وأنّهم يملكون قبول التّوبة فيغفرون لمن يشاءون ما يشاءون، فبدأ يعلن براءته من تصرّفات رجال الكنيسة، ويدعو إلى إنكار عصمة البابا وحقّه في إصدار صكوك الغفران، ويقول: إنّ أحداً من الخلق مهما بلغ من القدّسيّة لا يملك حقّ الغفران لأحد، ولا أن يستر له ذنباً قد ارتكبه.

وكان قد صرّح سنة ١٥١٩ م، بقوله: أكاد لا أشكّ في أنّ البابا هو المسيح الدجّال[١]. ولم تكن الكنيسة صامتة، فطلبته للمحاكمة لتجاسره على البابا، فلم يحضر للمحاكمة أمامه، فاصدر البابا قراراً بحرمانه من جميع المناصب الدّينيّة، وكذلك أصدر الإمبراطور قراراً سنة

---

١. كتاب الكنائس الشّرقيّة وأوطانها: ٣٥.

١٩٢٠ م، بحرمانه من جميع الحقوق المدنيّة، فاشتد غضب لوثر على تصرفات البابا، وأخذ كتاب الحرمان وألقاه في النّار أمام حشد من مناصريه، وبدأ ينادي بالجهاد ضد استبداد الكنيسة علناً، ومن هنا سمّيت هذه الفرقة البروتستانت، أي: المعارضين. وبعد ذلك أنتشرت في أماكن كثيرة، وأنشات كنائس جديدة، سمّيت فيما بعد: الكنائس البروتستانتيّة.

وتتلخّص تعاليم لوثر في التّأكيد على أنّ الكتاب المقدّس هو المصدر الوحيد للإيمان المسيحي، وبذلك نبذ التّقليد للبابا أو غيره من العلماء، ورفض تعليم الكنيسة عن المطهر، وضرورة البتوليّة والعزوبيّة للكهنة، والنّذور للرّهبان، ولم يبقَ من الأسرار السّبعة سوى التّعميد والعشاء الرّباني أو ما يسمّى بالتّناول.

وقد أصدر في سنة ١٥١٧م، نشرة من ٩٥ بنداً أدرج فيها هذه الاعتراضات على الكنيسة الكاثوليكيّة، وأهمّ انتقاد له كان على صكوك الغفران، الّتي اعتبرها تشكل خطراً على إيمان المسيحيّين وتقواهم، وقد نشر أفكاره في ثلاثة مؤلفات هي: نداء إلى الأشراف المسيحيّين في الأمّة الألمانيّة، وكتاب: أسرار الكنيسة في بابل، وكتاب حريّة المسيحي.

واشتهر الشّعار الّذي رفعه لوثر في أرجاء أوربا وهو: الخلاص يتمّ بالإيمان وحده دون أيّة علاقة بالأعمال الصّالحة، والّذي أصبح شعار الكنيسة البروتستانتيّة إلى يومنا هذا.

أهمّ العقائد

١. ليس لأيّ كنيسة سلطان على كنيسة أخرى، فكلّ كنيسة حرة في رئاستها وتصرفاتها وربطها بالكنيسة المركزيّة هو بمثابة ربط الإدارات بالوزارة.

٢. الكتاب المقدّس هو المصدر الوحيد للإيمان المسيحي الصّحيح.

٣. يجوز لكلّ مسيحي أن يدرس الكتاب المقدّس ويفهم معانيه بعد الحصول على القواعد الأساسيّة لمعرفة الكتاب المقدّس.

٤. ليس للكنيسة أو للبابا حقّ الغفران، إذ هذا من اختصاص الله وحده، وعملية بيع صكوك الغفران مخالفة لتعاليم المسيح.

٥. أنكر أنّ المسيح يحلّ في بدن كلّ من يأكل العشاء الرّباني، كما أنكر استحالة الخبز إلى جسد المسيح، والخمر إلى دم المسيح، واكتفى بكون العشاء الرّباني تذكيراً لما قام به المسيح من فداء للخليقة، فهو يحمل المعنى المجازي لا الحقيقي الواقعي.

٦. تنكر هذه الفرقة جميع ما تقيمه الكنائس الأخرى للسيّدة مريم أمّ المسيح من طقوس واحتفالات وعبادات وأعياد، وترى أنّ كلّ هذه التعاليم جديدة في تعاليم المسيحيّة.

٧. عدم جواز إقامة الصّور والتّماثيل في الكنائس؛ إذ هي من مظاهر الوثنية الّتي حاربتها الكنيسة الأولى.

٨ عدم الصّلاة بلغة غير مفهومة، لأنّ الصّلاة دعاء من العابد للمعبود، وانصراف القلب إليه، فوجب أن تكون بألفاظ يفهما المؤمن فهي تجوز بأيّ لغة كانت.

٩. الخضوع لبعض قرارات المجامع المسكونيّه ورفض بعضها، وكان المصلحون ينظرون من جديد إلى قرارات المجامع وإسنادها وقيمتها الدينيّة، ويزنوها بميزان الكتاب المقدّس، فما وافقه يأخذون به، وما خالفه يرفضونه.

١٠. لا تختلف هذه الفرقة عن غيرها في عقيدة التّثليث، وأُلوهيّة المسيح وبنوته وصلبه وقيامته وتكفيره عن خطيئة البشر الأزليّة الّتي ارتكبها آدم.

وقد انتشرت الفرقة البروتستانيّة في كثير من البلاد الأوربيّة، ومنها: إنجلترا، وألمانيا، والدّانمارك، وسويسرا، وهولندا، والنّرويج، والولايات المتّحدة الأمريكيّة. ونظراً لإمكانياتها الهائلة بدأت تغزو كثيراً من معاقل الكاثوليكيّة في آسيا وأفريقيا، والصّين، واليابان، ولهم مبشّرون في البلاد الإسلاميّة.

رابعاً: المذهب الأنجليكاني

كان الملك هنري الثّامن ١٤٩١ ـ ١٥٤٧ م ملك إنجلترا كاثوليكياً نزيهاً، فأخذ على عاتقه إصلاح سوء التّصرفات في كنيسة إنجلترا، وفي أمانته لكنيسته الكاثولكيّة، وغيرته على المسيحيّة، ألّف كتاباً يدحض فيه تعاليم لوثر، وسُمي لذلك المدافع عن الإيمان، أي: عن الإيمان الكاثوليكي.

وحوالي سنة ١٥٣٠ م، نشب خلاف حاد بينه وبين البابا كليمندس السّابع ١٥٢٣ ـ ١٥٣٤م لأنّ هذا الأخير رفض إعلان بطلان زواجه من زوجته كاترين الأراغونيّة الأسبانيّة الأصل، والّتي لم تَنجبْ له سوى بنت، فما كان من الملك هنري إلاّ أن أجبر رئيس أساقفة كانتربري على فسخ زواجه، وتزوّج مرّة ثانية في سنة ١٥٣٣م من آن يولين، إحدى وصيفات الملكة كاترين، فأعلن البابا كليمندس أنّ هذا الزّواج باطل، وحرم الملك هنري، فردّ الملك على

الحرم بالخروج على سلطة الكرسي الرّسولي هو وجميع شعبه، وفي سنة ١٥٣٤م، حصل من البرلمان على لقب الرّئيس الأعلى لكنيسة إنجلترا.

ثمّ حلّ كلّ الرّهبانيات المتواجدة على أرض مملكته، وصادر جزءاً من أملاكها، وضمّه إلى أملاك العرش، وباع الباقي.

ولم يعترض الشّعب على تلك الاجراءات، لأنّ الرّأي العام منذ زمن بعيد قد أخذ ينفر من تصرفات الكرسي الرّسولي، ويعادي الرّهبان، وبالرّغم من عدائه لسلطة البابا، كان الملك هنري الثّامن يجاهر بإيمانه الكاثوليكي، ولكن في نفس الوقت يأمر بإعدام كلّ من ينكرون عليه رئاسة كنيسة إنجلترا ـ كما فعل بمستشاره الخاصّ توماس مور (١٤٧٨ ـ ١٥٣٥م) ـ وتعذيب من يعتنقون اللوثريّة[1].

وبعد موت هنري الثّامن سنة ١٥٤٧م، توالي على العرش أولاده الثّلاثة، الّذين فرضوا على المملكة إيمانهم ومعتقدهم الخاصّ، فإدوارد السّادس ١٥٣٧ ـ ١٥٥٣م الّذي اعتلى العرش في سن العاشرة، ولم يعمّر طويلاً، أفسح المجال للبروتستنتيّة تحت ضغط أوصيائه العودة ثانية إلى لعب دور مهمّ في حياة الكنيسة.

ثمّ خلفته الملكة ماري الأولى تودور ١٥١٦ ـ ١٥٥٨م ابنة هنري الثّامن من زوجته الأولى كاترين الأرغوانيّة، فأعادت الكاثوليكيّة إلى المملكة، واضطهدت البروتستنت بشراسة، حيث أعدمت أكثر من مئتي شخص، حتّى لُقبت بماري السّفاحة.

وخلفتها سنة ١٥٥٨م، الملكة إليزابيث الأولى ١٥٣٣ ـ ١٦٠٣م ابنة الزّوجة الثّانية آن بولين، فعرضت على شعبها ديانة هي أشبه بخليط من الكاثوليكيّة والبروتستنتيّة، وعُرفت باسم: الأنجليكانيّة، واتّخذت لقب: حاكمة المملكة المطلقة في الأمور الرّوحيّة والزّمنيّة.

أهمّ العقائد

في سنة ١٥٥٩م طلبت الملكة إليزابيث الأولى من البرلمان الإنجليزي أن يُقر مبدأ الرّئاسة العليا، وهو المبدأ الّذي يخوّل للملك السّلطة الدّينيّة العليا في إنجلترا، ويحظرها على أيّ إنسان سواه، كائناً من كان، وأُرغم الشّعب، تحت طائلة العقاب، على حضور الحفلات

---

١. الكنائس الشّرقيّة وأوطانها: ٤١.

الدّينيّة الأنجليكانيّة، وأخيراً فرضت سنة ١٥٦٣م على الجميع الاعتراف بالمبادئ الإيمانيّة التّسعة والثّلاثين، الّتي ثبّتت المعتقدات الإلزاميّة الأساسيّة لهذه الفرقة.

إنّ هذا الإيمان ليس فقط يلغي سلطة البابا، بل أيضاً التّقليد والإكرام الواجب للقدّيسين وذخائرهم، ويرفض الاعتراف بالمطهر، وكذلك عزوبيّة الكهنة، ولا يُبقي من الأسرار السّبعة سوى: سرّ التّعميد، والعشاء الرّباني ومُثل اللوثرية.

والأنجليكانيّة لا تعتبر نفسها لوثرية، ولم تنخرط قط في سلك الكنائس البروتستنتيّة، واحتفظت الملكة إليزابيث الأولى بأبهة الاحتفالات الّتي كانت مشهورة في الكنيسة الكاثوليكيّة، وعلى الصّلوات مترجمة من اللاتينيّة إلى الإنجليزيّة، وعلى الزّي الكهنوتي، وأخيراً على رتب آباء الكنيسة من كهنة وأساقفة ورؤساء أساقفة.

وبما أنّ الأنجليكانيّة ظهرت وكأنّها خليط من الكاثوليكيّة والبروتستانتيّة، فقد رفضها كلا الطّرفين، فتعرضا للاضطهاد، واتّهم أتباعهما بالخيانة العظمى.

فالكاثوليك كانوا يؤكّدون أن إليزابيث لم تكن الملكة الشّرعيّة، لأنّها ابنة زنى بعد أن أعلن البابا كليمندس السّابع أنّ زواج والديها كان باطلاً، فنظموا ضدّها عدّة مؤامرات سُحقت بشراسة، آملين أن ينصّبوا ملكة مكانها، وهي نسيبتها ماري ستيوارت ١٥٤٢ ـ ١٥٨٧م ملكة إسكتلندا الّتي اعتلت العرش تحت الوصاية منذ اليوم السّابع من عمرها، ولكن الملكة إليزابيث الأولى تمكنت في النّهاية من قطع رأسها سنة ١٥٨٧م[١].

وانتقاماً من الإنجليز الكاثوليك أمرت الملكة، فحُظر عليهم إقامة شعائرهم الدّينيّة، بل واضطروا، تحت طائلة الغرامة والسّجن والقتل، إلى أن يحضروا الاحتفالات الأنجليكانيّة.

ولقد صدر قانون في سنة ١٧٠٠م يُسمى: قانون التّسويّة، وهو ينصّ على أنّ العرش يرثه الابن الأكبر لصاحب العرش، أو الابنة الكبرى، إذا لم يكن لصاحب العرش ابن مولود قبل وفاته، أو في بطن أمه في الوقت الّذي توفي فيه صاحب العرش، ويشترط القانون أنّ من يتولى العرش يجب أن يكون مسيحيّاً من أتباع كنيسة إنجلترا؛ وذلك لأنّه يُعتبر عند توليه العرش رئيس هذه الكنيسة.

وحتّى اليوم ما زالت مشكلة أولويّة الكنيسة الرّومانيّة على سائر الكنائس هي المشكلة الأصعب حلاً في مناقشات علماء الطّرفين، فالكاثوليك اعتبروا أنّ الكنيسة الأنجليكانيّة كنيسة

---

١. الكنائس الشّرقيّة وأوطانها: ٤٣.

من كنائس الحركة الإصلاحيّة، ولذلك تعامل معها بابا روما ككنيسة خارجة عن الكاثوليكيّة، ولكن المجمع الفاتيكاني الثّاني خصّ الكنيسة الأنجليكانيّة بتقديره؛ إذ قال في المرسوم الّذي أصدر في المجمع الفاتيكاني الثّاني في سنة ١٩٦٢م:

> إنّ الانشقاقات الّتي وقعت من بعد قبل أربعة قرون في الغرب، نتيجة أحداث ألقوا تسميتها بالإصلاح، فنتج عن ذلك أنّ عدّة تكتلات قوميّة، أو مذهبيّة، قد انفصلت عن الكرسي الرّوماني، وبين من يحتفظ منها جزئياً بالتّقاليد الكاثوليكي، تحتل الشّركة الأنجليكانيّة المحل الممتاز[1].

وتشكّل قضيّة تنصيب بعض النّساء لدرجات الكهنوت والأسقفية، أسوأ العقبات الّتي تدخل في إطار المسائل العقائديّة، والكنسية الّتي لا يمكن أن يقبل بها الفاتيكان، أو يقدّم بشأنها أيّة تنازلات؛ ذلك لأنّ الرّئيس الأعلى للكنيسة الأنجليكانيّة امرأة، وهي الملكة إليزابيث الثّانية، ملكة بريطانيا في حين ترفض الكاثوليكيّة تنصيب النّساء في درجات كهنوتية مهمّة، فضلاً عن رئاستها للكنيسة.

خامساً: فرقة شهود يهوه

ظهرت جماعة شهود يهوه على مسرح الحياة الدّينيّة، خاصّة إبان وعقب الحرب العالميّة الأولى والثّانية.

وقد أقامت لنفسها ملكوتاً خاصّاً تأسس عام ١٩١٤م، ادّعت أنّه ملكوت الله، وشكّلت له حكومة ثيوقراطيّة[2] عدد أعضائها ١٤٤٠٠٠ دعتهم: الصّف السّماوي يقودون[3] جماعات من شهود يهوه سمّوها: الصّف الأرضي.

إنّ القرون الّتي تلت عصر الإصلاح الإنجيلي، الّذي قاده مارتن لوثر، شهدت بروز حركات لاهوتيّة، أهمّها الحركة التّوحيديّة الّتي زرع بذورها ميخائيل سرفيتس[4] ١٥١١ ـ ١٥٥٧م، وطوّرها في الولايات المتحدة ثيودور باركر ١٨١٠ ـ ١٨٦٠م الّذي بدوره انتقد عقائد

---

١. الكنائس الشّرقيّة وأوطانها: ٤٥.

٢. كلمة ثيوقراطيّة مشتقة من الكلمة اليونانية: تيوكراتيا: *Theokratia* وتعني: حكومة الله. وهو تعبير كان فلافيوس يوسيفوس ٣٧ ـ ١٠٠م المؤرخ اليهودي أوّل من استخدمه ليعبّر به عن النّظام السّياسي للشّعب العبراني قبل عهد ملكية شاول وداود، حيث كان يهوه هو الحاكم الأعلى للعبرانيين.

٣. تتّخذ الهيئة الحاكمة والرّأس المدبر لجماعة شهود يهوه في العالم من مبنى برج المراقبة، في بروكلن ـ نيويورك مركزاً تنفيذيّاً تدير منه كافة الأنشطة العالميّة لهذه الهيئة.

٤. هو طبيب قادته تفاسيره للكتاب المقدّس إلى التّخلي عن عقيدة الثّالوث، من أهمّ أعماله كتاب التّجديد المسيحي الّذي أفصح فيه عن مجمل عقائده الّتي كان أهمّها: نكران الثّالوث وألوهيّة المسيح، واعتبار بشريّة المسيح مكونة من ثلاثة عناصر: الكلمة والنّفس والجسد.

مسيحيّة هامة، كعقيدة الفداء والكفارة، والعقاب الأبدي، ويعتبر أوّل راع لكنيسة توحيديّة في أمريكا في سنة ١٨٣٧م، وظهور هذه الفرقة التّوحيديّة كان لها دور محسوس في ظهور حركة شهود يهوه، وكذلك يجب الإشارة إلى طائفتين برزتا نحو منتصف القرن التّاسع عشر كان لهما دور أيضاً في نشأت هذه الفرقة، هما:

أولاهما: طائفة المجيئيين السّبتيين، الّذين اتفقوا مع التّوحيديين في كثير من القضايا العقائديّة، وتميزاً بإضافة عقيدة مجيء المسيح الوشيك، وكان وليم ميلر قائد هذه الفرقة، فقد حدّد عام ١٨٤٣ أو ١٨٤١ م سنة أكيدة لمجيء المسيح، إلاّ أنّه اضطر لتعديل هذا الموعد مراراً عديدة.

وثانيهما: شيعة إخوة المسيح الّتي أسّسها يوحنّا توماس ١٨٠٥ ـ ١٨٧١م، الّذي رفض التّسمية التّقليديّة لأتباع يسوع المسيح، أي: مسيحيّين.

وقد رفض توماس بدوره عقيدة الثّالوث، كما فعل التّوحيديون من قبله، وفيما بعد أصبحت عقيدة «عودة المسيح ثانية إلى الأرض ليملك ملكاً منظوراً» جوهر عقيدة التّوماسيين.

ويعتبر تشارلز تاز رصل ١٨٥٢ ـ ١٩١٦م من مدينة بنسلفانيا، المؤسس والرّئيس الأوّل لجماعة برج المراقبة، وهو الاسم الّذي أُطلِقَ على جماعة شهود يهوه باديء ذي بدء.

حيث تبدأ قصّة نشوء جماعة شهود يهوه منذ أن كان رصل في الثّامنة عشرة من عمره عندما بدأ يتردّد على الاجتماعات الدّينيّة، الّتي كانت تعقدها جماعة السّبتيين المجيئيين في مدينة أليغني، ويصرّح رصل قائلاً: «هناك ولأوّل مرّة سمعت شيئاً عن مجيء المسيح الثّاني بواسطة جوناس ويندل». ففي أجواء تلك الاجتماعات المثيرة ولدت الفكرة عند تشارلز رصل، الّتي بدأ يصوغها بقالب آخر جديد، خاصّة بعد أن فشل السّبتيون بتحديد موعد لمجيء المسيح الثّاني[١].

بدأ رصل عام ١٨٧٢م حتّى عام ١٨٧٥م مع جماعة من أصدقائه بتشكيل صف لدراسة الكتاب المقدّس، خاصّة النّبوّات المتعلّقة بمجيء المسيح الثّاني، وعلى ضوء دراسته وتحليلاته الشّخصية أصدر رصل أوّل منشور له بعنوان: غاية وكيفيّة رجوع المسيح، طبع منه

---

١. عقائد شهود يهوه، فريد خوري: ١٥.

حوالي ٥٠٠٠ نسخة، كانت بمثابة البداية لفيض من المنشورات والكراريس، الّتي طبعها ووزعها رصل وأتباعه فيما بعد.

وقد بلغ الحماس عند جماعة شهود يهوه في توزيع الكراريس الّتي كتبها رصل، أنّهم أطلقوا على أنفسهم لقب: تلاميذ التّوراة وجمعيّة الكراريس.

ويمكن القول إنّ فكرة تحديد موعد لمجيء المسيح الثّاني لم تكن الفكرة الوحيدة المقتبسة من السّبتيين، فإن رصل أخذ عنهم رفضهم لحقيقة القيامة، والحساب الأخير، ورفضهم لعقيدة التّثليث.

وخلال هذه الفترة اجتمعت لدى رصل مجموعة من الأفكار استحوذت على تفكيره ونشاطاته، أهمّها تلك المتعلقة بمجيء المسيح الثّاني، فانتهى بحساباته واستدلالاته إلى أنّ المسيح سيأتي ثانية، إنّما بشكل غير منظور، أي: لا يراه أحد، فقد كتب يقول: «سيأتي يسوع كما لو كان ملاكاً قد حضر». وهذا الاعتقاد يخالف ما اعتقدته الكنيسة منذ نشأتها إلى الآن، من أنّ المسيح سيأتي ثانية علانية وبشكل حسّي منظور، انسجاماً مع وعد المسيح، الّذي قال:

> وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السّماء، وحينئذ تنوح عليه قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السّماء، بقوة ومجد كثير[1].

وبينما كان رصل برحلة عمل في فيلادلفيا وقع على منشور صادر عن مجلة كان يحرّرها باربور من نيويورك.

وقد فُوجيء رصل عند قراءته ذلك المنشور، إذ رأى أنّ لباربور نظرة مطابقة لنظرته بشأن المجيء غير المنظورللمسيحعليه السلام، وأظهر اهتماماً بالغاً بالطّريقة الّتي اتبعها باربور في حساباته التاريخيّة، فالتقى باربور وعقد معه اتفاقاً على إصدار مجلة خاصّة تعالج هذا الموضوع، يمولها رصل.

وفي عام ١٨٧٧م نشر الشّريكان رصل و باربور كتاباً بعنوان: العوالم الثّلاثة أو خطة الفداء، علّقت عليه: جمعية برج المراقبة والكراريس، بقولها:

> في هذا الكتاب أعلن (الشّريكان رصل وباربور) إيمانهما أن مجيء المسيح الثّاني قد بدأ فعلاً عام ١٨٧٤م، حيث استهلت بـ ٤٠ سنة، دُعيت فترة الحصاد، ثمَ حددا على وجه الدّقة عام ١٩١٤م كوقت نهاية أزمنة الأمم[2].

---

١. إنجيل متّى: ٢٤/ ٣٠.

٢. عقائد شهود يهوه: ١٧.

لم تَدمْ شركة رصل ـ باربور طويلاً، بسبب خلافات عقائديّة بينهما، أسّس رصل على أثرها مجلته الخاصّة: برج صهيون للمراقبة وبشير مجيء المسيح، صارت تعرف فيما بعد باسم: برج المراقبة تعلن ملكوت يهوه. وهي أداة اختارها يهوه، على حدّ قولهم:

يعلن من خلال أعمدتها إرادته، ليبدأ من خلالها فرز العالم إلى فريقين، أولئك الّذين يعملون إرادته، وأولئك الّذين لا يعملون... أنّ القطيع الصّغير برئاسة تشارلز رصل، قد وجد أهلاً ليأخذ على عاتقه الحملة التّمهدية العظمى، الّتي ستصل ذورتها عام ١٩١٤م[1].

وبحلول العام المنتظر اندلعت الحرب العالميّة الأولى، الأمر الّذي سبب إحراجاً كبيراً له ولاتباعه.

إلاّ أنّ المفاجأة غير المنتظرة لم تثن رصل عن قناعته وتمسكه بحساباته فأخرج لاتباعه تفسيراً، حاول به الخروج من مأزقه معلناً أنّه، في تلك السّنة عينها توج يسوع المسيح ملكاً على العالم، حيث بدأ نشاطه الملكي بطرد زمرة الشّياطين والأبالسة من الأجواء السّماويّة، الّذين هبطوا إلى الأرض، وأشعلوا نار الحرب فيها.

ثمّة تفسير إضافي تمّ إلحاقه بالتّفسير السّابق، بعد عدّة عقود من إعلان رصل، حين أعلن قادة شهود يهوه أنّ شيئاً آخر قد بدأ عام ١٩١٤م وهو بدأ حقبة جديدة دعوها: زمن النّهاية، حيث يتمّ فيه فرز الأخيار عن الأشرار، المهمّة الّتي يعتقد شهود يهوه أنّ الله قد وكّلهم على إتمامها.

فإنّهم يعتقدون بأنّهم الملائكة الّذين أنيطت بهم مهمّة فرز النّاس إلى أخيار وأشرار، والّذين أشار إليهم يسوع المسيح في: مثل الشّبكة المطروحة في البحر، حيث قال:

أيضاً يشبه ملكوت السّموات شبكة مطروحة في البحر، وجامعة من كلّ نوع، فلمّا امتلأت أصعدوها على الشّاطيء، وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية. وأمّا الأردياء فطرحوها خارجاً.

هكذا يكون في انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار، ويطرحونهم في أتون النّار، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان[2].

ولم تكن حركة شهود يهوه تشغل بال أحد في بداية الأمر، ولكن مع تزايد نشاطها الإعلامي في كلّ أرجاء الولايات المتحدة الأمريكيّة، بل وفي استراليا ومناطق أخرى، أبدت بعض المؤسّسات الإعلاميّة وبعض الشّخصيات الدّينيّة اهتماماً واضحاً ومتزايداً، حيث بدأت تتصدى للعقائد الجديدة.

---

١. المصدر: ١٧.

٢. إنجيل متّى: ١٣/ ٤٧ ـ ٥٠.

بدأت صحّة رصل تتدهور في عام ١٩١٦م، وبينما هو في طريق عودته من كاليفورنيا إلى بروكلين مات في القطار في مدينة تكساس، وكفن حسب طلبه بثوب التّوجا، وهو ثوب روماني فضفاض. وهكذا انتهت حياة هذا الدّاعيّة في ٣١ تشرين أوّل ١٩١٦م.

بعد وفاة رصل انتخب القاضي جوزيف فرانكلين رذرفورد خلفاً له، كزعيم للحركة وملهم لها.

فرذرفورد كان كاتباً في محكمة مدنية في بونفيل بولاية ميسوري، وحصل على رخصة بممارسة مهنة المحاماة عام ١٨٩٢م، وقد رافع مراراً في قضايا تتعلق بمؤسس شيعته تشارلز رصل، وبعد وفاة رصل بفترة وجيزة حكم على القاضي رذرفورد بالسّجن لمدّة سنتين ١٩١٨ - ١٩١٩م بتهمة التّمرد والخيانة، واعتبر رذرفورد نفسه خليفة رصل.

وما تزال هذه الفرقة إلى يومنا هذا تقوم بأعمال تبشريّة كبيرة في مختلف نقاط العالم، ولا سيّما في أمريكا والعالم الغربي، وتعتبرها أغلب الكنائس المسيحيّة فرقة منحرفة عن التّعليم المسيحي القويم، وألفّوا كتباً كثيرةً في الردّ عليها.

أهمّ العقائد

تنفرد هذه الفرقة بعقائد خاصّة بها، منها:

١. رفضها لعقيدة التّثليث، الّتي تقول بها الكنيسة، وجميع الفرق المسيحيّة الأخرى.

٢. اعتقادها بأنّ المسيح وإن كان في مرتبة إله، ولكنّه أقلّ شأناً من الأب، الّذي هو الإله الحقيقي، وهوالّذي أعطى المسيح صفة الأُلوهيّة.

٣. الاعتقاد بقرب مجيء المسيح الثّاني، بل أنّه أتى، ولكن بشكل غير منظور، أي: لم تراه البشريّة.

وبعض الاعتقادات الأخرى الّتي ترفضها الكنائس المسيحيّة الأخرى.

عناوين مقترحة للبحث الدّرسي

١. دراسة لتاريخ الكنيسة المسيحيّة في القرون الثّلاثة الأولى.

٢. نظرة لتاريخ الكنيسة المسيحيّة في القرون الوسطى.

٣. الإصلاح الدّيني في الكنيسة المسيحيّة.

٤. نظرة في عقائد الفرق المسيحيّة: الكاثوليك، الارثوذكس، البروتستانت.

٥. أصول ومبادىء المذهب الأنجليكاني.

٦. عقائد فرقة شهود يهوه بين الرّفض والقبول في الكنيسة المسيحيّة.

مصادر البحث

١. قاموس الكتاب المقدّس.

٢. دائرة المعارف الكتابيّة. مجموعة علماء.

٣. الكنائس الشّرقيّة وأوطانها.

٤. تاريخ الكنيسة المفصّل، مجموعة علماء.

٥. مقارنة الأديان، أحمد شلبي.

٦. موسوعة الأديان في العالم، المسيحيّة.

٧. تاريخ الفكر المسيحي، حنّا الخُضري.

المصادر

١. الإسلام في الكتب السّماويّة، محمّد الصّادقي، دار المرتضى ـ بيروت ١٤٠٩ هـ
٢. الإنجيل في القرآن، يوسف درّة الحداد، ط ٣، المكتبة البولسيّة ـ بيروت ١٩٩٣ م.
٣. بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي، دار إحياء التّراث العربي ـ بيروت ١٩٨٣ م.
٤. بحوث ممهّدة لدراسة تاريخ الأديان، محمّد عبد الله درّاز، المكتبة العربيّة ـ بيروت ١٩٩٨ م.
٥. تاريخ الطّبرى، محمّد بن جرير الطّبري ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ١٩٩٨ م.
٦. تاريخ الكنيسة المفصل، مجموعة علماء، القاهرة، دار الكتاب المقدّس.
٧. تاريخ الفكر المسيحى، القس حنا الخضري، دار الثّقافة ـ القاهرة ١٩٨١ م.
٨ التّفسير التّطبيقى للكتاب المقدّس، مجموعة علماء ـ القاهرة ١٩٩٧ م.
٩. التّفسير الحديث للكتاب المقدّس، ر.ت فرانس، دار الكتاب المقدّس ـ بيروت ١٩٩٧ م.
١٠. تفسير العهد الجديد، دار الثّقافة ـ القاهرة ١٩٨٨ م.
١١. التّفسير القويم لأسفار العهد القديم، مجموعة علماء، دار الكتاب المقدّس ـ بيروت ١٩٨٣ م.
١٢. التّفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الفخر الرّازي، دار إحياء التّراث العربي ـ بيروت ١٩٩٥ م.
١٣. التّوحيد والتّثليث، العلاّمة البلاغي، نشر توحيد ١٩٩٣ م.
١٤. حقيقة التّجسّد، ثروت سعيد ـ القاهرة ١٩٩٩ م.
١٥. حقيقة لاهوت يسوع المسيح، جوش ماكدويل، ترجمة سمير الشّوملي، دمشق.
١٦. دائرة المعارف الكتابيّة، مجموعة علماء، القاهرة، دار الثّقافة ط ٢.
١٧. دراسات فى اليهوديّة والمسيحيّة وأديان الهند، د.محمّد ضياء الأعظمي ـ بغداد ١٩٩٣ م.
١٨. الرّحلة المدرسيّة، العلاّمة البلاغي، نشر توحيد ١٩٩٣ م.
١٩. الرّد الجميل لألهيّة المسيح بصريح الإنجيل، أبو حامد الغزالي، تركيا ـ دار الشّفقة ١٩٩٤ م.
٢٠. العبادات في الأديان السّماوية، عبدالرزاق الموحي ـ دمشق ٢٠٠٣ م.

٢١. العظيمان عيسى وأمّه في القرآن الكريم، محمّد الغروي، دار الحقّ ـ بيروت ١٩٩٩م.
٢٢. قاموس الكتاب المقدّس، مجموعة علماء، دار الثّقافة ـ القاهرة ١٩٩٥ م.
٢٣. قصّة الحضارة، وليام ديوارنت، دار الجيل ـ بيروت ١٤٠٨هـ
٢٤. لاهوت المسيح، القس لبيب ميخائيل، دار السّلام للنّشر ـ بيروت ٢٠٠١ م.
٢٥. المسيح المنتظر ونهاية العالم، عبدالوهاب عبدالسّلام طويلة ـ القاهرة ٢٠٠٣ م.
٢٦. المسيح الموعود والمهدى المنتظر، يوسف محمّد عمرو ـ القاهرة ٢٠٠١ م.
٢٧. المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحيّة، د.منير خوّام ـ بيروت ١٩٨٣ م.
٢٨. المسيح في مصادر العقائد المسيحيّة، أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٩٧٨ م.
٢٩. المسيحيّة، د.أحمد شلبي، ط ١٠، مكتبة ـ القاهرة ١٩٩٣م.
٣٠. معجم اللاّهوت الكتابي، مجموعة علماء، ترجمة المطران أنطونيوس نجيب ـ بيروت ١٩٨٤ م.
٣١. مقارنة الأديان، أحمد الشّلبي ـ القاهرة ١٩٨٥ م.
٣٢. مقارنة الأديان، محمّد أبو زهرة، دار وهبة ـ القاهرة، ، ١٩٨٣ م.
٣٣. المهدى المنتظر بين الدّين والفكر البشرى، د.محمّد طي ـ بيروت ٢٠٠٢ م.
٣٤. موسوعة الأديان في العالم (المسيحيّة)، دار كريبس انترناشيونال ٢٠٠١ م.
٣٥. الميزان في تفسير القرآن، العلاّمة الطّباطبائي، ط ٢ موسسة الأعلمي ـ بيروت، ١٩٧٢م.
٣٦. نجار وأعظم، جوش ماكدويل، ترجمة سمير الشّوملي، حياة المحبّة في الشّرق الأوسط.
٣٧. النّصرانيّة في الميزان، محمّد عزت الطّهطاوي، ط ١، دار القلم ـ دمشق، ١٩٩٥ م.
٣٨. نهاية صراع الأديان بظهور المهدى فى آخر الزّمان، محمّد محمود المندلاوي ـ بيروت ٢٠٠٢ م.
٣٩. الهدى إلى دين المصطفى، العلاّمة البلاغي، نشر توحيد ـ بيروت، ١٩٨٧ م.